مَشَاهِيرُ الصَّحَابةِ

الكتاب : مشاهير الصحابة

الكاتب : علي عبد الفتاح

الطبعة: ٢٠١٦

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.apatop.com **E-mail: news@apatop.com**

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

عبد الفتاح ، علي
مشاهير الصحابة – علي عبد الفتاح – الجيزة – وكالة الصحافة العربية
.. ص ، .. سم
تدمك: ٩٧٨- ٩٧٧ – ٤٤٦ – ٢٠٢-٣
أ. العنوان رقم الإيداع : ٢٠١٥/١١٥٥١

مشاهير الصحابة

عَلِيِ عَبْد الفَتَاحْ





تقديم

قرأت كتباً كثيرةً تؤرخ لسير صحابة رسول الله – ﷺ – ولكني كنت لا أفهم شيئاً منها، وأجد المعلومات التي تدور حول الشخصية متناثرة في عدة صفحات، وليست هناك وحدة موضوعية في التحليل والعرض.

كنت أشعر بالسأم والضجر حين أقرأ في هذه الكتب التي لا تختلف عن بعضها، فكلها متشابهة، وتم النقل من كتاب إلى كتاب حتى البحوث والدراسات الأكاديمية لم تنجُ من هذا اللغط المتواتر من كتاب إلى آخر.

بالطبع هناك كتب أخرى عالجت شخصيات الصحابة في بساطة ووضوح، ولكنى كنت أجدها عبارة عن أفكار تركز على الفكر الديني والصراعات السياسية، دون تجسيد الشخصية الإنسانية للصحابي.

وشعرت باليأس في مواجهة هذا الكم الهائل من الكتب التي لا يمكن لطالب أو مثقف أن يقرأها، لأنها تحتاج إلى مثابرة وجهد كبير.

ولذلك فكرت في إعادة تقديم بعض شخصيات الصحابة بطريقة أخرى، فيها من الشعر عذوبته، ومن النثر إيقاعاته، ومن اللغة بساطتها، ومن القصة عناصر التشويق والدراما.

وابتعدت كثيراً عن بعض المواقف التي لم يتفق عليها علماء الدين أوالفقهاء حتى لا يكون هناك شيء من الخلل في تصوير الشخصية، أو بعض الأحداث التي لم أتبين حقيقتها أو عسيرة الفهم.

واتجهت إلى التركيز على مواقف الشخصية، وما تعبر عنها من فكر وعقيدة، لتكون نموذجاً إنسانياً يمكن أن يحتذى ونستدل على إنجازاته بسهولة.

ولذلك هذا الكتاب لم يكتب إلى فئة مثقفة معينة، أو يخاطب المفكرين، وإنما كتب ليوجه رسالة إلي الجيل الجديد أن يستدلوا على تلك الشخصيات الإسلامية المضيئة بتاريخها الرائع، لتكون لهم رموزا للخير والحب والسلام والتسامح، وكذلك رموزا للعلم والفكر المستنير والعقيدة الإسلامية.

وقد حاولت بقدر الإمكان أن يكون مقالي عن الشخصية مكثفا، ويركز على ملامح الشخصية في تفاعلها مع المواقف من خلال رؤية درامية تتميز بعنصر التشويق والمتعة الذهنية.

وأتمنى أن أكون ساهمت في تقديم صور مشرقة من حياة الصحابة – رضوان الله عليهم – وقد بدأت الصحابة أبجديا، فهذا يساهم كثيرا في سرعة تحديد الشخصية التي يبحث عنها القارئ.

وأرجو أن أكون قد قدمت شيئا مفيدا للقراء.

علي عبد الفتاح

مارس ٢٠١٥

إهداء

إليهم..

إلى زهور في حدائق روحي

إلى

هنا..

وهيا..

وعلي..

وأحلم أنه في يوم ما

سنفتح صفحات هذا الكتاب معاً

المؤلف



الخلفاء الصحابة

-١-

أبو بكر الصديق

الصادق الصدوق.. رفيق الرسول في كل طريق.. واهب الدعوة الإسلامية روحه وماله وحياته.. حكيم.. مقنع في خطبه وكلماته.. ثري الروح بقيمه ومناجاته.. عفيف النفس.. كريم القلب في رحمته وتسامحه وإنسانيته.

أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الكناني العدناني.

ومن ألقابه: الصديق، لكثرة تحريه الصدق وتصديقه لرسول الله – ﷺ– والعتيق، لُقب به لجمال وجهه وانعتاقه من النار.

أبو بكر الصديق أول من آمن، وأول من صلى، وأول من استخلف من أصحاب رسول الله – ﷺ.

وقد أسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن ابن عوف.

تبدو عبقرية أبي بكر الصديق في عدة اتجاهات كثيرة، تشمل تقواه ومناقبه وفضائلة وخلافته وإنجازاته في الدولة الإسلامية، ولكن من أهمها أنه أول من حفظ القرآن الكريم، ولذلك كان رسول الله – ﷺ– يستخلفه في الصلاة، والذي يؤم القوم هو أعلمهم وأكثرهم حفظاً لكتاب الله.

كان أبو بكر الصديق يفتي بين يدي رسول الله – ﷺ – مما يدل على تفقهه في الدين، وعلمه الغزير، وشهادة رسول الله له بأنه من الممكن أن يساهم برأيه في الدين وأحوال المسلمين، وأن يسترشد الناس بفكره.

ومن ذلك أن امرأة جاءت إلى رسول الله – ﷺ– في أمر تريد منه النصح والمشورة، فقال لها أن ترجع إليه مرة أخرى، وإذا لم تجده يمكن أن ترجع إلى أبي بكر الصديق. فكان ينوب بذلك عن الرسول في قضاء حوائج المسلمين وإرشادهم إلى أمور دينهم.

ويشهد عمر لعلم أبو بكر ويقول عنه: "كان أحلم مني وأفقه".

ويتجلى عمق مواقف أبي بكر الصديق تجاه المسلمين والإسلام فيقول عمر بن الخطاب عن ذلك الموقف:

- "أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال الرسول له: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال أبو بك: أبقيت لهم الله ورسوله.

لقد وهب أبو بكر حياته وماله وفكره للدعوة الإسلامية ولرعاية المسلمين ونهضتهم ومحاربة المرتدين والحفاظ على القرآن الكريم، ونصرة المظلوم ومحاسبة الظالم، وتعزيز أركان الدولة وانتشار التوسع الإسلامي في أنحاء العالم.

ويوم استخلافه خطب في الناس وقال:

- أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا.. واعلموا أن أكيس الكييس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور. إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق. أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني.

وتوفي أبو بكر بعد مرضه سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان قد تجاوز الثلاث والستين عاما، ودفن إلى جانب رسول الله - ﷺ.

ورحل الصديق والقلب الرقيق.. وأول خليفة للمسلمين بعد الرسول الأمين، حيث انفتحت في عصره بلاد، ودانت له شعوب، وأشرقت شمس الإسلام تبشر بالخير والفضائل والرحمة للعباد.

ومازال التاريخ يذكر الصادق الصدوق.. رفيق الرسول في كل طريق.. واهب الدعوة الإسلامية روحه وماله وحياته.. حكيم.. مُقنع في خطبه وكلماته.. ثري الروح بقيمه ومناجاته.. عفيف النفس.. كريم القلب في رحمته وتسامح

-٢-

عمر بن الخطاب

عمر ابن الخطاب.. الخليفة العابد.. وأمير المؤمنين الزاهد.. وصوت الحق في المساجد.. ورجل العدل بين الرعية.. يُحَكم الرحمة في كل قضية.. ويدعو بالخير والحب مع كل وصية.

الفاروق الذي جاهر بالحق في وجه الباطل وفرق بينهما حين أعلن إسلامه على الملأ، وشهر سيفه أمام المشركين، وقال لرسول الله – ﷺ:

– وفيم الاختفاء.. ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

عمر بن الخطاب.. أحد العشرة المبشرين بالجنة.. وأحد الخلفاء الراشدين.. وأحد أصهار رسول اللهﷺ. والخليفة العادل الناسك الذي فُتحت في عهده بلاد الشام والعراق وفارس ومصر، وبرقة وطرابلس وأذربيجان ونهاوند وجرجان، وبُنيت في عهده البصرة والكوفة والفسطاط.

عمر بن الخطاب نشأ راعياً لأبيه الخطاب، ولم ينس ذلك أبداً ويجلس بين الناس في بساطة بعد أن تولى الخلافة ويقول:

– لقد رأيتني أرعى الغنم لأبي، وها أنا ذا أنظر فلا أرى فوقي إلا رب العالمين.

عمر بن الخطاب أحد كبار علماء الصحابة. ويقال عن علمه:

– لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر.

وكانوا يقولون عن عمر أيضاً أنه ذهب بتسعة أعشار العلم. وقد روى عن النبي ﷺ٥٢٧ حديثاً.

ومن مروياته عن النبي – ﷺ– التي رويت عنه:

– "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى دُنيا يصيبُها أو إلى امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". رواه البخاري.

وقد تحدث الرسول – ﷺ– عن عمر فقال:

- "إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عُمرُ بن الخطاب".

- "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه".

- "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك". رواه البخاري.

ومن فضائل عمر بن الخطاب في العلم والفقه أنه وافق من كلامه القرآن الكريم في ست مسائل:

- كان من رأي عمر بن الخطاب تحريم الخمر، فنزل القرآن بتحريم الخمر.

- وكان من رأيه اتخاذ الحجاب على زوجات النبي - ﷺ- فنزل القرآن بذلك.

- وكان من رأيه عدم صلاة النبي - ﷺ- على أحد المنافقين، فنزل القرآن ينهي النبي عن الصلاة عليهم.

- وكان من رأيه الصلاة في مقام إبراهيم، فنزل القرآن أمراً المسلمين بالصلاة فيه.

- وعندما اجتمع نساء النبي - ﷺ- في الغيرة عليه قال لهن: "عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن. فنزلت سورة التحريم"، وبها هذه الآية.

ويعتبر عمر بن الخطاب من الأوائل الذين سنوا أعمالاً وأفكاراً كان لها أثراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والسياسية للمسلمين وهي:

أول من اتخذ بيت المال. وأول من اتخذ الهجرة بداية للتأريخ. وأول من سن قيام رمضان. وأول من عس بالليل. وأول من عاقب على الهجاء. وأول من ضرب

في الخمر ثمانين. وأول من حرم المتعة. وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد. وأول من فتح الفتوح ومسح السواد (قاس أرض القرى والريف).

وأول من حمل الطعام من مصر في البحر الأحمر إلى المدينة. وأول من احتبس صدقة في الإسلام. وأول من أعال الفرائض.. وأول من قال: "أطال الله بقاءك". قالها لعلي بن أبي طالب. وكذلك أول من قال: "أيدك الله" لعلي أيضاً.

وأول من اتخذ الدرة، أي السوط. وأول من استقصى القضاء في الأمصار. وأول من مصر الأمصار، أي بنى المدن. وأول من سُمي أمير المؤمنين. وأول من اتخذ دار الدقيق يعين به المنقطع.

أول من وسع المسجد النبوي وفرشه بالحصباء. وأول من ضرب النقود في الإسلام. وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل. وأول من أقام والياً للحسبة في مراقبة الأسعار ورعاية الأداب. وأول من شق الترع وأقام الجسور.

وأول من وضع المرابطة من الجند في الثغور وسمى الأجناد. وأول من أمر بالعناية بالمناظير لرؤية الأجسام. وأول من عين شخصاً ليتقصى أخبار العمال، وتحقيق الشكايات التي تصل إلى الخليفة من عماله وهو محمد بن مسلمة.

أول من عقد المؤتمرات للقادة والولاة في موسم معين. أول من جمع الناس في صلاة التراويح. أول من أنار المساجد في ليالي رمضان. وأول من جمع الناس على صلاة الجنازة بأربع تكبيرات. أول من أوقف سهم المؤلفة قلوبهم باجتهاده لزوال العلة. أول من منح الجوائز لحفظ القرآن الكريم.

أول من جعل الخلافة شورى في عدد معين. وأول من جعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد بائناً بينونة كبرى. وأول من أمر بتطليق الكتابية ونهى عن الزواج منها. وأول من أخذ زكاة الخيل. وأول من جعل الجزية طبقات حسب قدرة الرعية وأول من أسقط الجزية عن فقراء أهل الذمة والعجزة. وأول من أقام المعسكرات الحربية.

أول من أمر بالتجنيد الإجباري، وأول من عمل ديوان الجند، وأول من خصص أطباء وقضاة ومرشدين للجند وأول من طبق من أين لك هذا. وأول من ضرب الدراهم وأول من فرض عطاء لكل مولود في الإسلام. وأول من جعل نفقة اللقيط من بيت مال المسلمين. وأول من جلد من زور خاتم الدولة.

كانت مدة خلافته ١٠ سنوات و٦ أشهر و٤ أيام. وظلت خلافة عمر مثلاً أعلى في نظم العدل والأمن والحكمة والديمقراطية والشورى فهو إذا تحدث أقنع.. وإذا خطب أجاد.. وإذا عبر أبدع.

وإذا أصدر قراراً جاء دليل حكمة وعبرة فهو باحث وعالم وأديب وعبقري بارع الفقه في الدين، ثابت الجنان في المواقف، بليغ العقل في الخطابة يملك حكمة وخبرة السياسي، وتأمل الفيلسوف والإداري الحازم والحاكم العادل يدير شئون البلاد، ويكتب إلى القواد ويرسل الجيوش، ويبعث المدد ويحاكم القادة إذا أخطأوا، ويختار القضاة في الثغور ويقيم الحد ولا يخاف سوى الله تعالى.

وقد ولد عمر بن الخطاب في مكة المكرمة بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أهم أشراف قريش. وقد كان الرسول – ﷺ– يقول: اللهم أعز الإسلام

بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو أبي جهل عمرو بن هشام. فأسلم عمر فكان خير الرجلين وأعز الله الإسلام به.

استطاع عمر بن الخطاب أن يضع يده على أملاك كسرى وثروات ضخمة، ولكنه أنفقها على المسلمين وظل يفترش الغبراء ويقول: لا يحل لعمر من بيت المال إلا حلتين حلة للشتاء واخرى للصيف.

وبينما عمر بن الخطاب يصلي طعنه أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة، ورحل عمر عن الحياة، ودفن مع صاحبيه رسول الله – ﷺ– وأبي بكر، وعمره ثلاث وستون سنة.

ويسجل التاريخ بحروف من دماء رحيل عمر بن الخطاب مع قوافل الشهداء هذا الخليفة، نصير الفقراء، المدافع عن المظلومين الذى شهر سيفهمن أجل إحقاق الحق ونشر العدل بين البشر في كل مكان.

-٣-

عثمان بن عفان

عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين.. وأحد القادة الفاتحين.. ومن رجال الإسلام الزاهدين.. وأحد علماء عصره النابغين.. حفظ القرآن للأمة.. ووحد مصاحف الأئمة. ولُقب بذي النورين لأنه تزوج ببنتي رسول الله ﷺ رقية أم عبد الله، والثانية أم كلثوم.

أسلم عثمان – رضي الله عنه – عندما دعاه أبو بكر للإسلام وهاجر إلى الحبشة مرتين والمدينة، فكان من السابقين الأولين هجرة وإسلاماً.

يكمن علم عثمان بن عفان وعبقريته في جوانب كثيرة، منها أنه جمع الناس على مصحف واحد، بعد أن شاور صحابة الرسول ﷺ فأتى بالمصحف الذي أمر أبوبكر زيد بن ثابت بجمعه وكان عند السيدة حفصة.

ثم أمر بكتابة عدة نسخ وبعث واحداً لأهل الشام وآخر لأهل مصر، ونسخ أخرى إلى البصرة واليمن. وسُميت تلك النسخ بالمصاحف الأئمة وأمر الناس الالتزام بهذه النسخ وإتلاف ما سواها، مما كان لديهم من مصاحف وبذلك حفظ القرآن كتاب الله.

كان عثمان بن عفان يتميز بالعدل والحكمة والرحمة بالناس، وعُرف عنه الزهد والقناعة رغم الثراء العظيم حوله.

قال الحسن: رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة.. ويقوم وأثر الحصى بجنبه. فنقول: أهذا أمير المؤمنين!! أهذا أمير المؤمنين!؟

ويقول شرحبيل بن مسلم: كان عثمان يطعم الناس طعام الإمارة، وعندما يدخل بيته كان يأكل الخل والزيت.

كان عثمان بن عفان كثير العبادة، يداوم على قيام الليل ويهتم بحاجات المسلمين ويحثهم على الجهاد، فيقول:

- أيها الناس إني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله - ﷺ- كراهية تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرئ لنفسه ما بدا له. سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل".

كان عثمان بن عفان في كلماته وخطبه ومواقفه تعاليم جديدة للمسلمين ترشدهم إلى أفضل السبل، للتقرب من الله، وكيف يكون الدين عملا وجهادا وحياة يومية نقية لوجه الله، كذلك واصل عثمان بن عفان نشر نور الإسلام في البلاد، وتوسعت في عهده الدولة الإسلامية، وامتدت في أنحاء كثيرة.

كانت نهاية حياة عثمان بن عفان مؤلمة، حيث مات مقتولاً وهو يتلو آيات القرآن الكريم في يوم الجمعة ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـ.

وقد أخبر النبي ﷺ أن عثمان سوف يُقتل مظلوماً، وأنه من الشهداء. وذلك ذات يوم صعد النبي – ﷺ– وأبو بكر وعمر وعثمان جبل أحد، فاهتز الجبل بهم. فقال له النبي:

– أسكن أحد.. فليس عليك إلا نبي وصِدّيق وشهيدان.

ورحل عثمان بن عفان والمصحف مازال بين يديه يقرأ من سورة الرحمن... ونظر بعينيه إلى الأفاق البعيدة ليحلق في رحلة جديدة بين الموت والحياة.وانتحبت أشجار الوادى وبكت عصافير الشجر العاري لمقتل ثالث الخلفاء الراشدين وأحد الصحابة الأوفياء.

-٤-
علي بن أبي طالب

أبو الحسن علي بن أبي طالب القرشي.. العلامة المستنير والشاعر المبدع القدير.. والفقيه الحكيم.. والقلب الرحيم.. والشجاع الذى واجه كل محنة.. وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

كان غلاما عندماً أظهر بن عمه محمد ﷺ دعوته فآمن به وشب على حبه وتأصلت عقائد الإسلام في قلبه.

وكان أشد القوم تشبثاً بدينه وأقواهم حماسة في الدفاع عن حوزته، وأسرعهم إلى التفاني في إعلاء منارته ونشره في القبائل وأثقلهم يداً على أعدائه من مبتدعين وخوارج.

وبلغ علي بن أبي طالب مكانة رفيعة في الإسلام فكان في مواقع القتال بطلاً شديداً عنيداً وخصماً مظفراً لم يرجع قط منهزماً من نزال. وفي محافل الأمة خطيباً بارعاً، آراؤه آيات باهرات وأقواله حكم معجزات. وما وصل إلينا من خطبه وجوامع كلمه وُسِمَ كله بطابع البلاغة الرائعة والحكمة الواسعة، ويشهد له ببعد الغور ورسوخ القدم فى الكمالات الإنسانية ويحله محلاً سامياً مجالس أرباب العلوم السنية.

كان على بن أبي طالب مع ما امتاز به عن قومه من قرابة النبي ومقام الخلافة زاهداً في حطام الدنيا، مع وفرة الأموال المتدفقة على بيت المال في أيامه، لكثرة الفتوحات واتساع الدولة، ولكنه كان زاهداً لا يستحيي من رقع قميصه ورتق نعله بيده.

وقد وقف معاوية بن أبي سفيان عامل الشام طامحاً إلى الخلافة، فما كاد يبلغه مقتل عثمان وكان أموياً مثله — فهب لبلوغ أمنيته بدعوى المطالبة بدم الخليفة القتيل. ورفض مبايعة علي وبث روح العداء له بين أهل الشام واصطنع الأحزاب ببذل الأموال الفاحشة وحشد الجيوش ونازل علياً.

والتقى الخصمان في موقعة صفين.. وكانت الحرب سجالاً ولكنهم اتفقوا على إقامة حكمين، فاختار علي وأصحابه أبا موسى الأشعري، وحكم أصحاب معاوية عمرو بن العاص، وأقنع عمرو بن العاص أبا موسى أن يخلع كل منهما صاحبه ليتيسر انتخاب خليفة يرضى به الفريقان. قنع أبو موسى، وتقدم إليه عمرو أن يبدأ بالكلام فى الناس متظاهراً بإجلال سنه وقدره فخطب أبو موسى وخلع علياً، ثم قام عمرو فقرر خلع علي وتثبيت معاوية.

وتمزق حزب علي بن أبي طالب وقويت شوكة معاوية، ولكن جاءت الخلافة إلى علي بن أبي طالب لمدة أربع سنوات بعد ذلك.

وهكذا انتقلت الخلافة إلى بني أمية وجعلها معاوية وراثية في أعقابه، وكانت قبلاً شورى بين المسلمين.

قام الشريف الرضي من أهل القرن الخامس للهجرة بجمع ما ينسب إلى علي من الخطب والحكم في كتاب سماه "نهج البلاغة". من أشعار علي بن أبي طالب ما هو عذب الألفاظ ورقيق المعاني، وسهل المأخذ، فهو عنوان الفصاحة الحقيقية ومعظمه حكم وابتهالات:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً تنام — فالظلم مرتعه يفض إلى الندم يدعو

عينــــك والمظلـــــوم منتبـــــه — عليـــك وعـــين اللهلـــم تـــنم

لـو كـان هـذا العلـم يحـصل بـالمنى — ما كان يبقى فى البرية جاهلُ فندامة

أجهـد ولا تكـسل ولا تـك غـافلاً — العقـــــبى لمـــــن يتكاســــلُ

ولا خير في ود أمرئ متلون جواد إذا — إذا الريح مالت مال حيث تميلُ وعند

استغنيت عن أخذ ماله فما أكثر	احتمال الفقر عنك بخيلُ
الأخوان حين تعدهم رضينا قسمة	ولكنهم في النائبات قليلُ
الجبار فينا فإن المال يفنى عن قريب	لنا علم وللجال مالُ وإن العلم باق
وإذا المرء لم يحفظ ثلاثا وفاء	لا يزالُ فبعه ولو بكف من رمادُ
للصديق وبذل مال	وكتمان السرائر في الفؤادُ

من أشعار علي بن أبي طالب ما يدل على تفقه بالدين ونظرته العميقة للحياة فيقول:

لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلا	تباركت تعطي من تشاء وتمنعُ إليك
إلهي وخالقي وحرزي وموئلي	لدى الإعسار واليسر أفزعُ فمن ذا
إلهي لئن خيبتني وطردتني	الذي أرجو ومن ذا يشفعُ وأنت
إلهي ترى حالي وذلي وفاقتي	مناجاتي الخفية تسمعُ فؤادي فلي
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ	في باب جودك مطمعُ

ومن أشعاره في الحكمة:

الناس من جهة التماثل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواءُ يفاخرون به
فان يكن لهم فى أصلهم شرف	فالطين والماءُ على الهدى
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	لمن استهدى أدلاءُ وللرجال
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه	على الأفعال أسماءُ فإن نسبتنا جود
وإن أتيت بجود من ذوي نسب ففز	وعلياءُ فالناس موتى
بعلم ولا تبغ به بدلاً	وأهل العلم أحياءُ

توفي علي بن أبي طالب قتيلاً فقد قتله ابن ملجم وهو في طريقه لصلاة الفجر، وعمره ثماني وخمسون سنة ومدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر.

وتخضب لون النهار بالقتامة والسواد..وارتعش دعاء الفجر حزينا فوق المآذن والقباب.. وانساب نهر الحزن يغمر البيوت والديار في العالم الإسلامي.

-٥-

أبّان بن سعيد

الصحابي الصادق الشهيد.. صاحب الموقف الفريد.. في معركة اليرموك وقف يدافع في ثقة واقتدا.. ويحارب المشركين في إصرار.. لينقشع ظلام الجهل ويبزغ النهار.. وينجلي الظلام وينساب نور الإيمان.. في كل مكان.. يضيء جوانب المدينة ويغمر البلدان.

أبّان بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأمويّ أبو الوليد الأموي. وهو الذي أجار عثمان بن عفان يوم الحديبية حين بعثه النبي محمد ﷺ رسولاً إلى مكة.

والده سعيد بن العاص رجل من أكابر قريش. وأبّان له سبع إخوة اثنان أسلما قبله، وهما خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد، واثنان ماتا على دين الجاهلية، وهما العاص بن سعيد وعبيدة بن سعيد، وقد قُتلا في غزوة بدر، ولا يُعرف الباقون.

زوجته هي فاطمة بنت صفوان الكنانية. وقد هاجر أبان إلى المدينة وولاه الرسول الكريم على البحرين، ومات النبي ﷺ وأبان مازال والياً على البحرين.

ومن المواقف التي تُقص عن موقف أبّان من الإسلام أنه ذات يوم كان في تجارة له بالشام قبل أن يعلن إسلامه، فشاهد راهباً فجلس معه يقص عليه ما فعله الرسول ﷺ في مكة، وأن الرسول عليه السلام رسول أرسله الله كما أرسل من قبل كافة الأنبياء.

فقال الراهب: ما اسم هذا الرسول.

فقال أبان: اسمه محمد.

فقال الراهب: سوف أصفه لك.

وبدأ الراهب في ذكر صفات النبي ﷺ ونسبه وسنه.

وعجب أبان وقال للراهب: هو كذلك.

فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب ثم ليظهرن على الأرض.

ثم توجه إلى أبان وقال مؤكدا:

- أقرئ الرجل الصالح السلام.

ومنذ ذلك الحادث الغريب ظل أبان يفكر في الإسلام حتى دخل عثمان بن عفان إلى مكه، فأجاره أبان بن سعيد وحمله على فرسه حتى دخل مكة وقال له:

- أسلك في مكة حيث شئت آمناً.

وعاش أبان بن سعيد مثالاً للصحابي الشجاع لا يهاب الموت ويناصر الرسول ﷺ، حتى استشهد في معركة اليرموك، وحزن عليه المسلمون وبكاه كل من عرفه وشاهد مواقفه الرائعة.

ورحل الصحابي الصادق الشهيد.. صاحب الموقف الفريد.. في معركة اليرموك وقف يدافع في ثقة واقتدار.. ويحارب المشركين في إصرار.. لينقشع ظلام الجهل

وييـزغ النهـار.. وينجلـي الظـلام وينـساب نـور الإيمـان.. في كـل مكـان... يـضيء جوانب المدينة ويغمر البلدان.

-٦-

أبو إمامة الباهلي

أبو إمامة الباهلي صدى بن عجلان.. رجل الموقف والعزة والإيمان.. ارتوى من نهر الرحمن.. بعد أن كان جائعا ظمآن.. يدعو القوم إلي تعاليم القرآن.. وأحاديث الرسول العظيم الإنسان.

أبو إمامة غفا وعلى رأسه العمامة.. يرى في المنام علامة.. فقد ارتوى ليوم القيامة.. ووقف يتحدى الجراح. .صابرا في انتظار شروق الصباح.

وحين أعلن أبو إمامة إسلامه قرر الرسول – ﷺ– أن يرسله إلى قومه في مدينة أهلة، ليدعوهم إلى الإسلام ونبذ عبادة الأصنام والإيمان بعقيدة الله، وأن محمد رسول الله.

واستقبله القوم في مدينته بالحقد والغضب والكراهية وصاحوا غاضبين:

– سمعنا أنك أسلمت؟

فقال أبو أمامة لهم بثقة وشجاعة وإيمان عميق:

– أجل.. آمنت بالله ورسوله، وقد أرسلني رسول الله إليكم أدعوكم إلى عبادة الله الواحد الأحد وأعرض عليكم الإسلام.

وتحدث إليهم أبو إمامة الباهلي عن دين الإسلام وكيف جاء بالحق والخير والتسامح، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الباطل إلى الحق ومن الفساد إلى الصراط المستقيم.

ولكن لم يقتنع القوم بكلامه إليهم وظلوا على شركهم وعبادة أوثانهم، وشعر أبو إمامة بالحزن الشديد والآرهاق وكاد يموت عطشا فقال لهم:

– ويحكم ايتوني بشربة ماء فإني شديد العطش.

ولكنهم منعوا الماء والطعام عنه، وقرروا أن يذيقوه العذاب والحرمان ليخضع لهم ويستسلم، ولكن أبو إمامة ظل ثابتا متحديا قومه لا يخضع لهم أبدا فقالوا له:

– سوف ندعك تموت عطشًا.

وتمزق قلب أبو إمامة لوحشية القوم وموقفهم الغاضب الذي يتسم بالجاهلية، وغلب عليه النعاس في مجلسه وغفا في الصحراء حيث الطقس شديد الحرارة يلفح وجهه وجسده، والظمأ كاد يقتله والجوع ينهش فى أحشائه.

وأثناء إغفاءته شاهد في منامه من يقدم له إناء فيه شراب لم ير الناس أجمل منه لونًا وطعمًا، فأخذه منه وشرب حتى ارتوى. فلما شبع من الشراب استيقظ من نومه فلما رآه القوم قد استيقظ قال رجل منهم:

– يا قوم أتاكم رجل من سراة القوم فلم تعطوه ما يريد فأتوني بلبن.

فقال له أبو أمامة مبتسما:

– لا حاجة لي به إن الله أطعمني وسقاني.

فالتفوا حوله يستفسرون منه وصاحوا:

- ماذا حدث يا أبا أمامة؟

فحكى لهم ما رآه في منامه فأسلموا جميعًا.

وقال أبو أمامة بعد ذلك:

- فوالله ما عطشت ولا عرفت عطشًا بعد تلك الشربة.

عاش أبو إمامة الباهلي مجاهدا في سبيل الله والرسول، يحب الجهاد والخير والفضائل والعبادات، ويتصدق على الفقراء والمساكين ويدعو الناس إلى الخير والثواب، ومن مواقفه في يوم معركة بدر أنه أراد أن يخرج مع رسول الله ﷺ، فقال له خاله أبو بردة بن نيار:

- ابق مع أمك العجوز لتقض حاجتها.

فقال له أبو أمامة:

- بل ابق أنت مع أختك.

وظل كل منهما يريد أن يخرج مع الرسول للجهاد فاحتكما إلى رسول الله في ذلك، فأمر رسول الله ﷺ أبا أمامة أن يبقى مع أمه.

ولكن في كل الغزوات التالية كان أبو إمامة الباهلى يساند الرسول ﷺ، ويلازمه ولا يتركه أبدا ويحث المسلمين على القتال من أجل العقيدة. وظل كذلك مع خلفاء الرسول ﷺ لرجل الصحابي المحارب والفارس المؤمن الذي يحلم بالشهادة.

وكانت نهاية حياته في الشام في مدينة حمص سنة ٨١هـ وله من العمر ٩١ عاما، وكان آخر من مات بالشام من صحابة رسول الله ﷺ.

ومازال التاريخ الإسلامي يذكر هذا الصحابي أبو إمامة الباهلي صدى بن عجلان.. رجل الموقف والعزة والإيمان.. ارتوى من نهر الرحمن.. بعد أن كان جائعا ظمآن.. يدعو القوم إلى تعاليم القرآن.. وأحاديث الرسول العظيم الإنسان.

ابو إمامة غفا وعلى رأسه العمامة.. يرى في المنام علامة.. فقد ارتوى ليوم القيامة ووقف يتحدى الجراح.. صابرا في انتظار شروق الصباح.

-٧-

أبو العاص بن الربيع العبشمي القرشي

أبو العاص بن الربيع.. الشاب الوسيم البديع.. المسافر في رحلة الشتاء والصيف.. عنيداً هاربا في لحظات خوف.. فارس يجتاز الصحراء وهجيرها.. يتهادى في الدنيا ونعيمها.. شامخاً في كبرياء.. يستجير بزوجته نبع الوفاء.. ويرد الأمانة والحقوق.. فما أصدقه من صديق!!

رجل ثري العطاء من كبار التجار بين مكة والشام تسكنه الشهامة والوعد الصادق مع الرجال.. خالته خديجة بنت خويلد تكرمه وتفضله وكذلك الرسولﷺ.

تزوج أبو العاص زينب بنت محمد، وبعدها أشرقت مكة بالنور الإلهي وبعث الله نبيه محمداً ﷺبدين الهدى، وأمره بأن ينذر عشيرته الأقربين فآمنت به زوجته وبناته، ولكن أبا العاص رفض أن يفارق دين آبائه رغم أن زوجته زينب قد أسلمت.

وخلال النزاع بين الرسول ﷺ وقريش ذهب بعض منهم إلي أبا العاص، ليطلق زينب ويردها إلى دار أبيها محمد، ولكنه رفض وقال:

"لا والله إني لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها نساء الدنيا جميعا".

وفي معركة بدر سقط أبو العاص أسيراً لدى المسلمين. وكان الرسول ﷺ قد فرض على الأسرى فدية يفتدون بها أنفسهم من الأسر. فبعثت زينب رسولها إلى المدينة يحمل فدية زوجها أبي العاص، وهي قلادة كانت أهدتها لها أمها خديجة بنت خويلد يوم زفتها إليه.

وعندما شاهد الرسول ﷺالقلادة رق لابنته وتألم من أجلها وقال لأصحابه:

- إن زينب بعثت بهذا المال لافتداء أبي العاص. فإن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها فافعلوا.

فقالوا: نعم.. ونعمة عين يا رسول الله.

لكن النبي ﷺ اشترط على أبي العاص قبل إطلاق سراحه أن يرد إليه ابنته زينب، فما كاد أبو العاص يبلغ مكة حتى عادت زينب إلى بيت أبيها محمدﷺ.

وذات يوم خرج أبو العاص في تجارة له فهاجمه المسلمون واستولوا على قافلته فهرب إلى زوجته زينب يطلب الحماية. وفي صلاة الفجر بالمسجد صرخت زينب وقالت:

- أيها الناس أنا زينب بنت محمد، وقد أجرت أبا العاص فأجيروه.

فقال الرسولﷺ لابنته. زينب:

- أكرمي مثوى أبي العاص واعلمي أنك لا تحلين له.

ثم دعا رجال السرية الذين استولوا على القافلة وقال لهم:

- إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم.. وقد أخذتم ماله.. فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له.. كان ما نحب. وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم. وأنتم به أحق. فقالوا:

- بل نرد عليه ماله يا رسول الله..

فلما جاء لأخذه قالوا له:

- يا أبا العاص إنك في شرف من قريش. وأنت ابن عم رسول الله وصهره. فهل لك أن تسلم. ونحن ننزل لك عن هذا المال كله فتنعم بما معك من أموال أهل مكة وتبقى معنا في المدينة؟

فقال: بئس ما دعوتموني أن أبدأ ديني الجديد بغدرة.

ومضى أبو العاص بالعير وما عليها إلى مكة، فلما بلغها أدى لكل ذي حق حقه ثم قال:

- "أما وإني قد وفيت لكم حقوقكم. فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. والله ما منعني من الإسلام عند محمد في المدينة إلا خوفي أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم.. فلما أداها الله إليكم.. وفرغت ذمتي منها أسلمت.

ثم خرج حتى قدم على الرسول ﷺ فأكرم وفادته ورد إليه زوجته، وكان يقول عنه:

- حدثني فصدقني.. ووعدني فوفى لي.

وعاشا أبو العاص حياته مدافعا عن الإسلام ومواجها أعداء الدين في شجاعة، ويخوض المعارك في فروسية نادرة لا يهاب الموت حتى رحل إلى السماء يجلل وجه نورا من الرحمن وبسمة مشرقة بالإيمان.

-٨-

أبو ثعلبة الخشني

الصحابي الذى تنفس الصعداء.. إذ تصعد روحه إلى السماء.. وهو يصلى صلاة العشاء.. وتحلق حوله نجوم وأطيار.. وتبكى لرحيله سنابل وأزهار.. ويرحل مع الشموس والأقمار.

كان في كل مساء يخرج ويتأمل الفضاء.. ويحدق في وجه الصحراء.. والأفق الملون بالضياء ويعجب ويقول:

- سبحانك يا خالق الأرض والسماء.

أبو ثعلبة الخشني من صحابة ﷺ اقرأ أمامه القرآن وتعلم بين يديه علوم الدين والبيان وأتقن التفسير وحفظ الأحاديث وأصبح من الرواة. وذات ليلة حين كان يتفكر في عجائب الكون وخلق السماوات والأرض راودته فكره الموت فقال لأصحابه:

- إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تختنقون.

أبو ثعلبة الخشني صحابي جليل، شهد بيعة الرضوان وغزا حنينا، وكان ممن نزل الشام بداريا غربي دمشق إلى جهة القبلة. ويعتبر أبو ثعلبة الخشني من رواة الحديث، ومن هذه الأحاديث قال:

أتيت النبي فقلت: "يا رسول الله، اكتب لي بأرض كذا وكذا بالشام"، فقال: "ألا تسمعون ما يقول هذا"، فقال أبو ثعلبة: "والذي نفسي بيده لنظهرن عليها" فكتب له بها. ومن الأحاديث الأخرى التى رواها عن الرسول ﷺ. قال النبي ﷺ: "إن أفضل ما أكل الرجل من كسب يمينه، أما من يعجز عن السبب لضعف أو لقلة حيلة، فقد جعل الله له حظا في الزكاة".

وكانت وفاته وهو ساجد للصلاة حين نادت عليه ابنته فوجدته قد فارق الحياة، وهو مازال فوق سجادة الصلاة. وذلك سنة ٧٥ من الهجرة. وهكذا تكون نهاية حياة هذا الصحابي الكريم الذى مات فوق سجادة الصلاة في خشوع أمام العلي القدير. هذا الذي تنفس الصعداء. إذ تصعد روحه إلى السماء.. وهو يصلى

صلاة العشاء. وتحلق حوله نجوم وأطيار.. وتبكى لرحيله سنابل وأزهار.. ويرحل مع الشموس والأقمار.

-٩-

أبو حذيفة بن عتبة

أبو حذيفة بن عتبة يسكن في عينية سر الأسرار.. يرى أباه مشركا يرمى في بئر من الآبار.. يبكى حزنا لقومه الكفار.. آه لو صدق أهله وأشرق النهار.. آه لو تابعوا الرسول والأنصار؟

يا أبا حذيفة نفذ السهم وحم القضاء.. فمن مضى لا عودة للوراء.. انكشف القوم وتبعثروا أشلاء.. وسقط الظلام وعم الضياء.

هذا أبو حذيفة بن عتبة ابن عتبة بن ربيعة شيخ قريش وأخته هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان. كان من السابقين إلى الإسلام. فقد أسلم قبل دخول المسلمين دار الأرقم بن أبي الأرقم. وهاجر مع امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك ابنه محمد بن أبي حذيفة، ثم قدم على الرسول في مكة فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، وشارك في الحروب والغزوات مع جيش المسلمين والرسول – ﷺ.

عاش أبو حذيفة مسلماً صادقاً وأحد فرسان جيش المسلمين بينما أبوه وأخوه وعمه يقفون في صفوف المشركين. وكم تمنى لهم الهداية، ولكن ظلت نفوسهم مغلقة وعقولهم غافلة عن نور الإسلام.

وفي غزوة بدر كاد أبو حذيفة أن يبارز أبيه الكافر عتبة بن شيبة، ولكن أخته هند بنت عتبة قالت شعرًا.. جعلته يصرف النظر عن مبارزة أبيه.

وبعد انتهاء غزوة بدر.. أمر الرسول ﷺأن يسحب القتلى المشركين لتطرح جثثهم في البئر.. ثم وقف على حافة البئر وخاطب المشركين، وقال:

- يا أهل القليب.. هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا.. فإني قد وجدت ما وعدني ربى حقًّا؟ فقالوا: يا رسول الله، تكلم قومًا موتى؟

قال: والذي نفسي بيده.. ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.. ولكنهم لا يستطيعون الجواب.

ورأى أبو حذيفة أباه يُسحب ليرمي في البئر فتغير لونه وأصابه الحزن، وشعر النبي ﷺبالحزن في وجه حذيفة، فقال له:

- كأنك كاره لما رأيت؟

فقال: يا رسول الله إن أبي كان رجلاً سيدًا، فرجوت أن يهديه ربه إلى الإسلام.. فلما وقع الموقع الذي وقع أحزنني ذلك.

وظل أبو حذيفة بن عتبة يحلم أن يستشهد في سبيل الله، وحين واجه مسيلمة الكذاب في اليمامة كانت نهاية هذا الصحابي حيث جرح وأصيب، وسقط شهيدا كما كان يتمنى دائما.

ورحل عن الدنيا راضياً مطمئناً مبتهجا للقاء الأخير في جنات رب العالمين، بعد أن عاش حياته معذبا من أجل قومه، مشاركا في الغزوات، حبيبا للمسلمين، ومن أفضل صحابة الرسولﷺ.

-١٠-

أبو دجانة الأنصاري

الصحابي أبو دجانة الأنصاري.. فارس يصارع الريح والأهوال.. شهر سيف الرسول وامتطى المحال.. واجه غبار الحروب ومعارك القتال.. فتح الحصون وشق الصحراء والرمال.

توغلت في صدره طعنات الرماح.. وسقط شهيداً تنزف منه الجراح.. تعلو روحه إلى جنات الخالدين.. في رحاب رب العالمين.

مواقف أبو دجانة كثيرة تؤكد صدق عزيمته وبطولة ذاته وجرأته في مواجهة الأخطار فها هو يمد يده إلى سيف الرسول ﷺ يوم معركة أحد.

والرسول يقول:

- من يأخذ مني هذا؟

فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا.. أنا.

فقال رسول الله:

- فمن يأخذه بحقه؟

فأحجم القوم. فقال أبو دجانة:

- أنا آخذه بحقه.

وقبض أبو دجانة على سيف الرسول ﷺ، ووضع عصابته الحمراء حول جبينه، ونظر إليه الأنصار والصحابة وقالوا بفخر:

- اخرج أبو دجانة عصابة الموت.

ويمضى الفارس في ساحة المعركة وهو يردد:

أَنَا الذي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَنْا لا أُقِيمَ الدَّهرَ في الكبُولِ أَضرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وبدأ أبو دجانة يحصد أعناق أهل الشرك والكفر، ويتقدم الصفوف وينازل الأعداء في خفة ومهارة وبراعة الفارس البطل.

وإذا تباشير النصر في أحد تشرق في عيون المسلمين يترك الرماة أماكنهم، ويذهبون لجمع الغنائم فرأى المشركين ثغرة ينفذون منها إلى صفوف المسلمين مرة أخرى.

ويفر بعض المسلمين ويظل الباقي حول الرسول، ﷺ، في المعركة وبرز معهم أبو دجانة يدفع السهام عن رسول الله، بعدما رأى كتائب المشركين تريد الوصول إليه. فتصدى لهم بكل ما أوتى من قوة. أملا في الحصول على الشهادة.

وفي عصر الخليفة أبو بكر الصديق واصل أبو دجانة جهاده وشارك في حروب الردة. وكان في مقدمة جيش المسلمين الذاهب إلى اليمامة لمحاربة مدعى النبوة مسيلمة الكذاب وقومه بني حنيفة.

وقاتل قتالا مريرا حتى انهزم المرتدون.. وهربوا إلى حديقة مسيلمة واختفوا خلف أسوارها وحصونها المنيعة.

فألقى المسلمون بأنفسهم داخل الحديقة وفي مقدمتهم أبو دجانة.. ففتح الحصن. وحمى القتال فكسرت قدمه ولكنه لم يهتم.

وواصل جهاده حتى مزقت جسده طعنات السهام والسيوف فسقط شهيدًا على أرض المعركة تلوح في عينية ابتسامة رضا وآمان، لأنه سيكون من الشهداء في جنات الخلد.

ومازال التاريخ يذكر هذا الصحابي الذى وهب حياته من أجل المسلمين ودافع عن العقيدة حتى الشهادة. وترك أمثلة لرجل الكلمة ورجل الفروسية والروح المضيئة بنور الإسلام.

-١١-
أبو ذر الغفاري

أبـو ذر الغفـاري الـصحابي الوحيـد.. والفـارس العنيـد.. عـدو الثـراء.. رفيـق الفقـراء.. البطـل الـشجاع في وجـه الخلفـاء والأمـراء.. لا نفـاق لا مـراء.. وإنـما الحـق الذى جاء من السماء.

أبـو ذر الغفـاري صـوت الحـق والحريـة.. والـصوت الـصارخ في البريـة.. يـسقط وحيدا في الصحراء.. لا رفيق.. لا صديق لا رداء. وأنين زوجته نحيب وبكاء.. يموت وحيدا دون صوت أو عزاء.

أبو ذر الغفاري.. الصحابي الجليل الذي صاح في وجه الأثرياء قائلا:

- لا حاجة لي في دنياكم.. يكفيني قوت يومي.

وخـرج يعلـن غـضبه على هـؤلاء الـذين يكنـزون الـذهب والفـضة ولا ينفقونهـا في سبيل الله، ويقول: "عجبت لمن لا يجد قوت يومه.. كيف لا يشهر سيفه..!

ينتمي أبو ذر الغفاري إلى قبيلة غفار التي كانت من قطاع الطريق، ولكن الله يهدي من يشاء من عباده. فقد ازداد رسول الله إعجاباً بدخول أبو ذر إلى الإسلام، فهو فارس شجاع لا يخاف كبيراً في قول الحق وذو عقل وفكر مستنير.

وقد قرأ الرسول الكريم ﷺ بعض آيات من القرآن على أبي ذر الغفاري، فإذا به يتأثر وتشفى روحه، وتملأ شغاف قلبه ووجدانه المعاني الإنسانية الرفيعة، وهو يستمع إلى الكلام العذب الجميل الذي يطهر النفس من آثامها ويدعو إلى عبادة الله الواحد القهار.

كان المسلمون في تلك الفترة يواجهون حربا شعواء من كفار قريش، وعندما اعتنق أبو ذر الإسلام بدأت جماعات الكفار تخشى من المسلمين حيث يزدادون قوة بدخول رجال أقوياء النفس إلى الإسلام.

وعن يوم إسلامه سأل أخاه عن الدين الجديد وقرر أن يواجه المسلمين ويذهب إلى محمد الأمين ليعرف منه أمر هذا الدين. وسافر إلى النبي ودخل عليه وقال: السلام عليكم.

فكان أول من حيا الرسول بتحية الإسلام. وبعد أن سمع أبو ذر بعض آيات من القرآن مست ذاته وفكره أعلن إسلامه. وقال له الرسول ﷺ:

- يا أبا ذر امكث في قبيلتك حتى أأمر بظهور الدين.

ولكن أبا ذر الغفاري رفض أن يخفي أمر إسلامه وصاح ثائراً:

- والذي نفسي بيده لأرفعن صوتي بها بين ظهرانيهم.

وذهب أبو ذر إلى تجمع كفار قريش وصاح بصوت جهوري عال:

– أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

وتكاثر الكفار حوله وانهالوا عليه ضرباً حتى سقط فاقد الوعي. وعندما أفاق راح يردد الشهادة مرة أخرى ولم يتركه الكفار إلا خوفهم من قبيلته التي تمر تجارتهم من أمامها.

وعندما انتشرت الفتوحات الإسلامية، واتسعت رقعتها وظهرت مظاهر الثراء والترف خطب أبو ذر الغفاري وقال:

– يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء.. وبشر الذين يكنزون الفضة والذهب ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بهم جباههم وجنوبهم وظهورهم.

وسمع معاوية والي الشام بأنباء ما يفعله أبو ذر الغفاري فأراد أن يختبره، ليرى مدى صدقه فأرسل إليه ألف دينار ثم عاد ليطلبها منه مرة أخرى، فقال أبو ذر للرجل المرسل من قبل معاوية:

– إن المال وزعناه على الفقراء فلو انتظرنا ثلاثة أيام جمعناه.

وبذلك أدرك معاوية أن أبا ذر صادق في دعوته للخير من أجل الفقراء.

وثار أبو ذر على معاوية عندما رآه يبني قصراً يسمى "الخضراء"، وقال له:

– إن كان هذا من مال المسلمين فهو خيانة، وإن كان من مالك فهو إسراف يا معاوية لقد أغنيت الغني وأفقرت الفقير.

وحاول عثمان بن عفان أن يكتم صوت أبا ذر في الشام وانتقاداته لسياسة معاوية، فحاول أن يبقيه في المدينة فرفض وقال:

– لا حاجة لي في دنياكم.. يكفيني قوت يومي.

وعرضت عليه إمارة أحد البلاد فقال: لا والله لن تميلوا علي بدنياكم أبداً.

فقد ناضل ضد الأثرياء ووظف بلاغته في التعبير عن موقفه حين يقول:

- الفقر أحب إليّ من الغنى ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها. يا معشر الأغنياء أنفقوا مال الله على عباده ولا تقولوا يد الله مغلولة، وإن الله فقير ونحن الأغنياء.

وذات مرة قال له رجل: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد؟

فقال أبو ذر: الحمد لله الذي يأخذهم من دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء.

وكان هذا الرجل يود أن يشير عليه بالزواج من امرأة أخرى فقال له أبو ذر:

- لأن أتزوج امرأة تضعني.. أحب إليّ من امرأة ترفعني.

ومرض أبو ذر واشتد عليه الألم وامرأته تبكي بجواره فقال لها:

- ما يبكيك؟

فقالت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب أكفنك فيه.

ورحل أبو ذر الغفاري بعد أن كفنه فتى من الأنصار وهكذا عاش حياته يمشي وحيداً ويموت وحده ويبعث وحده.

وكان فقيهاً في الإسلام بليغاً في عباراته وخطيباً بارعا يؤثر في النفوس ويذهل الأسماع.

كما أنه كان من رواة الحديث وحافظاً للقرآن الكريم وتعاليم الإسلام يعظ أصحابه، ويقف ضد الفساد، ويدعو إلى الفضائل والخير والجهاد مع الرسول، من أجل إعلاء كلمة الحق ونشر العدل والدين.

ويرحل أبو ذر الغفاري الصحابي الوحيد.. والفارس العنيد.. عدو الثراء.. رفيق الفقراء.. البطل الشجاع في وجه الخلفاء والأمراء.. لا نفاق لا مراء.. وإنما الحق الذى جاء من السماء.

أبو ذر الغفاري صوت الحق والحرية.. والصوت الصارخ في البرية.. يسقط وحيدا في الصحراء.. لا رفيق.. لا صديق لا رداء. وأنين زوجته نحيب وبكاء.. يموت وحيدا دون صوت أو عزاء.

-١٢-

أبو سفيان بن الحارث

أبو سفيان بن الحارث الشاعر الحزين.. والصحابي الذى أدرك اليقين.. وعاش محارباً مدافعاً عن الرسول والمسلمين.. حياته صفحات مشرقة بالكفاح.. يعدو فوق الروابي رغم الجراح.. حتى حفر قبره واستراح.

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أحد فضلاء الصحابة وابن عم النبي وأخوه في الرضاعة، إذ أرضعتهما حليمة السعدية.

قال عنه النبي:

– أبو سفيان بن الحارث سيد شباب أهل الجنة.

وقف أبو سفيان قبل إسلامه ضد الدعوة يحارب المسلمين، ويشارك في كل الحروب ضدهم ويهجوهم بشعره. ويصف حرب بدر مع المسلمين فيقول:

– والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا.. ويأسروننا كيف شاءوا.. وايم الله مع ذلك ما لمتُ الناس.. لقينا رجالاً بيضًا على خيل بين السماء والأرض والله ما تليق شيئًا.. ولا يقوم لها شيء ولا يقف أمامها شيء.

وحين أسلم أبو سفيان بن الحارث وتسرب النور إلى روحه، وفاض قلبه بالحب والخير لله والرسول، وأيقن أنه خرج من الضلالة إلى الهدى واليقين توجه مع ابنه جعفر وعبد الله بن أبي أمية للقاء الرسول - ﷺ.

وفي بادئ الأمر أعرض عنهم ﷺ، ولكن أم سلمة قالت:

- لا يكن ابن عمك وأخو ابن عمتك أشقى الناس بك.

وقال علي بن أبي طالب لأبي سفيان:

- ايت رسول الله من قبل وجهه فقل له ما قال أخوة يوسف ليوسف: {تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين} (يوسف: ٩١) فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه. ففعل أبو سفيان ذلك.

فقال له الرسولﷺ:

- {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين} (يوسف: ٩٢) وأسلم أبو سفيان، وأصبح من أفاضل الصحابة ورجل الفتوحات الذى تميز بالهمم العالية والطموح والمثابرة.

وكانت حياة أبو سفيان بن حارث رحلة من الكفاح من أجل نشر الدعوة الإسلامية والجهاد في الحروب مع الرسول - ﷺ- وكانت مواقفه في الحروب تؤكد عمق إيمانه الكبير.

في غزوة حنين ظل مدافعا عن الرسول - ﷺ- مواجها الموت وحراب المشركين حتى احتشد جمع المسلمين المحاربين وقاتلوا في تضحية وفداء.

ولما مات الرسول حزن عليه أبو سفيان بن حارث حزنًا شديدًا، ورثاه بالشعر فقال:

أرقـــت فبـــت ليلـــي لا يـــزول	وليـــل أخـــي المـــصيبة فيـــه طـــول
وأســـعدني البكـــاء وذاك فيمـــا	أصـــيب المـــسلمون بـــه قلـــيل
لقـــد عظمـــت مـــصيبتنا وجلـــت	عـــشية قيـــل قـــد ذهـــب الرســـول
وكـــادت أرضـــنا ممـــا عراهـــا	يكـــاد بنـــا جوانبهـــا تميـــل
فقـــدنا الـــوحي والتنزيـــل فينـــا	يـــروح بـــه ويغـــدو جبرائـــيل
وذاك أحـــق مـــا ســـألت عليـــه	نفـــوس النـــاس أو كـــادت تـــسيل
نـــبي كـــان يجلـــو الـــشك عنـــا	بمـــا يـــوحى إليـــه ومـــا يقـــول

وذات يوم خرج أبو سفيان للحج، وهناك وافته منيته، وكانوا قد شاهدوه من قبل يحفر قبرًا فتعجبوا من ذلك، فقال لهم:

- إني أعد قبري.

ولم تمض ثلاثة أيام حتى مرض فبكى عليه أهله، فلما رآهم يبكون قال لهم:

- لا تبكوا علي فإني لم أتلطخ بخطيئة منذ أسلمت.

ورحل الشاعر الحزين والصحابي الأمين الذى أُضيئت حولة شموع التوبة والمغفرة وتجلت روحه نقية تعانق السماء.

ومضى إلى السماء أبو سفيان بن الحارث الشاعر الحزين.. والصحابي الذى أدرك اليقين.. وعاش محارباً مدافعاً عن الرسول والمسلمين.. حياته صفحات مشرقة بالكفاح.. يعدو فوق الروابي رغم الجراح.. حتى حفر قبره واستراح.

-١٣-

أبو سفيان بن حرب

أبو سفيان صخر بن حرب.. دار السلام والأمان والثناء.. ورجل العز والصدق والكبرياء.. في خطاه عزم وإباء.. وكلماته وعد ووفاء.. وحياته نفحات عطاء.. خطيب من أبرع الخطباء.. بليغ العبارات.. كثير الدعاء.. من سادة الرجال وأفضل الحكماء.

والد أم حبيبة زوجة النبي ووالد أمير المؤمنين معاوية وواحد من أشراف العرب وسادتهم وحكمائهم وكان يكبر النبي بعشر سنين.

أسلم يوم الفتح وشهد مع الرسول ﷺ غزوة حنين وأعطاه من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية فقال للرسول:

- والله إنك لكريم فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت.. ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت.. جزاك الله خيراً.

قال العباس: يا رسول الله.. إن أبا سفيان رجل يحب الفخر والذكر فأكرمه.

فقال الرسول: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه على نفسه فهو آمن.

وفي يوم الطائف أصيبت عين أبي سفيان فأتى النبي، وقال:

- هذه عيني أصيبت في سبيل الله.

فقال له النبي: إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فالجنة.

فقال أبو سفيان: الجنة.

وقاتل أبو سفيان يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد وسمعه أحد الصحابة وهو يقول: "يا نصر الله اقترب"، ثم وقف خطيبًا في الناس ويقول:

– أيها الناس الله الله إنكم سادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم سادة الروم وأنصار الشرك، اللهم هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك.

وكان أبو سفيان صادقًا حتى مع خصومه فلم تمنعه خصومته للنبي قبل إسلامه من قول الصدق أمام هرقل وهو يسأله عن محمد.

وعاش حياته مثالا كريما لرجل الحق والمسلم العابد والفارس المجاهد لا يخشى شيئا ولا يهاب الموت، وإنما كان يتمنى دائما أن يموت في ساحة القتال وتحت صدى أسنة السيوف وغبار المعارك.

ومات أبو سفيان بن حرب في عهد خلافة عثمان بن عفان ورحل إلى لقاء ربه محلقا في آفاق الخلد، بعد أن سجل حياة حافلة بالخير والعطاء بين المسلمين.

هكذا كانت حياة أبو سفيان صخر بن حرب.. دار السلام والأمان والثناء.. ورجل العز والصدق والكبرياء.. في خطاه عزم وإباء.. وكلماته وعد ووفاء.. وحياته نفحات عطاء.. خطيب من أبرع الخطباء.. بليغ العبارات.. كثير الدعاء.. من سادة الرجال وأفضل الحكماء.

-١٤-
أبو طلحة الأنصاري

أبو طلحة زيد بن سهل الخزرجي الأنصاري.. الصحابي رفيق الضياء.. الذي وهب الأرض للفقراء.. وافترش الثرى وهجر الثراء.. وسما عن عالم الفناء.. وخطا إلى

عالم البقاء. كثير العبادة.. كثير الصيام.. فارس في المعارك.. بارع في إطلاق السهام.

عاش أبو طلحة في الجاهلية يعبد الشجر والأصنام وحين رغب في الزواج من أم سليم وهي مسلمة قالت له بغرابة:

- ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟

قال: بلى.

قالت: أفلا تستحيي أن تعبد شجرة؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقًا غيره.

قال: حتى أنظر في أمري.

ثم عاد إليها يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فقالت لولدها أنس: يا أنس زَوِّج أبا طلحة.. فزوجه.

ومن فضائل أبو طلحة في حياته:

عاش أبو طلحة من أفاضل الرجال، ومن كبار الصحابة الأوفياء المدافعين عن رسول الله في الغزوات، فقد كان في غزوة أحد إذا رمى أبو طلحة سهمًا يرفع بصره ينظر إلى أين يقع السهم. وكان يدفع صدر الرسول بيده لخوفه عليه. ويقول:

– يا رسول الله هكذا لا يصيبك سهم.. نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء.

في غزوة حنين حارب ببسالة ودون خوف من الموت أو الطعنات حتى أنه قتل عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم.

كانت لديه قطعة أرض تسمى بيرحاء تمثل ثروة كبيرة له فلما نزل قوله تعالى: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}(آل عمران: ٩٢).

ذهب إلى النبي ﷺ وقال له:

- إن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت. فقال الرسول:

- بخٍ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت فيها وإني أرى أن تجعلها في الأقربين.

فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه والفقراء، ولم يعد يهتم بالمال وينفقه في سبيل الله.

كان أبو طلحة يصوم كثيرا ويجاهد في كل الغزوات، رغم كبر سنه لقوله تعالى: {انفروا خفافًا وثقالا}. فكان يقول لأبنائه:

- لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شبابا وشيوخًا يا بني جهزوني فإني خارج معكم إلى الغزو.

فيقول أبناؤه:

- يرحمك الله يا أبانا قد غزوت مع الرسول حتى مات.. وغزوت مع أبي بكر حتى مات.. وغزوت مع عمر حتى مات.. فدعنا نغزو عنك.

ولكنه صمم على رأيه ولبس ثياب الحرب وخرج معهم ومات أثناء غزوة في البحر. ولم يجد الصحابة جزيرة قريبة ليدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام ولم تتغير رائحة جسده. وكان موته سنة ٢٠ هـ.

ورحل الصحابي رفيق الضياء.. الذي وهب الأرض للفقراء.. وافترش الثرى وهجر الثراء.. وسما عن عالم الفناء.. وخطا إلى عالم البقاء. كثير العبادة.. كثير الصيام.. فارس في المعارك.. بارع في إطلاق السهام.

ورحل الرجل رفيق الصدق والصدقات.. حبيب الجهاد وفارس الغزوات.. تبكى عليه الجموع وتذكره الشمس كل طلوع.

-١٥-

أبو عبيدة بن الجراح

أبو عبيدة بن الجراح.. الصحابي الحليم.. ونابغة القرآن الكريم.. والمعلم الأمين.. والقلب الرحيم.. حكمته في كل مجال تضيء الطريق.. ومواقفه تنبئ عن فكر عميق.

أبو عبيدة بن الجراح حين أسلم وانضم إلى رسول الله - ﷺ- أصبحت له المكانة العليا في تعليم المسلمين مبادئ الدين والحياة. ويعتبر أحد العشرة المبشرين بالجنة.

روى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث. وكان أحب الناس إليه وقد أطلق عليه الرسول الكريم لقب أمين الأمة، وذلك لما تميز به من العلم والأمانة والصدق والزهد والإحسان والتصدق على الفقراء.

ومن أهم دلائل عبقرية هذا الصحابي أبو عبيدة بن الجراح واكتسابه العلم هذا الموقف الذي يؤكد ذلك. عندما جاء وفد نجران من اليمن طلبوا من الرسول -ﷺ -

أن يرسل معهم رجلاً أميناً عالماً في الدين يعلمهم. فقال الرسول - ﷺ- لهم: "لأبعثن معكم رجلاً أميناً".

وتمنى كل واحد من الصحابة أن يكون هو المقصود، ولكن النبي - ﷺ - قال: "قم يا أبا عبيدة".

ومن المواقف الأخرى التي تدل على مدى ما يتمتع به هذا الرجل من حكمة وعلم وأمانة يوم السقيفة، عندما اجتمع المسلمون لاختيار خليفة وقال أبو بكر الصديق:

- قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمربن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح. فبايع عمر أبا عبيدة فرفض.. وقدم أبا بكر الصديق.

عندما أسلم وقف أبوه ضده، وحاول أن يرده عن الإسلام، ولكن أبا عبيدة ظل راسخ الإيمان ملتزماً الصبر ومتحملاً الهوان من أبيه. وفي غزوة بدر شاهد أبو عبيدة أباه في صفوف المشركين، فحاول الابتعاد عنه، ولكن الأب قرر أن يقتل ابنه حقداً، ولكن الأب سقط قتيلاً بيد ابنه أبو عبيدة. وبذلك فضل أبو عبيدة عقيدته وحبه للرسول والدين الإسلامي عن الانحياز لأبيه الكافر.

وهنا نزل قول الله تعالى: "لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويُدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون" (المجادلة٢٢).

مات أبو عبيدة بن الجراح من أثر مرض الطاعون عندما أرسله عمر بن الخطاب على قيادة الجيش إلى الأردن في عمواس. وانتشر الطاعون هناك. وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ليرجع من هذه المدينة التى انتشر بها الطاعون.

وعرف أبو عبيدة أن عمربن الخطاب يريد إنقاذه من الطاعون، فتذكر قول النبي ﷺ: "الطاعون شهادة لكل مسلم".

فكتب إلى عمر يقول له:

- إني قد عرفت حاجتك.. فحللني من عزيمتك.. فإني في جند من أجناد المسلمين.. لا أرغب بنفسي عنهم.

فلما قرأ عمر الرسالة بكى.. وقيل له: "هل مات أبو عبيدة".

قال: لا وكأن قد.. (ويعنى وكأنه قد مات).

ومات أبو عبيدة وله من العمر ٥٨ سنة ودفن بالشام.

ورحل أبو عبيدة بن الجراح.. الصحابي الحليم.. ونابغة القرآن الكريم.. والمعلم الأمين.. والقلب الرحيم.. حكمته في كل مجال تضيء الطريق.. ومواقفه تنبئ عن فكر عميق.

-١٦-
أبو موسى الأشعري

الصحابي عبد الله بن قيس بن سليم.. صاحب القلب الرحيم.. والصوت العذب في تلاوة القرآن الكريم.. هذا أبو موسى الأشعري.. رجل المواقف عميق الإيمان.. سافر من أجل الدعوة في كل مكان.. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة،

ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله – ﷺ مع معاذ بن جبل إلى اليمن.

قال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي – ﷺ:

– إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار.

وقد صح من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله: "لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود".. فقلت: "يا رسول الله.. لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً".

وعن أبي سلمة قال كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا تعالى.. فيقرأ (أي القرآن).

وعن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري صلاة الصبح، فما سمعت صوت صنج ولا بربط (من آلات العزف) كان أحسن صوتاً منه.

من أقواله رضي الله عنه:

إن الجليس الصالح خير من الوحدة.. والوحدة خير من الجليس السوء.. ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر إلا يحذك يعبق بك من ريحه.. ألا وإن مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إلا يحرق ثيابك يعبق بك من ريحه.

– ألا وإنما سمي القلب من تقلبه.. وإن مثل القلب كمثل ريشة بأرض فضاء تضربها الريح ظهرًا لبطن.

- ألا وإن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم.. يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً. والقاعد فيها خير من القائم.. والقائم خير من الماشي.. والماشي خير من الراكب، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس البيوت.

عن الضحاك بن عبد الرحمن قال: دعا أبو موسى فتيانه حين حضرته الوفاة فقال:

- اذهبوا فاحفروا وأوسعوا وأعمقوا..

فجاءوا فقالوا:

- قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا.

فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين إما ليوسعن عليّ قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحن لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله عز وجل لي من الكرامة ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث.

ولئن كانت الأخرى ونعوذ بالله منها ليضيقن عليّ قبري حتى أكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

- توفي أبو موسى سنة اثنتين وخمسين، وقيل اثنتين وأربعين، وقيل أربع وأربعين، ودفن بمكة دفن بالثوية على ميلين من الكوفة.

وذهب الصوت وظل الصدى.. وطرقت الأبواب أيادي الردى.. وتجاوزت الروح المدى.. وظلت ذكراه عاطرة بالهداية والهدى.

ورحل الصحابي عبد الله بن قيس بن سليم.. صاحب القلب الرحيم.. والصوت العذب في تلاوة القرآن الكريم.. رجل المواقف عميق الإيمان الذي سافر من أجل الدعوة في كل مكان..

-١٧-

أبو هريرة

الصحابي الجليل.. والرجل النبيل.. والمجاهد الشجاع في الغزوات.. ورفيق الفقهاء في مجالس العلم.. ومن رواة أحاديث رسول الله – ﷺ.

أبو هريرة تميز بذاكرة قوية مبدعة تستوعب.. وتحفظ.. وتسترجع بسرعة وسهولة فقد تملكه إيمان راسخ في فكره.. وحب جامح لرسول الله ودعوته.. وشجاعة نادرة.. وبطولة مدهشة في الحروب والغزوات.

يقول الإمام الشافعي عنه: "إن أبا هريرة حقاً من علماء الحديث في الحفظ، وبل أكثرهم رواية وإنه أحفظ من روى الحديث في دهره".

يقول أبو هريرة عن نفسه: "ما من أحد من أصحاب رسول الله – ﷺ – أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب".

حاز أبو هريرة من العلم في الحديث وتفسير الآيات شأناً كبيراً حتى أن الصحابة جميعا كانوا يسألونه ويستفسرون منه عن دلالات بعض الآيات القرآنية. وقد امتلأ بيته بطلاب العلم يجلس بينهم يتحدث في العقيدة الإسلامية.. ويشرح بعضاً من آيات القرآن ويفسر مواقف الرسول – ﷺ– مستدلاً بالحديث النبوي الشريف.

ولد أبو هريرة في قبيلة دوس بالجزيرة العربية، وأعلن إسلامه في عام فتح خيبر، وقد حاول كثيراً أن يدعو أُمه للإسلام فكانت ترفض حتى كان يبكي أمام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال الرسول: "اللهم اهد أم أبي هريرة". وحين عاد إلى أُمه قالت له: "يا أبا هريرة.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله".

وعاد أبو هريرة فرحاً إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلام أمه وقال له: "ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عبادة المؤمنين ويحببهم إلينا"، فقال رسول الله: "اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين.. وحبب إليهم المؤمنين".

وقال أبو هريرة: "فما خُلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني".

ومنذ أن أعلن أبو هريرة إسلامه وهو مرافق للرسول في كل مكان في السلم والحرب والغزوات يسمع منه.. ويتحدث بحديثه.. حتى صار موسوعة علمية تتنقل من مكان لآخر.

ويتحدث أبو هريرة عن حياته فيقول:

– نشأت يتيماً.. وهاجرت مسكيناً.. وكنت أجيراً عند بسرة بنت غزوان بطعام بطني.. فكنت أخدم إذا نزلوا.. وأحدوا إذا ركبوا — أى أمشي أجر ركائبهم – فزوجينها الله. فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً.

كان أبو هريرة داعية أيضاً من دعاة الإسلام يراقب الناس ويسدي لهم النصائح.. ويساعد الجميع.. ويحمل حزم الحطب على ظهره عندما كان نائباً على إمارة البحرين ويراه الناس في السوق دون تميز أو منصب أو جاه.

وذات مرة شاهد الناس قد انشغلوا بمباهج الحياة فوقف وسط السوق وقال:

- يا أهل السوق.. إن ميراث رسول الله يُقسم وأنتم هنا.. ألا تذهبون لتأخذوا نصيبكم منه. فقالوا: وأين؟ قال لهم: في المسجد. وذهب الناس إلى هناك ولم يشاهدوا شيئاً يُقسم. فعادوا إليه وقالوا له: "رأينا قوماً يصلون.. وقوماً يقرءون القرآن.. وقوماً يذكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: فذاك ميراث محمد- ﷺ- وفي نهاية حياته كان يبكي ونظروا إليه متسائلين: ما يبكيك؟

قال: من قلة الزاد وشدة المفازة.

وبكى شوقاً إلى ربه وقال:

- اللهم إني أحب لقاءك فأحبب لقائي.

وتوفي بالمدينة سنة ٥٩ هـ وعمره ٧٨ سنة، ودفن بالبقيع وحزن عليه الناس جميعاً وأمة المسلمين.

ورحل أبو هريرة الرجل الذي ولد يتيما.. وعاش مسكينا.. وعمل أجيراً.. يحمل الحطب على ظهره وهو أميرا.. عاش فقيرا.. ومات فقيرا.

رحل الصحابي الجليل.. والرجل النبيل.. والمجاهد الشجاع في الغزوات.. ورفيق الفقهاء في مجالس العلم.. ومن رواة أحاديث رسول الله ﷺ.

-١٨-
أبو الدرداء

أبو الدرداء بن قيس بن عامر الخزرجى الأنصاري رجل العلم والقيادة.. كثير التقوى والسجود والعبادة.. تبحر في فنون الكتابة.. وأصبح من كبار علماء الصحابة، وقد أُطلق عليه حكيم الأمة الفريد.. لتميزه بالتفكير العلمي السديد..

والنظرة المتدبرة للحياة. والموقف الحازم الرشيد ومواجهة الأزمات بتقوى وإيمان شديد.

بعد أن أعلن إسلامه اهتم بالعلم والعبادة.. فأقبل على حفظ القرآن الكريم.. والتعلم من الرسول ﷺ من خلال أحاديثه وتعليماته وكلماته وحياته. ونبذ أبو الدرداء تجارته التي كان يهتم بها وقال: أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة.. فلم يستقم.. فتركت التجارة.. وأقبلت على العبادة.

كان حريصاً على العلم والتفقه في الدين الإسلامي ومشاورة الرسول - ﷺ- حتى أصبح صاحب الحكمة.. والقرار.. والرأي السديد. قال عنه الصحابة: "أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء".

من كلماته في حث المسلمين على العلم يقول:
- لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً.. ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً. إن أخوف ما أخاف إذا وقفت للحساب أن يقال لي: ما عملت فيما علمت؟ ويل للذي لا يعلم مرة.. وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

أبو الدرداء الأنصاري رجل العلم والمعرفة.. والمعلم الحكيم الذي علم الناس القرآن الكريم وتعاليم الرسول - ﷺ- النابعة من الأحاديث والسنة النبوية. وفي مجلسه يحث الناس على طلب العلم ويقول: "مالي أرى علماءكم يذهبون.. وجهالكم لا يتعلمون!! تعلموا فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر".

ومن المواقف التى تؤكد عمق إيمانه وتقواه وثقته بالعلماء أن يزيد بن معاوية تقدم ليخطب ابنة أبي الدرداء فرفض أبو الدرداء. ثم تقدم لخطبتها رجل فقير من أهل العلم والتقوى. فزوجها أبو الدرداء منه.

تعجب الناس من ذلك وسألوه فقال لهم: "ما ظنكم بابنة أبي الدرداء إذا قام على رأسها الخدم والعبيد وبهرها زخرف القصور..؟ أين دينها يومئذ؟ ليس الخير أن يكثر مالك وولدك.. ولكن الخير أن يعظم حلمك.. ويكثر علمك.. وأن تبارى الناس في عبادة الله تعالى.

ومن المواقف الأخرى التى تدل على ورعه وحكمته وزهده أنه كان مع المسلمين في قبرص وانتصر المسلمون.

ووقف أبو الدرداء يرقب النصر والأسرى والسبايا والغنائم الكثيرة. فبكى أبو الدرداء كثيراً. فقال له جبير بن نفير:

– تبكى في هذا اليوم الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله؟

فقال أبو الدرداء:

– يا جبير.. بينما هذه الأمة قاهرة.. إذا عصوا الله فلقوا ما ترى!! ما أهون العباد على الله إذ هم عصوا.

توفي سنة ٣٢هـ في أثناء خلافة عثمان بن عفان بعد رحلة كفاح مضيئة بالفضائل وطموحات النفس العالية.. والروح الظامئة إلى الخلد.. صاعدا إلى آفاق السماء في هالة من الوجد والضياء.

ورحل أبو الدرداء بن قيس بن عامر الخزرجى الأنصاري رجل العلم والقيادة.. كثير التقوى والسجود والعبادة.. تبحر في فنون الكتابة.. وأصبح من كبار علماء الصحابة.

وقد أُطلق عليه حكيم الأمة الفريد.. لتميزه بالتفكير العلمي السديد.. والنظرة المتدبرة للحياة. والموقف الحازم الرشيد ومواجهة الأزمات بتقوى وإيمان شديد.

-١٩-

أُبي بن كعب

أبو المنذر أُبي بن كعب أحد علماء الصحابة.. وعقلية باحثة في فنون الكتابة.. جال في الكتب المقدسة القديمة.. واكتشف الحكم العظيمة.. وقرأ في التوراة والإنجيل.. وتنبأ بنور الرسول.. نور الهداية للبشرية.. واستلهم رؤياه من المعاني الدفينة في بطون الكتب وتبحر في علوم الدين والأدب.

ولد في المدينة المنورة وتعلم القراءة والكتابة وتبحر في إطلاعه على الكتب الدينية من الإنجيل والتوراة، وحفظ الكثير منها، وتكونت لديه حقائق كثيرة ونظريات في الحياة والدين حتى أصبح من العلماء قُبيل ظهور الإسلام.

أسلم أبو المنذر عندما جاء مصعب بن عمير يدعو أهل يثرب للإسلام، وسأله عن صفات النبي ﷺ فوصفه مصعب له، وقرأ له آيات من القرآن الكريم فأدرك أبو المنذر أن هذا هو نبي آخر الزمان كما جاءت صفاته في الكتب المقدسة التي كان يقرأ فيها.

حفظ أُبي بن كعب القرآن وأصبح من كُتاب الوحي ومن أفضل الصحابة في قراءة وتلاوة القرآن.

ومن دلائل عبقرية هذا الصحابي أن عمر بن الخطاب كان يحترمه ويقدر علمه ويستفسره في بعض القضايا. وقد قام أبو المنذر بجمع الناس لصلاة التراويح في رمضان وكانوا من قبل كل يصلي وحده.

والرسول ﷺ يسأله: "أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" ويقول أبو المنذر: الله ورسوله أعلم. فأعاد النبي سؤاله: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم"؟ فيقول أبي المنذ: الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهمولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيهُ السماوات والأرض ولا يؤودُهُ حفظهما وهو العلي العظيم.

فضرب النبي صدره بيده في رفق ودعا له بالخير.

ومن أقوال أُبي بن كعب التي تدل على خبرته بالعلم وتفقهه في الدين قوله:

– ما ترك أحد منكم لله شيئا إلا أتاه الله ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به وأخذه من حيث لا يعلم إلا أتاه ما هو أشد عليه من حيث لا يحتسب.

قال له رجل ذات يوم: أوصني. فقال له أُبي بن كعب:

– اتخذ كتاب الله إماماً.. وأرض به قاضياً.. وحكماً.. فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم.. شفيع.. مطاع.. وشاهد لا يُتهم فيه ذكركم وذكر من قبلكم.. وحكم ما بينكم وخيركمُ وخيرُ ما بعدكم.

- المؤمن بين أربع.. إن ابتلى صبر.. وإن أُعطى شكر.. وإن قال صَدق.. وإن حكم عدل.. فهو يتقلب في خمسة من النور.. وهو الذي يقول الله: "نور على نورٍ" كلامه نور.. وعلمه نور.. ومدخله في نور.. ومخرجه من نور.. ومصيرهُ إلى النور يوم القيامة.

- والكافر يتقلب في خمسة ظلم أو ظلمات: فكلامه ظُلمة.. وعمله ظُلمة.. ومدخله ظُلمة.. ومخرجه في ظُلمة.. ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة.

ويقول الرسول عن علماء الصحابة:

- أرحم أمتي بأمتي أبو بكر.. وأشدهم في أمر الله عمر.. وأصدقهم حياء عثمان.. وأقرؤهم لكتاب الله أبي ابن كعب.. وأفرضهم — أعلمهم بالمواريث - زيد بن ثابت.. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل.. ألا وإن لكل أمة أميناً.. وأن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وتوفى أُبي بن كعب بعد مرض شديد في سنة ٣٠هـ وحزن عليه المسلمون، وكانت جنازته يموج فيها البشر، وقالوا: "رحل سيد المسلمين وأمير الدنيا والدين.. قارئ آيات القرآن الكريم.. والمجاهد الفذ الحليم".

وغاب عن الحياة أبو المنذر أُبي بن كعب أحد علماء الصحابة.. وعقلية باحثة في فنون الكتابة.. جال في الكتب المقدسة القديمة.. واكتشف الحكم العظيمة.. وقرأ في التوراة والإنجيل.. وتنبأ بنور الرسول.. نور الهداية للبشرية.. واستلهم رؤياه من المعاني الدفينة في بطون الكتب وتبحر في علوم الدين والأدب.

-٢٠-

أسعد بن زرارة

أسعد ابن زرارة من أصغر النقباء.. ورجل البر والتقوى والفداء.. كثير الكرم رقيق الحس شديد الحياء.. حياته نهرا من الصدق والعطاء.. في حديثه بلاغة الفقهاء.. ومواقفه حكمة وعبرة وذكاء.

أسعد بن زرارة دخل مكة ذات يوم مع رفيقه ذكوان بن عبد القيس يتحاكمان إلى عتبة بن ربيعة في خلاف بينهما. وحين سمعا أخبار الرسول – ﷺ– ذهبا إليه لمعرفة شيئا عن هذا الدين الجديد.

وأمام الرسول – ﷺ– انسابت الكلمات في الوجدان.. واستوعب العقل دلالات البيان وجماليات القرآن. وتأثرت الروح التى كانت في الظلمات حيرى واهتدت في نور الإسلام.

وأعلن أسعد بن زرارة إسلامه مع رفيقه، وكانت تلك بداية طريق النور والجهاد في سبيل الله. ورجع أسعد بن زرارة إلى المدينة فكان أول رجل مسلم يدخل المدينة وبدأ في الدعوة الإسلامية ومساندة الرسول – ﷺ.

تعددت مواقف أسعد بن زرارة خلال حياته التي اتسمت بالكرم وعزة النفس والعبادة والزهد في الدنيا، ومن هذه المواقف أنه كان من الصحابة الذين شهدوا بيعة العقبة الأولى والثانية. وكان أول من بايع النبي واختاره رسول الله ﷺ نقيبًا على قبيلته ولم يكن في النقباء من هو أصغر منه.

عاش أسعد بن زرارة رجلا مسلما كريمًا، وهناك قصص كثيرة تروى عنه منها أنه استضاف مصعب بن عمير عندما بعثه الرسول إلى المدينة ليعلم أهلها الإسلام.

ووقف مع مصعب بن عمير بين الناس يتحدثان عن فضائل الدعوة الإسلامية ويقص أسعد قصة إسلامه وكيف اهتدى إلى الحق وتعلم من الرسول – ﷺ – عقائد الدين والعبادات وفرائض الجهاد.

وأسلم عدد كبير من الناس فكان أسعد يصلى بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل ابن رافع وحين رأته أم زيد بن ثابت قالت:

– انظر إلى رسول الله لما قدم في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم، أي مسجد الرسول.

عندما مرض أسعد بن زرارة مرضا شديدا وشعر بدنو الأجل زاره النبي – ﷺ– فكان أسعد راضيا صابرا بحكم الله راغبا في الرحيل إلى جنات الخلد.

ترتسم على قسماته سمات القناعة والصبر، وأوصى أسعد بناته إلى رسول الله حتى يكفلهن بمودته وحبه. ورحلت روحه إلى السماء منطلقة وهلع الصحابة لأجله وصلوا عليه ودفن بالبقيع.

وسجل التاريخ صفحات مشرقة لسيرة هذا الصحابي الجليل الذي عاش مضيئا بعلمه وعقيدته وجهاده مع المسلمين الذي كان من أصغر النقباء.. ورجل البر والتقوى والفداء.. كثير الكرم رقيق الحس شديد الحياء.. حياته نهرا من الصدق والعطاء.. في حديثه بلاغة الفقهاء.. ومواقفه حكمة وعبرة وذكاء.

-٢١-

أُسيد بن حُضير

أُسيد بن حُضير.. دنت الملائكة لصوت القرآن على شفتيه.. وغمامات في السماء لاحت لعينيه.. هذا الصوت الشجي الجميل.. والموقف الأمين الجليل.. كان زعيماً من خير الزعماء.. وفي ليلة العقبة الثانية كان أحد النقباء.. أشرق وجهه بالنور واليقين.. حين استمع إلى كلام رب العالمين.

كان أُسيد بن حضير فارس قومه في الغزوات.. وأبوه زعيم الأوس. الرجل الحكيم في الأزمات. أما عن إسلام أسيد بن حضير فقد انطلق إلى مصعب بن عمير غاضباً فقال له مصعب:

- أَوَ تَجْلِس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره؟

وبدأ مصعب بن عمير يشرح معاني الإسلام في الرحمة والعدل والتسامح والغفران. وقرأ عليه بعض الآيات.. فأشرق وجه أسيد بالنور وتجاوز الصحراء وطوته رحمة السماء.

ولم يكد مصعب ينتهي من حديثه حتى صاح أُسيد قائلاً:

- ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين؟ فقال له مصعب:

- تُطهّر بدنك وثوبك وتشهد شهادة الحق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم تصلي.

وتجلت مواقف أسيد بن حضير مضيئة بجهاده وعزمه لفداء الرسول، وتحقيق الرسالة، وقد اختاره الرسول ليكون أحد النقباء ليلة العقبة الثانية.

ومن المواقف النورانية الروحية التي تجلت أمام أسيد أنه كان يقرأ القرآن الكريم وفرسه مقيدة بجواره. فهاجت حتى كادت تقطع الحبل، وعلا صهيلها، فسكت عن القراءة فهدأت ولم تتحرك.

فقرأ مرة ثانية، فهاجت فرسه وتكرر هذا المشهد عدة مرات، فسكت خوفاً منها على ابنه الصغير الذي كان ينام في مكان قريب منها، ثم نظر إلى السماء فإذا به يرى غمامة مثل الظلة في وسطها مصابيح مضيئة وهي ترتفع إلى السماء.

وحين أخبر الرسول ﷺ بما رأى فقال له:

- تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصْبَحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم.

ومن المواقف الأخرى التي تعبر عن عمق إسلامه ومناصرته للرسول، عندما قال عبد الله بن أبي بن سلول لمن حوله من المنافقين أثناء غزوة بني المصطلق:

- لقد أحللتموهم بلادكم. وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال أسيد: "فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شاء الله، هو الذليل وأنت العزيز أرفق به، فقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه على المدينة مَلِكاً فهو يرى أن الإسلام قد سلبه مُلكاً".

والموقف الآخر الذي يدل على حكمته حين اجتمع الأنصار بعد وفاة النبي، وطالبوا بالخلافة فوقف أسيد بن حضير مخاطباً الأنصار قائلاً:

– تعلمون أن رسول الله كان من المهاجرين، فخليفته إذن ينبغي أن يكون من المهاجرين. ولقد كنا أنصار رسول الله – ﷺ– علينا اليوم أن نكون أنصار خليفته.

وعن مكانته ومدى تقدير الصحابة له تقول السيدة عائشة:

ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل، كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر.

عاش أسيد عابداً باذلا روحه وماله في سبيل الله وندم على تخلفه عن غزوة بدر وقال:

– ظننت أنها العير، ولو ظننت أنه غزو ما تخلفت.

وقد جُرح أسيد يوم أُحد سبع جراحات، ولم يتخلف عن غزوة بعدها قط.

وتوفي أسيد في عام ٢٠ هـ ، وأصرَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يحمل نعشه على كتفه.

ودفنه الصحابة بالبقيع بعد أن صلوا عليه. ونظر عمر في وصيته فوجد أن عليه أربعة آلاف دينار. فباع ثمار نخله أربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه. وهكذا يرحل أحد الصحابة الأوفياء ورجل المواقف والفارس والقلب المضيء بنور الإسلام والصوت الذي استمعت إليه الملائكة من سابع سماء.

-٢٢-
الأحنف بن قيس

الصحابي الحكيم.. وللصلاة مقيم.. من سادة تميم.. حدث عن الخلفاء وأخذ من العلماء.. وأتقن القرآن.. وبرع في البيان.. فصيح اللسان.. شديد الإيمان عبقري في كل مجال.

الأحنف بن قيس. ضُرب به المثل في الحلم والورع كما ضُرب المثل في الذكاء بالقاضي إياس فكانوا يقولون: "في حلم أحنف وذكاء إياس".

إنه الصحابي الجليل الأحنف بن قيس.. ولقد دعا له النبي ﷺ فقال "اللهم اغفر للأحنف فكان الأحنف يقول فما شيء أرجى عندي من ذلك".

هو الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك، وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل.

كان سيد تميم.. أسلم في حياة النبي – ﷺ– ووفد على عمر. حدث عن عمر وعلي وأبي ذر والعباس وابن مسعود وعثمان بن عفان وعمرو بن جاوان والحسن البصري وعروة بن الزبير وطلق ابن حبيب وعبد الله بن عميرة، ويزيد بن الشخير وخليد العصري وآخرون وهو قليل الرواية.

وقال خالد بن صفوان:

–كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه. وقيل للأحنف إنك كبير والصوم يضعفك قال إني أعده لسفر طويل.

قال سليمان التيمي قال الأحنف ثلاث في ما أذكرهن إلا لمعتبر: ما أتيت باب سلطان إلا أن أدعى.. ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما.. وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير.

وقال: ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمور: إن كان فوقي عرفت له قدره.. وإن كان دوني رفعت قدري عنه.. وإن كان مثلي تفضلت عليه.. وقال لست بحليم ولكني أتحالم.

من كلمات الأحنف:

- ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.
- من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.
- وسئل ما المروءة، قال: "كتمان السر، والبعد عن الشر، والكامل من عُدت سقطاته".
- رأس الأدب آلة المنطق، لا خير في قول بلا فعل ولا في منظر بلا مخبر ولا في مال بلا جود، ولا في صديق بلا وفاء، ولا في فقه بلا ورع، ولا في صدقة إلا بنية، ولا في حياة إلا بصحة وأمن، والعتاب مفتاح التقالى، والعتاب خير من الحقد. ورأى الأحنف في يد رجل درهما فقال: لمن هذا؟ قال لي: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر، وتمثل أنت للمال إذا أمسكته، وإذا أنفقته فالمال لك.

وقيل:

كان الأحنف إذا أتاه رجل وسع له فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له.

ويقول: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام إني أبغض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه.

وقيل إنه كلم مصعباً في محبوسين قال: أصلح الله الأمير إن كانوا حبسوا في باطل، فالعدل يسعهم وإن كانوا حبسوا في الحق فالعفو يسعهم.

وقال: لا ينبغي للأمير الغضب، لأن الغضب في القدرة مفتاح السيف والندامة.

– لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفة.

وهكذا رحل أحد الصحابة النجباء.. رجل العبادة والصلاح والدعاء.. حياته.. كانت زهد واستغفار.. وجهاد في وضح النهار.. وسيف يغزو الآفاق ينشر النور والإشراق.

مات الأحنف سنة ٦٧هـ ورحل الصحابي الحكيم.. وللصلاة مقيم.. من سادة تميم.. حدث عن الخلفاء وأخذ من العلماء.. وأتقن القرآن.. وبرع في البيان.. فصيح اللسان.. شديد الإيمان عبقري في كل مجال.

-٢٣-
الأرقم بن أبي الأرقم

الصحابي رفيق الأبرار.. صاحب الدار.. مخبئ الصحابة والكبار.. للنقاش والحوار.. وقراءة الأسرار.. في آناء الليل وأطراف النهار.

الأرقم بن أبي الأرقم القرشي المخزومي أبو عبد الله، أحد السابقين إلى الإسلام والتابعين لنور الحق والخير والسلام.

وفي دار الأرقم على جبل الصفا يجلس النبي مع أصحابه الأصدقاء بعيدًا عن أعين المشركين الأعداء ليعلمهم القرآن وشرائع السماء. وفي هذه الدار أسلم كبار الصحابة وأوائل الرجال والنساء.

هذا الأرقم بن أبي الأرقم يهاجر إلى المدينة والقلوب أليمة والعيون حزينة.. ويشاهد عذابات الترحال بين السهول والجبال ويشارك في معارك وغزوات.. فارسا من الفرسان ومجاهدا في الميدان.

ومن مواقفه مع الرسول أن الأرقم أراد الخروج إلى بيت المقدس وجاء إلى النبي يودعه فقال له النبيﷺ:

- ما يخرجك يا أبا عبد الله.. أحاجة أم تجارة؟

فقال له الأرقم:

- يا رسول الله! بأبي أنت وأمي.. إني أريد الصلاة في بيت المقدس.

فقال له الرسولﷺ:

- صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. وآمن بكلمات الرسول وعاد إلى داره مطيعًا للنبي ومنفذًا لأوامره.

وظل الأرقم يجاهد في سبيل الله لا يبخل بماله ولا نفسه ولا وقته في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين حتى جاءه مرض الموت.

ولما أحس بقرب أجله في عهد معاوية بن أبي سفيان أوصى بأن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص. ثم مات الأرقم.

وكان سعد غائبًا عن المدينة آنذاك. فأراد مروان بن الحكم أمير المدينة أن يصلي عليه فرفض إبنه عبيد الله بن الأرقم.

فقال مروان:

- أيحبس صاحب رسول الله لرجل غائب؟

ورفض ابنه عبيد الله بن الأرقم أن يصلي عليه أحد غير سعد بن أبي وقاص. وتبعه بنو مخزوم على ذلك. حتى جاء سعد وصلى عليه ودفن بالعقيق سنة ٥٥هـ.

وانطفا المصباح وظلت الظلال.. وغاب الحوار.. وتردد السؤال: كيف رحل مع الخالدين.. وذكراه مازالت في قلب المسلمين؟

ورحل الصحابي رفيق الأبرار.. صاحب الدار.. مخبئ الصحابة والكبار.. للنقاش والحوار.. وقراءة الأسرار.. في آناء الليل وأطراف النهار.

-٢٤-

البراء بن مالك

البراء بن مالك بن النضر.. تخفق روحه بيوم الشهادة.. لا يهاب الموت لا يعرف الهوادة.. فارس العزائم أمير القيادة.. اغتال مائة فكانت له الريادة.. تغنى بالشعر وحسن العبارة.. وضرب بالسيف في ثقة ومهارة.. في كل مدينة وحصن وإمارة.

البراء بن مالك بن النضر أخو أنس بن مالك خادم رسول الله شارك في غزوة أحد، وكثير من الغزوات الأخرى مجاهدًا في سبيل الله. وكل أمانيه أن يموت شهيدًا.

البراء بن مالك في إحدى المعارك قتل بمفرده مائة رجل فقد دخل عليه أخوه أنس مرة وهو يتغنى بالشعر، فقد منحه الله صوتًا جميلا فقال له:

- يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به ما هو خير منه القرآن؟

فقال له: أتخاف عليَّ أن أموت على فراشي ،لا والله ما كان الله ليحرمني الشهادة في سبيله، وقد قتلت مائة بمفردي سوى من شاركت في قتله.

في حروب الردة عبر عن بطولة فائقة اذهلت عقول البشر. وفي يوم اليمامة يلجأ إليه القائد خالد بن الوليد ليثير عزائم الرجال المحاربين ويدفعهم إلى مواجهة الكفار المرتدين عن الإسلام.

فقام البراء وصاح في المسلمين مشجعًا ومحفزًا لهم على القتال وقال:

- يا أهل المدينة.. لا مدينة لكم اليوم.. إنما هو الله وحده والجنة.

واندفع البراء أمام الجيوش مواجها الأعداء في قتال عنيف، ومن خلفه المسلمون حتى انتصروا، وهرب الكفار إلى أحد الحدائق يحتمون خلفها.

فإذا بالبراء بن مالك يقول:

– يا معشر المسلمين، ألقوني إليهم.

ودخل البراء الحديقة وحارب بشجاعة حتى تزعزع الكفار وهربوا بين جريح وقتيل. وجرح البراء، وقام خالد بن الوليد على علاجه بنفسه شهرًا كاملا.

وفي لقاء جيوش المسلمين مع الفرس لجأ الفرس إلى استخدم كلاليب من حديد معلقة في أطراف سلاسل ملتهبة محماة بالنار.. يلقونها من حصونهم فترفع من تناله من المسلمين.

وسقطت إحدى هذه الكلاليب على أنس بن مالك. فلم يستطع أنس أن يخلص نفسه، فرآه البراء، فأسرع نحوه، وقبض على السلسلة بيديه، وأخذ يجرها إلى

أسفل حتى قطعت، ثم نظر إلى يديه فإذا عظامها قد ظهرت وذاب اللحم من عليها، ونجا أنس بن مالك من الموت.

وفي معركة أخرى مع الفرس في موقعة تُسْتُر كان البراء أحد جنود المسلمين، فخرج للقتال، وكاد المسلمون أن ينهزموا. فاقترب بعض الصحابة من البراء قائلين له:

– يا براء، أتذكر يوم أن قال الرسول عنك: "كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك؟"

ثم طلب الصحابة منه أن يدعو الله لهم فرفع البراء يده إلى السماء داعيًا:

– اللهم امنحنا أكتافهم.. اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم.. اللهم ألحقني بنبيك.

ثم انطلق بفرسه يقتحم جيش الفرس حتى تحقق النصر للمسلمين، ولكن البراء بن مالك يصاب بطعنات قاتلة ويهوى عن فرسه وتحتويه رمال الصحراء المخضبة بدمه.

ورحل الفارس الذى أذهل الأصدقاء وأطاح بالأعداء وكان من النماذج الرائعة في التضحية والفداء. وتوفي في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠ هـ.

وظل البراء بن مالك بن النضر.. تخفق روحه بيوم الشهادة.. لا يهاب الموت لا يعرف الهوادة.. فارس العزائم أمير القيادة.. اغتال مائة فكانت له الريادة.. تغنى بالشعر وحسن العبارة.. وضرب بالسيف في ثقة ومهارة.. في كل مدينة وحصن وإمارة.

-٢٥-

البراء بن معرور

البراء بن معرور الخزرجي الأنصاري.. أحد رجال الصحابة الكرام تميز بالتأمل الشديد في الأنام.. والتفكير في عجائب الخلق والكلام.. له في الكون استلهام.. وفي أحوال الزمان عبر وأحكام... ومتابعة أحاديث الرسول - ﷺ- بانتظام.. ومتابعة أمور المسلمين والإسلام.

تميز أيضاً بالكرم والعطاء، حيث أوصى بثلث ماله للفقراء من المسلمين وعاش في المدينة قبل أن يهاجر إليها الرسول ﷺ وأسلم وأتبع الدعوة بقلب خاشع ونفس تواقة للخير والخروج من عصر الجاهلية إلى نور اليقين.

خرج البراء يومًا مع نقباء الأنصار إلى مكة وفي الطريق حان وقت الصلاة، وكانت قبلة المسلمين في ذلك الوقت ناحية بيت المقدس.

فقال البراء لمن معه من المسلمين:

- يا هؤلاء قد رأيت ألا أدع هذه البنية — يقصد الكعبة - مني بظهر — وراء ظهري.. وأن أصلي إليها.

فقال له أصحابه:

- والله ما بلغنا أن رسول الله يصلي إلا إلى الشام أي بيت المقدس. وما نريد أن نخالفه.

فقال البراء:

- إني لمصلٍّ إلى الكعبة.

فقالوا له:

- ولكنا لا نفعل.

فكان البراء إذا حضرت الصلاة يصلي ناحية الكعبة، وباقي أصحابه يتجهون ناحية بيت المقدس.

وظلوا على هذه الحال حتى وصلوا مكة وكانوا يعيبون على البراء صلاته ناحية الكعبة، حتى إنه شك فيها وخاف أن يكون بفعله هذا قد خالف الله ورسوله.

ولما وصل الأنصار إلى مكة أسرع البراء إلى رسول الله وقال له:

- يا نبي الله .. إني خرجت في سفري هذا.. وقد هداني الله للإسلام.. فرأيت ألا أجعل هذه البنية الكعبة مني بظهر فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي شك من ذلك. فماذا ترى يا رسول الله؟

فقال له رسول الله:

- لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها.

ثم أمره أن يصلي ناحية بيت المقدس. فاستجاب البراء لأمر الرسول ثم عاد البراء إلى المدينة.

وعندما هاجم المرض البراء وظل يعاني أدرك الجميع أنه الموت. فنظر البراء إلى أهله والناس حوله وقال على فراش الموت:

- استقبلوا بي ناحية الكعبة.

وظل يتأمل من نافذة غرفته وجه السماء متخيلاً الكعبة أمامه وانكسر الضوء على قسمات وجهه وفارق الحياة. فكان بذلك أول من استقبل الكعبة بوجهه حياً وميتاً حتى جاء أمر الله بتغيير القبلة إلى الكعبة.

ومـات الـبراء بـن معـرور الـصحابي المتأمـل في الكـون والراحـل في ملكـوت الله، ترفرف روحه في عالم النور والإيمان.

-٢٦-

الحسن بن علي

الحسن رجـل الحلـم والحكمـة.. والمفكـر الـذى وهـب للنـاس علمـه.. إذا تحـدث أتقـن معـاني الكـلام.. وإذا عـبر أجـاد في إحكـام.. وإذا تنـاول قـضية أفتـى فيهـا بعلـوم القرآن. فهو التقي المؤمن الساجد.. شباب أهل الجنة العابد.

حفيد رسول الله الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. ولد في النصف الثاني من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول عن الحسن والحسين:

– هذان ابناي وابنا ابنتي.. اللهم إني أحبهما.. فأحبهما وأحب من يحبهما.

ويقول الرسول ﷺ:

- هـذا ملـك لم ينـزل إلى الأرض قـط قبـل هـذه الليلـة اسـتأذن ربـه أن يـسلم علـيّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.. وأن الحسن والحسين سيدا أهل الجنة.

نـشأ الحـسن متحليـاً بـصفات رسـول الله فـتعلم منـه واكتـسب غـزارة في العلـم وسـعة في الأفـق وذكـاء كبـير، وقلـب خاشـع وروح تتجلـى بالعبـادة ونفـس تتحلـى بالطهر والنقـاء والإيمـان العميق. وتميز أيضاً بالحكمـة والتدبر والرحمة والمحبة والتسامح والعبادة.

روى كثيراً من الأحاديث النبوية عن جده الرسول ﷺ، وتفهم معاني الإيمان الحق.. ووقف بين الناس مثالاً كريماً لرجل العلم والدين.

كان الحسن صورة نبيلة تتحلى بأسمى الفضائل.. وأجل السمات الإنسانية، حيث عاش مع رسول الإسلام يتعلم منه ويسمع وينصت بشغف لتعاليمه ويستمد الشجاعة والبطولة من مواقف جده الرسولﷺ.

وكذلك تعلم من أبيه علي بن أبي طالب أروع صور العلم والحكمة والقيادة والفداء، واستطاع هو وأخيه الحسين أن ينهلا من علم الأب والجد.

ومن مواقفه الحكيمة أنه تنازل عن الخلافة عندما أدرك أن هذا سوف يؤدي إلى حرب ونزاع بين المسلمين. وقد شارك في فتح بلاد طبرستان وأفريقيا وموقعة الجمل وصفين والحرب ضد الخوارج.

ومن كلماته التي تدل على حكمته وفصاحته:

– هلاك الناس في ثلاث: الكبر.. الحرص.. الحسد. فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس. والحرص عدو النفس.. وبه أخرج آدم من الجنة.. والحسد رائد السوء وبه قتل قابيل وهابيل.

– لا أدب.. لمن لا عقل له.. ولا سؤدد لمن لا همة له.. ولا حياء لمن لا دين له.

– إن المؤمن من تصغر الدنيا في عينيه.. ويخرج على سلطان بطنه وفرجه وجهله..لا يسخط.. ولا يشكو.. إذا جالس العلماء كان أحرص الناس على أن يسمع منهم على أن يتكلم.. لا يشارك في ادعاء ولا يدخل في مراء.

توفي الحسن في ربيع الأول سنة ٥٠ هـ . بعد حياة حافلة بالعلم والعبادة.. ورحل الحبيب.. ومالت الشمس إلى المغيب.. وحزن الناس من بعيد ومن قريب.. ومازال يسكن القلوب الأمينة.. رغم الدموع الحزينة.

-٢٧-

الحسين بن علي

الحسين بن علي بن أبي طالب صاحب العلم الغزير.. والموقف القدير.. وبالقرآن والسنة مستنير. شهيد كربلاء.. في عام من الدموع والبكاء. يذكره المسلمين بقلوب تتمزق لوعة وحسرة وفناء.

الحفيد الثاني لرسول الله ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء زوج علي بن أبي طالب. وقد ولد سنة أربعة من الهجرة. وقال الرسول ﷺ يوم مولده: حسين مني وأنا من حسين.. أحب الله من أحب حسيناً.

تميز الحسين بكثير من صفات الرسول – ﷺ– فقد تربى بين يدي الرسول، ولذلك أحبه الصحابه وعظمه الخلفاء منذ طفولته.

قال جابر ابن عبد الله: من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا. سمعته من رسول الله ﷺ.

تميز الحسين بالعلم الغزير، ويقال إنه كان بحراً في علوم القرآن وحديث رسول الله والفقه، وكانت له حلقات درس بالمسجد يعلم المسلمين ويشرح ويفسر ويستدل على مواقفه بآيات من القرآن الكريم.

حرص الصحابة والتابعون على حضور دروس الحسين بن علي العلمية ومتابعتها بشغف، وهذا يؤكد أن الحسين اكتسب العلم والمعرفة وكان معلماً ورائداً في دروسه دون نظير له حتى أن معاوية بن أبي سفيان يشهد له بذلك فيصف حلقات الدرس ويقول:

- إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رءوسهم الطير فتلك حلقة الحسين بن علي.

إلى جانب علمه وتفقهه في الدين وحكمة الحياة ساهم بجانب كبير في الجهاد وفتح البلاد، فذهب مع الجيوش الإسلامية إلى شمال إفريقيا وطبرستان، وكذلك وقف مع أباه علي بن أبي طالب في حروب الجمل وصفين.

عاش الحسين للعبادة والعلم وقراءة القرآن وتفقد أحوال الناس ومنحهم الأمان والحرية ومساعدتهم في مواقف الحاجة ومن مواقفه الرائعة التي توضح مدى عمق إيمانه بمبادئ العقيدة الإسلامية عندما مرت به جارية وبيدها باقة من الريحان

فحيته بها. فقال لها الحسين: أنتِ حرة لوجه الله.

فقيل له: جارية تحييك بباقة ريحان فتعتقها!

فقال الحسين: هكذا أدبنا الله تعالى حيث قال:

- وإذا حُييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردها. وكان أحسن منها عتقها.

كانت نهاية حياة الحسين مؤلمة وفاجعة كبرى مازال المسلمون يعيشون أهوالها حتى اليوم، حيث استشهد في معركة كربلاء على مقربة من نهر الفرات بالعراق واستشهد معه كثير من أفراد أهله.

وكانت بداية المأساة عندما مات معاوية وأخذ البيعة لابنه يزيد وخالف بذلك ترك الأمر شورى بين المسلمين. وحزن الحسين ورفض هذا الأمر، وطلب كثير من المسلمين أن يكون الحسين خليفة. وأرسل إليه أهل الكوفة يبايعونه ويطلبون منه أن يأتي إليهم.

فخرج الحسين مع أهله ومناصريه إلى الكوفة.

وحين وصل كربلاء ..كانت بدأ المحنة والبلاء. قُتل مع أهله وسافر مع الشهداء وتدفق دجلة بالدماء.. وانتحب نهر النيل في بكاء.. وانطفأت نجوم السماء.. فسلاما يا أمير الفجيعة.. ولتهدأ روحك الصريعة وتظل أبدا ذكراك.

-٢٨-

الزبير بن العوام

الزبير بن العوام الصحابي النبيل.. والقلب الجميل.. والفقيه الفذ.. والعالم الأصيل.. والبطل المجاهد في المعارك والحروب.. المدافع عن الإسلام في كل المواقع والدروب والفارس الذي شهد المعارك.. وأطاح بالأعداء والممالك.. وشهد المواقع والجبهات ورافق الرسول في والغزوات.

أُمه هي صفية بنت عبد المطلب عمة الرسولﷺ. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

اختاره عمر بن الخطاب ليكون أحد الستة أهل الشورى ليكون منهم الخليفة بعد موته. وأيضاً أنه زوج أسماء بنت أبي بكر الصديق.

كان من السبعة الأوائل الذين أسلموا وقد واجه العذاب والشقاء ليتراجع عن إسلامه فرفض، فقام عمه نوفل بن خويلد بلفه في حصير أدخل عليه النار ليختنق من الدخان، وكان الزبير قوي الإيمان.. شديد العقيدة.. لم يتراجع أبداً.

الزبير أول رجل يسل سيفه في سبيل الله، وذلك عندما سمع عن شائعة مقتل رسول الله – ﷺ– فامتشق سيفه، وخرج يتأكد من ذلك عازماً أن يقتل من قتل رسول الله ﷺ.

وشهد على بطولته أحد أصحابه فقال: خرجت مع الزبير في بعض أسفاره ورأيت جسده. فقلت له: بجسمك ما لم أره بأحد قط. فقال لي: أما والله ما فيها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله.

عاش كريم النفس.. وسخي اليد يمنح الفقراء من ماله ويتصدق بكل ما يملك حتى مات مديوناً. وأوصى ابنه بقضاء دينه. وقال له:

– إذا أعجزك دَينِ فاستعن بمولاي.

فسأله ابنه: أي مولى تقصد؟

فقال: الله نعم المولى ونعم النصير.

شهد له الرسول ﷺ وقال:

إن لكل نبي حوارياً.. وحواريَّ الزُبير.

وقد روى عنه أكثر من أربعين حديثاً. فقد كان دائماً يخشى رواية الأحاديث وقال ابنه عبد الله: قلت للزبير إني لا أسمعك تُحدث عن رسول الله – ﷺ– كما

يُحدّث فلان وفلان. فقال الزبير بن العوام: أما إني لم أفارقه.. ولكن سمعته يقول: من كَذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار.

الزبير بن العوام رجل العلم.. والمجاهد الصادق.. والصحابي الوفي.. والقائد الأريب الذي وهب للحق كفاحه.. وشهر سيفه في وجه أعداء الإسلام في فداء وشجاعة نادرة.

وتأتي نهاية هذا البطل مأساوية..

حين يُقتل غدراً.. وتنساب خيوط دماءه فوق رمال الصحراء.. العطشى.. يخرج الزبير بن العوام من معركة الجمل.. يتعقبه رجل من بني تميم اسمه عمرو بن جرموز.. وهجم عليه من الخلف وطعنه بالسكين في وادى السباع. وسقط البطل.. قتيلاً في واحة من الدماء..

وذهب القاتل إلى الإمام علي بن أبي طالب يظن أنه يحمل إليه بشرى.

فصاح علي قائلا لخادمه:

- بشر قاتل ابن صفية بالنار.. حدثني رسول الله - ﷺ: "أن قاتل الزبير في النار".

ومات الزبير سنة ٣٦ هـ وكان عمره ٦٧ عاماً.. شهيد النور والحق والجهاد.. مازالت كلماته بحرا من مداد.. وحياته جهادا وجهدا واجتهاد.. رجل العلم والبساطة بين العباد.

-٢٩-

الطفيل بن عمرو

الطفيل بن عمرو.. شاعر راحل في بحر العذاب.. سابح بين النجوم والشهاب.. في عيونه نور ينساب.. وقلب طامح للثواب.. وروح تطوف بين

السحاب.. دخل مكة وانفتحت للهدى أبواب.. ليسمع القرآن الكريم.. آيات من رب رحيم.. يتلوه رسول أمين.. فرق قلبه واستجاب.

بعد رحيل في البلاد وبين المدائن والعباد كانت مكة نهاية التجوال للشاعر الرحال. وسمع عن الرسول ﷺ والدعوة فقرر أن يعرف شيئا من هذا الدين، ودخل المسجد ووقف الطفيل عند رسول الله، وهو يقرأ القرآن فتأثر بالمعاني، وأدرك أن هناك معجزة ما وسرا من الأسرار.

فأقبل على رسول الله ﷺ يقول:

– قد أبى الله إلا أن يسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق فأعرض عليَّ دينك وما تأمر به وما تنهى عنه.

ودعاه الرسول ﷺ للإسلام فاستجاب الطفيل بن عمرو ورغب أن يدعو قبيلته أيضا إلى دين الحق والخير والسلام، وأن يدعو الله سبحانه أن يؤيده بآية من عنده.

فقال الرسول له: اللهم نَوِّر له.

فسطع نور بين عينيه يضيء ما في روحه من خير وإيمان وطاعة للرسول والله، ولكن الرسول قال:

– يا رب أخاف أن يقولوا إنه مُثعلَة (شناعة) فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة.

ومن أهم إسهامات الطفيل بن عمرو في حياته للدعوة:

دعا عشيرته إلى الإسلام وحزن لعصيان بعضهم وحين علم الرسول دعا لهم وقال:

- اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم.

عاد مرة أخرى إلى عشيرته وقومه يدعوهم لعبادة رب العالمين واتخذ الرفق والبساطة والتعاطف معهم وتفسير كلام القرآن الكريم وأحاديث الرسول.

آمنت قبيلته وكل أفرادها أصبحوا من المسلمين وشعر الطفيل أنه قد أكتسب ثوابا كبيرا، ولا سيما أن الصحابي أبو هريرة كان واحدا منهم.

شهد الطفيل مع الرسول والمسلمين معظم الغزوات يحارب دفاعا عن العقيدة غير عابئ بالموت طامحا للشهادة.

وحين فتح المسلمين مكة قام الطفيل بحرق بعض الأصنام التى كان يعبدها المشركين، ومن هذه الأصنام ما يسمونه "ذا الكفين" الذى قال عنه الطفيل وهو يشعل فيه النار:

يَــاَذا الكَفَّــيْنِ لَــسْتُ مِــنْ عُبَّادِكَــا
مِيلادُنَــــا أَقْــــدَمُ مِــــنْ مِلادِكَــــا
إِنِّي حَــــشَوْتُ النَّــــارَ فِي فُؤَادِكَــــا

وفي عهـد الخليفـة الأول أبي بكـر حـارب الطفيـل المرتـدين، ووقـف مـدافعا في بطولة وفداء وشهد له الجميع بفروسيته النادرة ومواقفه الحازمة.

وفي يوم اليمامة بينما كان الطفيل يحارب بسيفه، طعنه أحد المشركين فسقط شهيدا فوق الرمال وحزن عليه الصحابة وبكاه المسلمون.

وصعدت روحه إلى السماء ذلك الصحابي الذى كان النور من عينيه يشع بالعزة والكبرياء.

-٣٠-

العباس بن عبد المطلب

العباس بن عبد المطلب من أفضل الرجال.. وأول الكرام.. سخى العطاء حبيب المسجد الحرام.. ساقي الحرمين.. ومستسقى الغمام.. عزيز النفس صادق العزم.. وافي العهد.. بليغ الكلام.. من يديه تأكل أسراب الحمام.. وفي عينيه تغفو أحلام.

العباس بن عبد المطلب أسخى قريش فردا.. أعتق سبعين عبدا.. تواصل مع الناس حبا وودا.. فرش الحياة نورا وورداً.. وعاش مسلما مجاهدا وأوفى عبدا.

العبَّاس بن عبد المطلب عم رسول الله كان من أكرم الناس وأجودهم. قال عنه رسول الله:

– هذا العباس أجود قريش كفًّا. وأوصلها.

العباس بن عبد المطلب من كبار شخصيات القبيلة تولى مسئولية المسجد الحرام، يسقي الحجاج ويطعم الصغار والكبار، ويعطف على الفقراء ويحكم بين الناس في المشاكل والقضايا. يقف مع الرسول يسانده في كل المواقف وهو لم يعلن إسلامه بعد. وكان النبي يحبه حبًّا شديدًا، ويقول:

– من آذى عمي فقد آذاني.. فإنما عم الرجل صنو أبيه.

كان العباس أكبر سنًّا من النبي ﷺ فقد ولد قبله بثلاث سنين.. ومن حسن أدبه أنه لما سُئل: أأنت أكبر أم رسول الله؟ قال: هو أكبر وأنا ولدت قبله.

في غزوة بدر خاف النبي ﷺ على عمه فأمر بألا يقتلوا العباس، لأنه خرج مستكرهًا، وحين وقف العباس أمام الرسول قال له:

- يا رسول الله إني كنت مسلمًا.

فنزل قوله تعالى: {يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم} (الأنفال: ٧٠).

للعباس بن عبد المطلب فضائل عديدة ومواقف يذكرها التاريخ فهو الذي طلب الأمان لأبي سفيان بن حرب وكان سببًا في إيمانه.

في يوم حنين وقف العباس قابضا على لجام بغلة الرسول خائفا عليه، مدافعا عنه مناديا على المسلمين أن يجاهدوا حتى حققوا النصر.

ومن المواقف التي تدل على مكانته الكبيرة وإيمانه العميق حين أصاب الأرض الفقر الشديد ووقف عمر بن الخطاب يدعو ورأسه للسماء وقال:

- اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.

فلما استسقى عمر بالعباس قام العباس ورفع يديه إلى ربه وقال:

- اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب.. ولم يكشف إلا بتوبة.. وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك.. وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة.. فاسقنا الغيث. ولم يكد العباس ينهي دعاءه حتى امتلأت السماء بالغيوم والسحاب. وأنزل الله غيثه. فانطلق الناس يهنئون العباس.. ويقولون له: هنيئًا لك ساقي الحرمين.

وكان للعباس مكانة كبيرة في قلوب المسلمين وعظماء الصحابة:

- فيروى أن أبا بكر الصديق كان جالسًا بجانب النبي فرأى العباس مقبلاً، فقام أبو بكر له وأجلسه مكانه بجوار رسول الله فقال النبي ﷺ لأبي بكر:

- إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهلُ الفضل.

وكان أبو بكر إذا قابل العباس نزل من على دابته، وسار معه احترامًا وإكرامًا له حتى يصل العباس إلى المكان الذي يريده.

وكان علي بن أبي طالب يقبل يد العباس ويقول له: يا عم.. ارض عني.

أنجب العباس بن عبد المطلب ولدان هما عبد الله بن عباس حَبرْ الأمة. وعبيد الله بن عباس. وتوفي العباس سنة ٣٢هـ ودفن بالبقيع. وعمره ٨٨ عامًا. وصلى عليه عثمان بن عفان. ويروى أنه أعتق عند وفاته سبعين عبدًا.

هذا هو ساقي الحرمين الكريم الذي دافع عن الرسول وساعد الفقراء، ومنح من قلبه الحب والخير للمسلمين.

-٣١-

القعقاع بن عمرو التميمي

القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان العرب الموصوفين.. وشعراؤهم المعروفين شاعر يحارب بالسيف والأشعار.. صوته يجلجل في القفار.. فارسا في الصحراء والأغوار.. يحارب أعداء النور والنهار.. شهد له الصحابة والأبرار.. في كل واقعة فخر وانتصار.

ومن المواقف التي تؤكد فروسيته في القتال عندما كتب عمر بن الخطاب إلى سعد:

- أي فارس أيام القادسية كان أفرس؟ وأي رجل كان أرجل؟ وأي راكب كان أثبت

فكتب إليه:

– لم أر فارساً مثل القعقاع بن عمرو! حمل في يوم ثلاثين حملة ويقتل في كل حملة كمِيّاً.

وحارب القعقاع في موقعة اليرموك فقد كان على كُرْدوسٍ من كراديس أهل العراق وواجه المعركة، وأطاح بأهل الشرك والبهتان.

وكان للقعقاع في كل موقعة شعر فقد قال يوم اليرموك:

أ لَمْ تَرَنَا على اليرموك فُزن فكما فُزنا بأيام العراق

فتحنا قبلها بُصرى وكانتْ محرّمة الجناب لدَى البُعاق

وعذراءُ المدائن قد فتحنا أو مَرْجَ الصُّفَّرين على العِتَاقِ

فضضنا جمعَهم لما استحالوا على الواقوص بالبتر الرّقاقِ

قتلنا الروم حتى ما تُساوي على اليرموك ثفْروق الوِراقِ

ويصف القعقاع المسلمين بفخر وحماسة شديدة، وأنهم خير البرايا واستطاعوا أن يحققوا النصر المبين على الكفار فيقول:

وَجَدنا المسلِمينَ أَعَزَّ نَصراً

وَخَيرَ الناسِ كُلّهُم اِقتِدارا

دَعانا هُرمُزٌ لَمّا التَقَينا

عَلى ماءِ الكَواظِمِ فَاِستَدارا

غَزَونا جَمعَهُم حَتّى صَبَحنا

فُراتَ البَصرِ موصِلَةً جَهارا

وفي يوم نهاوند حيث معركة المسلمين مع الكفار وكيف حققوا النصر وسقط الأعداء جثثا متناثرة فوق الصحراء، ويصف ذلك ويقول:

وَيَومَ نَهاوَنَدٍ شَهِدتُ فَلَم أَخِم وَقَد أَحسَنَت فيهِ جَميعُ القَبائِلِ

عَشِيَّةَ وَلّى الفَيرُزانُ مُوايِلا إِلى جَبَلٍ آبٍ حَذارَ القَواصِلِ

فَأَدرَكَهُ مِنّا أَخو الهَيجِ وَالنَدى فَقَطَّرَهُ عِندَ اِزدِحامِ العَوامِلِ

وَأَشلاؤُهُم في وَأيِ خُردٍ مُقيمَةٌ تَنوبُهُم عيسُ الذِئابِ العَواسِلِ

كان القعقاع شاعر المعارك والصوت المدوي في الساحات وفي المدائن والممالك، محاربا بالسيف والكلمة، وضاربا بسيفه في كل جانب ليشرق الحق بنوره الساطع في كل البلاد.

-٣٢-
المثنى بن حارثة

المثنَى بن حارثة بن ضَمضَم الشّيبانيّ مازالت ذكراه في تاريخ الكتب.. غير خامل الذكر ولا مجهول النسب.. يحارب الفرس في معارك بلا مدد.. هزم الجباة المشركة الجبارة.. ومضى لا يعرف الهزائم أو مذلة الغارة.

المثنى بن حارثة رجل الحزم والشجاعة والقلب الرحيم والرأى الصائب الأمين والفارس الذي تحفر حوافر جياده فوق كل الجبال دون خوف أو تراجع.. فاض الإيمان في روحه فحصد سيفه رؤوس أفاعي الشر وأطاح بأعناق الأعداء.

وحين سمع عنه أبو بكر قال في دهشة:

- من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟

فقال قيس بن عاصم:

- أما إنه غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا قليل العدد ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني.

وفي موقف يتسم بالبطولة والتضحية وقف المثنى بن حارثة الشيباني، وسأل الخليفة أبو بكر أن يمنحه الفرصة ليقاتل الفرس مع قومه وقال:

- ابعثني على قومي أقاتل بهم أهل فارس، وأكفيك أهل ناحيتي من العدوّ.

وسمح له أبو بكر بذلك فانطلق المثنى بسيفه في كل إمارة من إمارات الفرس، ويعلن تحديه لكل من يقف ضد نور الإسلام. ثم أرسل أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد، فأمدّه بخالد بن الوليد بطلا من أبطال الفتوحات ومحاربا جسورا يتمنى أن يواجه الفرس.

كانت حياة المثنى بن حارثة مضيئة بمواقف المسلم المجاهد في سبيل الله، ليس له رغبة في الحياة سوى نشر تعاليم الإسلام والسلام في كل أرض مازال الظلام يرمي بظلاله على أهلها.

ولذلك لم يتوقف عن الحرب ولم يهدأ أو يتريث قليلا وإنما منطلقا كالسهم في قلب الشهاب يخترق الحجب أمامه حتى يشرق نور جديد على الناس، ويسود العدل والرحمة والتسامح في العالم.

ولذلك تأتي نهاية المثنى بن حارثة الشيباني في أرض المعركة شهيدا للحق والنور وللقيم الإسلامية التي جاء بها الرسول الكريم واعتنقها المسلمين.

لم تكن تلك النهاية فقد صعدت روحه للسماء لتكون بداية حياة الخلد للشهداء، حيث كانت آخر معاركه مع الفرس وتفاقمت جراح المثنى بن حارثة رغم مقاومته لنزيف الدماء، وظل يحارب حتى شربت الصحراء من دمه ونمت شجيرة خضراء تتحدى ريح الزمان وغبار العواصف.

-٣٣-

المغيرة بن شعبة

المغيرة بن شعبة داهية لا يدانيه صاحب..ف ي كل محنة له رأى صائب.. حازم المواقف في مواجهة الكوارث والمصائب.. في كل حصن سيفه ضارب.. وفي الغزوات والجبهات مجاهد ومحارب.

كلما واجه محنة استطاع أن يجد لها حلولا.. فصيح الكلام.. بليغ العبارة.. ماهر الحيلة وعميق الدهاء. هذا هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفيّ الذى أسلم قبل صلح الحديبية، وقرر الجهاد مع رسول الله – ﷺ.

من المواقف التي تأثر بها المغيرة بن شعبة يوم أعلن إسلامه قام بالقضاء على مجموعة من المشركين، واستولى على هدايا معهم من المقوقس، وجاء ليقدمها إلى النبي ﷺ على أنها من الغنائم، ولكن الرسول ﷺ رفض وقال:

– أمّا إسلامك فنقبله ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمّسُهُ، لأن هذا غَدْرٌ، والغدر لا خير فيه.

وقيل عن دهاء هذا الصحابي الكثير ومنها:

– القضاة أربعة: عمر وعليّ وابن مسعود وأبو موسى الأشعري، والدُّهاة أربعة: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

- لو أن المدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها.

ساهم المغيرة بن شعبة في الفتوحات الإسلامية، واستطاع مع أبي سفيان اقتحام الطائف واليمن والتقى بأمير الفرس وحارب في موقعه اليرموك وجرح وكاد يقتل.

وحين تولى البصرة في عهد عمر بن الخطاب فتح مَيْسان ودَسْت ميسان وأبَزْقُبَاذ، ولقي العجم بالمرْغاب - نهر البصرة - فهزمهم، وفتح سوق الأهواز - اليوم تعرف بعربستان - وغزا نهر تِيْرَى ومناذر الكبرى وهرب من فيها من الأساورة إلى تُسَتُر وفتح همذان وشهد نهاوند، وكان على ميسرة النعمان بن مُقَرَّن.

ومن كلمات المغيرة التي تدل على عمق نظرته للحياة وإيمانه العميق يقول:

- اشْكُرْ لمن أنعمَ عليك، وأنْعِمْ على مَنْ شكرك، فإنّه لا بقاءَ للنعمة إذا كُفِرت ولا زوالَ لها إذا شُكِرَت.. إنّ الشّكر زيادة من النعم.. وأمانٌ من الفقر.

توفي المغيرة بالكوفة سنة ٥٠ هـ وقد بلغ من العمر السبعين عاما.

ورحل الصحابي الداهية الذى حارب في كل الغزوات ودافع عن المسلمين والعقيدة، وأسهم بإنجازات مازال يذكرها له التاريخ.

-٣٤-

المقداد بن عمرو

الصحابي المقداد بن عمرو بن سعد المقاتل الأول على ظهر جواد.. تشهد له المعارك يوم الجهاد.. نزال وصراع وحروب في البلاد.. فارسا بين الجبال والتلال

والوهاد.. سيفا ساطعا في وجه الأعداء.. رافضا مجد السلطة وحياة الأمراء.. واهبا ماله للمسلمين والفقراء.

المقداد بن عمرو بن سعد عاش مجاهدا حكيما في وقت المحن والأزمات، ويعتبر من السبعة الأوائل الذين سارعوا للإسلام. وتزوج من ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبيﷺ.

حين قدم المقداد إلى مكة تبناه الأسود بن عبد يغوث فصار يدعى المقداد بن الأسود. فلما نزلت آية تحريم التبني نُسب لأبيه عمرو بن سعد.

حياة المقداد وجهاده تعتبر من أروع الصور والنماذج الإنسانية التي مازالت مضيئة في التاريخ ونعيش هنا بعض من هذه المواقف الرائعة.

تحمل المقداد عذابات الهجرة إلى الحبشة ثم مشقة السفر للمدينة وساند الرسول ﷺ في معركة بدر، وكان أول فارس قاتل على فرس في معركة بدر بينما المجاهدين مشاة أو راكبين إبلاً.

وعُرف المقداد بالجرآة والشجاعة والفروسية يحلم أن يموت شهيدًا في سبيل الله فقال: لأموتن والإسلام عزيز.

وفي حوار النبي ﷺ يشاور أصحابه قبيل غزوة بدر قال المقداد بفخر وثقة:
يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

- اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد "موضع في اليمن" لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

– فقال له رسول الله ﷺ خيرًا. ودعا له.

انطلقت هذه الكلمات الطيبة من فم هذا الصحابي، فتهلل وجه النبي ودعا له دعوة صالحة، وتمنى كل صحابي لو أنه كان صاحب هذا الموقف العظيم.

يقول عبد الله بن مسعود لما سمع هذا الكلام:

– لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون صاحبه، أحب إليّ مما في الأرض جميعًا.

وكان النبي ﷺ يحب المقداد حبًّا كبيرًا ويقرِّبه منه وجعله ضمن العشرة الذين كانوا معه في بيت واحد عندما قسَّم المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة إلى عشرات وجعل كل عشرة في بيت.

وقال: إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم.

فقيل: يا رسول الله سمهم لنا؟

قال: عليٌّ منهم.. قول ذلك ثلاثًا.. أبو ذرٍّ.. المقداد.. سلمان.. مرني بحبهم.. أخبرني أنه يحبهم.

وكان المقداد حكيمًا عاقلا.. كانت مواقفه تعبِّر عن حكمته فها هو ذا يقول للنبي عندما سأله: كيف وجدت الإمارة؟ وكان النبي قد ولاه إحدى الإمارات.

فقال المقداد:

– لقد جعلتني أنظر إلى نفسي كما لو كنت فوق الناس، وهم جميعًا دوني. والذي بعثك بالحق.. أتأمرن على اثنين بعد اليوم أبدًا.

وللمقداد موقف آخر تظهر فيه حكمته فيقول أحد أصحابه: جلسنا إلى المقداد يومًا فمر به رجل.. قال مخاطبًا المقداد:

– وبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله والله. لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شاهدت.

فأقبل عليه المقداد وقال:

– ا يحمل أحدكم على أن يتمنى مشهدًا غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يصير فيه؟ والله لقد عاصر رسول الله أقوامًا كبهم الله عز وجل على مناخرهم في جهنم، أو لا تحمدون الله الذي جنبكم مثل بلائهم وأخرجكم مؤمنين بربكم ونبيكم.

وقد كان المقداد جوادًا كريمًا فقد أوصى للحسن والحسين بستة وثلاثين ألفًا ولأمهات المؤمنين لكل واحدة سبعة آلاف درهم، وتوفي المقداد بالمدينة سنة ٣٣هـ في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعمره حينئذ سبعون عامًا.

ورحل البطل الفارس والحكيم في زمانه والكريم بإخوانه صديق الفقراء وعدو الثراء أنه الصحابي المقداد بن عمرو بن سعد المقاتل الأول على ظهر جواد.. تشهد له المعارك يوم الجهاد.. نزالا وصراعا وحروبا في البلاد.. فارسا بين الجبال والتلال والوهاد.. سيفا ساطعا في وجه الأعداء.. رافضا مجد السلطة وحياة الأمراء.. واهبا ماله للمسلمين والفقراء.

-٣٥-

النعمان بن مقرن

مع الصحابي الشهيد والفارس العنيد.. ورجل المواقف الحاسمة في كل صوب الذى حارب دون هوادة في كل درب.. وانطلق يعزز نصرة الإسلام في كل المعارك والفتوح.. لا يبالي بالموت أو الجروح... هذا هو الجليل النعمان بن مقرن.

قصة إسلامه من أروع قصص الولاء والانتماء حيث قدم على النبي في المدينة مع أربعمائة من قومه مُزَيْنَة فاهتزت المدينة فرحاً بهم واستبشر بهم المسلمون. وقد هداه الله للإسلام وهدى معه أهله وإخوته السبعة.

وقد اشتهر بنو مقرن بحب الله ورسوله والإنفاق في سبيل الله – ﷻ– والتضحية من أجل دين الله سبحانه.

وفيهم نزل قول الحق تبارك وتعالى: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول إلا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم} (التوبة: ٩٩).

يعتبر النعمان بن مقرن من كبار الفرسان والقادة المجاهدين في سبيل الله، حيث لم يترك واقعة أو معركة أو موقف جهاد إلا كان مشاركًا ومناضلاً بدمه وروحه فهو في فتح مكة. وفي الجهاد ضد هوازن والطائف وثقيف. ومحاربة المرتدين ومدّعي النبوة في عهد الصديق. وكذلك شهدت له المعارك الأخرى مثل القادسية.

تميز النعمان بالمشاعر الرقيقة والأخلاق الحميدة والطموح للمعالي السامية ولم يكن يهتم بزخارف الحياة ومباهجها، بل بالكد والكفاح والجهاد والدفاع عن الدين الإسلامي ضد أعدائه.

ومن تلك المواقف التي توضح مدى اعتزازه بالجهاد والحرص على المعاني والقيم الرفيعة، أنه رفض الإمارة على قبيلته حين عرض عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

ومن مواقف بطولته وشجاعته الفذة التي تجلت في معركة نهاوند حين اختاره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليكون قائدا للجيش لمحاربة الفرس.

وقال عمر: والله لأولين أمرهم رجلاً يكون أول الأسنة إذا لقيها وهو النعمان بن مقرن المزني.

فأمر عمر النعمان بن مقرن أن يتجه بالجيش إلى نهاوند ثم أرسل إليه جيشًا آخر بقيادة حذيفة بن اليمان ليكون مددًا وعونًا له، والتقى بجيش الفرس في حرب شديدة.

واندفع النعمان بن مقرن في صفوف الفرس يقاتل قتالاً شديدًا طامعًا في النصر للمسلمين وفي الشهادة لنفسه. ودعا الله قائلاً:

- اللهم إني أسألك أن تقرِّ عيني بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني إليك شهيدًا.

ونال النعمان أمنيته، فسقط شهيدًا في أرض المعركة بعد قتال عنيف ضد الفرس حتى ضحى بنفسه ونال الشهادة.

وحين عرف عمر بن الخطاب بذلك قال وعيناه تذرفان بالدموع:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

فيبكي المسلمون بالمدينة ويرتفع صوت عبد الله بن مسعود بالبكاء وهو يقول:

– إن للإيمان بيوتًا وإن بيت ابن مقرن من بيوت الإيمان.

وفي نهاوند دفن النعمان يوم الجمعة في سهل ممتد تكسوه الأشجار العالية ودفن معه مَنْ استشهد في ذلك اليوم الخالد.

وتصاعد لحن البكاء.. وتدفقت أحزان البشر تودع أمير الشهداء.. رجل ظل في مواجهة الريح.. يعاند والقلب مطعون جريح.. لا يعرف التراجع أو الاستسلام.. ظل رافعا حتى الموت راية الإسلام.

-٣٦-

الوليد بن الوليد بن المغيرة

الوليد بن الوليد الصحابي الفطن العنيد.. صابرا في مواجهة الحبس والحرمان.. شديد العزم قوي الإيمان.. تدفقت في روحه ينابيع الهام.. وتجاوز ذاته بين الغمام.. وأشرق قلبه بعد ظلام.. وصار من رجال الإسلام.

الوليد بن الوليد بن المغيرة القرشيّ المخزوميّ شقيق الفارس البطل خالد بن الوليد سيف الله المسلول، وفارس الحروب في الجبال والسهول.

في إحدى المعارك كان الوليد بن الوليد مازال في عالم الجاهلية لم تشرق ذاته بعد بنور اليقين، فظل في صفوف المشركين حتى سقط أسيرا لدى المسلمين وظل حزينا يائسا يفكر في أحوال الدنيا وهذا الدين الجديد.

وخرج من الأسر بعد أن افتداه أخواه هشام وخالد، ولكنه ظل يفكر في هذا الرسول الكريم الذى جاء بنور الحق والهدى ليخرج الكفار من الظلمات إلى نور التسامح والهداية والمعرفة الحقة.

ولذلك قرر أن يذهب إلى الرسول ويعلن إسلامه ويتحدى قبيلته وقومه دون خوف أو تردد. ولذلك عندما أسلم الوليد حبسه أخواله في عزلة وحيدا فظل صابرا متحديا آلامه يغفو فوق جراحه كل ليله.

وحين علم النبي ﷺ يدعو له ويقول:
- اللهم أنج الوليد بن الوليد والمستضعفين من المؤمنين .

ولم يستسلم الوليد للحبس والعذاب والآلام، بل إنه يهرب وينطلق حرا بعيدا عن أهله ويلوذ برفقة رسول الله، ليصبح واحدا من أهم الرجال الذين تعلموا على يد الرسول معاني الإسلام الكريم.

كان الوليد يجلس إلى الرسول يتبادل معه الآراء حول الدعوة والموقف من قريش وأعداء النور ويشكو له ما يواجهه في حياته. وذات يوم قال:
- يا رسول الله إني أجد وحشة في منامي.

فقال له الرسولﷺ:
- إذا اضجعت للنوم فقُلْ: بسم الله أعوذ بكلمات الله من غضبه وعقابه وشرّ عباده ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك ربّ أن يحضرون، فإنه لا يضرك.

وفي كل ليلة حين يخلد إلى فراشه يقرأ ذلك الدعاء الذى علمه إياه الرسول الكريم، فذهبت عنه هواجسه وتحررت نفسه من القيود وانفتح فضاء الرحمة والحب أمامه.

وفي أيامه الأخيرة كان أكثر رحمة للعباد وشفقة على الفقراء والمساكين، يحاول دائما أن يعطي من فكره ومشاعره وروحه فعاشت مآثره وفضائله يذكرها الجميع، وحلقت روحه في سماء النور تركض إلى مثواها الأخير.

وفي وفاة الوليد قالت أم سلمة زوج رسول الله – ﷺ– وهي ابنة عمه:

يا عين فابكي للوليد بن الوليد بن المغيرهْ

كان غيثاً في السنين ورحمةً فينا منيرهْ

ضخم الدسيعة ماجداً يسمو إلى طلب الوتيرهْ

مثل الوليد بن الوليد أبي الوليد كفى العشيرة

هذا هو الوليد بن الوليد بن المغيرة صورة تجسد أحد رجال المؤمنين الأوفياء، وأحد الصحابة الذين وهبوا حياتهم للجهاد والتضحية والعطاء.. رجل من الصابرين المدافعين عن الرسول والدين، ووقف ضد أعداء الحق وضد المشركين.

-٣٧-

أنس بن مالك

أنس بن مالك.. الصحابي الرفيق.. ذو القلب الرقيق.. والفكر العميق.. والخادم الصديق لرسول الله – ﷺ– ولد في المدينة في السنة الثامنة قبل الهجرة. ونشأ بين أسرة اشتهرت في الإسلام بالعلم والتقوى والفقه ورواية الحديث.

أمه هي الرميصاء أم سليم بنت ملحان الأنصارية.. وخالته أم حرام بنت ملحان.. وعمه أنس بن النضر بطل من أبطال معركة أحد.. وعمته الربيع بنت النضر.

صحبته أمه إلى رسول الله ﷺ وهو مازال عمره عشر سنوات وطلبت منه أن يظل ولديها لديه يخدمه. وطلبت أمه أن يدعو له ﷺ فقال:

- اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته.

أنس بن مالك الخادم الأمين.. والعالم الصادق.. يقول عن رحلته في رحاب رسول الله ﷺ:

- خدمت النبي ﷺ عشر سنين.. فما قال لي أُفٍ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته.. ولا لشيء تركته لم تركته.

أنس بن مالك تبحر في علوم الدين والإفتاء والفقه وروى أكثر من ٢٢٨٧ حديثا، وكان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده وجلس يدعو لهم ويعظهم.

قال ذات مرة لثابت البناني:

- يا ثابت خذ عني.. فإنك لن تأخذ عن أحد أوثق مني.. إني أخذته عن رسول الله - ﷺ- عن جبريل وأخذه جبريل عن الله.

أنس بن مالك ظل ملازماً الرسول ﷺ في كل مكان.. لم يفارقه أبداً.. يتعلم منه.. يتأثر بكلماته.. يحفظ أقواله.. يحفظ أحاديثه.. يكتسب منه علم الدين وعلم الحياة.. وتاريخ الإنسانية.

ولذلك أصبح أنس بن مالك من كبار علماء الصحابة الذين يرجعون إليه في كل القضايا والمواقف الشائكة. أحبه الناس لشدة قربه من الرسول - ﷺ - ولغزارة علمه وثقافته العميقة.

ومما يؤكد علمه وثقة الصحابة فيه أن أبا بكر عهد إليه بجمع الصدقات. واستشار في ذلك عمر بن الخطاب فقال عمر:

– ابعثه فإنه لبيب كاتب.

ومن فضائل أنس بن مالك أنه عندما قيل له أن الأرض عطشى ولا يوجد مطر. خرج إلى البرية وصلى ركعتين ثم دعا فأمطرت السماء حتى ملأت كل شيء.

وكان الناس يعرفون قدر أنس بن مالك حكاماً وعلماء وولاة ومن ذلك عندما تعرض أنس بن مالك إلى بعض الأذى على يد الحجاج بن يوسف الثقفي. ذهب أنس وشكاه إلى عبد الملك ابن مروان الخليفة وقتئذ وقال:

– لو أن اليهود رأوا خادم نبيهم لأكرموه.. وأنا خدمت رسول الله – ﷺ – عشر سنين.

فبعث عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يعنفه ويأمره أن يذهب إلى أنس ويقبل يديه ورجليه.

وعندما كان مريضاً لا يستطيع الصوم.. أطعم ثلاثين مسكيناً.. وقبل أن يحتضر قال:

– لقنوني لا إله إلا الله.

وتوفى في البصرة.. وعمره مائة عام..

وحين مات قال الصحابة والناس: ذهب اليوم نصف العلم والكلام.. تلاشى النور وتجسدت الغمام.. وانكسر القلب وساد الظلام. ومن بحيرات الدموع تطل ذكراه.. لبطل وهب من ذاته العلم والحياة.

هذا.. الصحابي الرفيق.. ذو القلب الرقيق.. والفكر العميق.. والخادم الصديق لرسول الله – ﷺ– ولد في المدينة في السنة الثامنة قبل الهجرة. ونشأ بين أسرة اشتهرت في الإسلام بالعلم والتقوى والفقه ورواية الحديث.

-٣٨-

أنس بن النضر

أنس بن النضر.. الصحابي الذى كُتبت له الشهادة.. وفاضت حياته عبادة.. وجاهد في كل الغزوات.. شاهرا سيفه في كل الجهات.. لا يتراجع في مواقف الفداء.. طامحا أن يكون شهيدا من الشهداء.

هذا الفارس الذى انشقت له الرمال.. وأطاح بأهل الكفر وحقق المحال.. ويسقط جريحا فوق الصحراء... والطعنات بجسده بحورا من دماء.

الصحابي أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وعلى اسمه يسمَّى وينسب إلى بني النجَّار في المدينة.

يعتبر أنس بن النضر من الشخصيات الحازمة الورعة التي لا تهاب الموت في سبيل الله، وقد عرفنا كيف ظلت جراح الطعنات في جسده تنزف ويسيل منها الدماء وهو لا يتوقف عن القتال أبدا.

وفي حرب يوم بدر شعر بالندم الشديد والحزن، لأنه لم يكن مشاركا في الجهاد والتقى بالرسول ﷺ ووقف أمامه متألما وقال:

- يا رسول الله غبت عن قتال بدر.. غبت عن أول قتال قاتلتَ المشركين.. لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين اللهُ ما أصنع.

وظل أنس بن النضر يهيئ نفسه للمعركة التالية مع المشركين، وقد عزم أن ينال الشهادة في سبيل الله وكانت تلك مهمته التي يحيا من أجلها. لقد قرر أن يكون شهيدا.

وفي يوم أحد كان الفارس يصول في كل مكان يحارب المشركين ويدافع عن الرسول ويقف كالجبل في وجه السهام والسيوف يشق دربة بضربة سيف، ويركض فوق الصحراء كالرمح يغتال اعداء الإسلام.

وفي المعركة بعد انتصار المسلمين في البداية تزعزعت الجيوش الاسلامية، لأن الرماة اعتقدوا أن النصر حليفهم وخالفوا أوامر الرسول فكانت الهزيمة للمسلمين وهرب بعضهم وقليلا منهم وقفوا مع الرسول يجاهدون.

وحين شاهد أنس بن النضر هذا الموقف ثار حماسه وتذكر وعده مع الله أم يقاتل المشركين حتى يحقق الشهادة ويتجاوز أطراف السماء إلى جنة الخالدين، وكرر كلماته مرة أخرى وقال:

- لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع.

فانطلق يشق صفوف المشركين قائلاً:

- اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين.

ثم تقدم شاهرًا سيفه، فاستقبله سعد بن معاذ فقال:

- يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد.

وأخذ يقاتل ويضرب بسيفه يمينًا وشمالاً حتى سقط شهيدًا على أرض المعركة، وبعد انتهاء القتال حكى سعد بن معاذ للنبي ما صنعه أنس بن النضر.

وقال: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

وفي نهاية المعركة تفقدوا الشهداء فوجدوا أنس بن النضر وجسده غارقا في بركة دماء من أثر الطعنات حتى أن المشركين قاموا بتمزيق جسده بعد أن مات، وكان من الصعب التعرف على جثته حتى عرفته أخته من علامة بين أصابعه.

ويقال إن هذه الآية الكريمة قيلت عنه وعن المسلمين الشهداء:

{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} (الأحزاب: ٢٣).

ورحل الشهيد أنس بن النضر الصحابي الذى عاد الله ورسوله على أن يستشهد في المعركة، وقد حقق ما كل ما يتمناه، وتظل سيرته صورة رائعة من صور الوعد الصادق والحق المبين.

-٣٩-

بلال بن رباح

بلال بن رباح صوت الآذان يعلو في الصباح.. يواجه الظلم وآلام الجراح.. تغتاله رمال الصحراء.. وعواء الرياح.. يقف صامدا بروح أبية.. في مواجهة سيده أمية.. وتصرخ روحه في الفضاء والبرية.. لا يخضع لأحد.. هاتفا أحد.. أحد.

ويراه أبو بكر الصديق.. الصحابي الجليل الرقيق ويدفع فيه المال، ويحرره من الأغلال ويمضى مع الرجال عزيز النفس كريم الخصال.

بلال بن رباح هذا العبد الحبشي يسمع كلاماً غريبا عن الدعوة الإسلامية التي تحمل نور الهداية والمساواة بين البشر وتدعو إلى مكارم الأخلاق وأن الرسول رجلا

جاء مبشرا ونذيرا.. وأمينا وصادقا وما كان يوما كاذبا ولا ساحرا وإنما هو الرسول الحق.

وتأثر وانفتح درب النور أمامه وعندما أسلم بلال بن رباح غضب عليه سيدة أمية بن خلف، وقام بتعذيبه أشد أنواع العذاب فكان يطرحه فوق رمال الصحراء الملتهبة ويضع الحجارة فوق جسده.

فيقول له أمية بن خلف:

- لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى.

فيقول بلال: أحد.. أحد!!

وحين مر أبوبكر الصديق وشاهد جراح بلال وآلامه قال لأمية:

- يا أمية ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ إلى متى ستظل تعذبه هكذا؟

فطلب أبو بكر شراءه، وأعطى أمية ثلاث أواق من الذهب نظير أن يترك بلالا.

فقال أمية لأبي بكر الصديق:

- فواللات والعزى لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية واحدة لبعته لك.

فقال أبو بكر:

- والله لو أبيت أنت إلا مائة أوقية لدفعتها.

كانت مواقف بلال بن رباح تتسم بالحزم والتقوى والطاعة لرسول الله ومناصرته في كل المواقف، ولذلك اختاره الرسول ليكون أول مؤذن للإسلام، كما أنه شارك في الغزوات. وفي غزوة بدر أثناء المعركة لمح بلال أمية بن خلف فيصيح قائلاً:

- رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجا.

وكانت نهاية هذا الكافر على يد بلال تلك اليد التي كثيرًا ما طوقها أمية بالسلاسل من قبل وأوجع صاحبها ضربًا بالسوط.

وعاش بلال مع رسول الله يؤذن للصلاة، ويحيي شعائر هذا الدين العظيم الذي أخرجه من الظلمات إلى النور ومن رقِّ العبودية إلى الحرية.

وكل يوم يزداد بلال قربًا من قلب رسول الله ﷺ الذي كان يصفه بأنه رجل من أهل الجنة، ومع كل هذا ظل بلال كما هو كريمًا متواضعًا لا يرى لنفسه ميزة على أصحابه.

وكان بلال عابدًا لله ورعًا كثير الصلاة قال له النبي ذات يوم بعد صلاة الصبح:

- حدِّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني قد سمعت الليلة خشفة نعليك "صوت نعليك" بين يدي في الجنة.

فقال بلال:

- ما عملت عملا أرجى من أني لم أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت لربي ما كتب لي أن أصلي.

وحين مات النبي حزن بلال حزنًا ولم يستطع أن يعيش في المدينة بعدها، فاستأذن من الخليفة أبي بكر في الخروج إلى الشام ليجاهد في سبيل الله وذكر له حديث رسول الله: أفضل عمل المؤمنين جهاد في سبيل الله. وذهب بلال إلى الشام وظل يجاهد بها حتى توفي.

ورحل بلال بن رباح صوت الأذان في الصباح والعبد الذى عاش حريته في ظل الإسلام والمسلمين.. يواجه الظلم وآلام الجراح.. تغتاله رمال الصحراء.. وعواء الرياح.. يقف صامدا بروح آبية.. في مواجهة سيده أمية.. وتصرخ روحه في الفضاء والبرية.. لا يخضع لأحد.. هاتفا: "أحد.. أحد".

-٤٠-

ثابت بن قيس

الصحابي الشهيد في معركة اليمامة.. والخطيب الفصيح العلامة.. حكيم في أقواله بليغ في أحكامه.. والنابغة في مواقف الخطابة.. .. رجل شديد الإيمان يطمح للقيم.. مرهف الحس والهمم.. صادق البصيرة وشاكراً للنعم.. واثق الخُطا والحزم.. سديد الرأي والعزم.

ولذلك أُطلق عليه "خطيب الأنصار"، حيث كان يتحدث في ثقة كبيرة وعلم غزير وسعة إدراك وعقل مدبر منسق الأفكار مُحكم القرار، وقد كانت هناك مواقف كثيرة تجلى فيها ثابت ابن قيس في براعته الخطابية.

من هذه المواقف عندما أقبل وفد تميم وقام خطيبهم وأخذ يفتخر بأمور كثيرة، وبعد أن انتهى من مقالته قال رسول الله – ﷺ لثابت بن قيس:

– قم فأجب خطيبهم.

فقام ثابت بن قيس خطيباً أمام القوم وأبلغ في عباراته وأفصح في كلماته مما زاد عجب الحاضرين، وسر رسول الله – ﷺ– بما قاله قيس وافتخر به المسلمون في كل موقف.

كان ثابت بن قيس رجلاً شجاعاً لا يخاف الموت، ويتمنى دائماً أن يموت شهيداً في سبيل الحق، ومن أجل نصرة الرسالة المحمدية وقهر أعداء الإسلام. ولم يكن يهاب أحداً من الكفار فقد اعتزم القتال في الحرب من أجل عقيدته.

وتجلى ذلك في معركة اليمامة، حيث بذل جهداً كبيراً في حث المسلمين على القتال ودفعهم إلى الفداء والتضحية بالروح فكان يصيح فيهم:

- ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ. بئس ما عودتم أقرانكم.. وبئس ما عودتم أنفسكم. اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر عن صنيع هؤلاء.

وهكذا كان صوته يجلجل في آفاق المعركة محفزاً المسلمين على القتال ببسالة وشجاعة دون تهاون أو تراجع حتى استشهد في المعركة وصعدت روحه إلى السماء بعد أن جسد لنا المثل الأعلى في التضحية والفداء أثناء المعركة.

كان ثابت بن قيس مرهف الإحساس شديد التأثر بالقرآن وكلام رسول الله ﷺ، ولذلك هناك مواقف كثيرة تبين مدى خوفه من الله وحرصه الشديد ألا يكون مذنباً في عمل من الأعمال في الحياة.

عندما نزل قوله تعالى: "إنّ الله لا يُحبُ كُل مُختالٍ فخُورٍ" (لقمان ٨٨).

حزن ثابت وأغلق داره على نفسه وظل يبكى حتى علم الرسول - ﷺ- بأمره فدعاه إليه لمعرفة سبب الحزن والغياب.

فقال ثابت:

- يا رسول الله إني أحب الثوب الجميل والنعل الجميل، وقد خشيت أن أكون بهذا من المختالين.

فقال رسول الله ﷺ:

- يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتُقتل شهيداً وتدخل الجنة!

ذلك هو الصحابي ثابت بن قيس رجل من أفاضل الرجال الذين التفوا حول رسول الله - ﷺ- وعاش حياة ثرية بالعطاء والإيمان العميق حتى كتب الله له الشهادة.

ورحل رجل الموقف الجليل والصحابي الصادق الإيمان الذي ساند المسلمين ودافع عن راية الإسلام. وترك ذكراه تفوح بفضائله الكريمة ويذكره كل زمان. الصحابي الشهيد في معركة اليمامة.. والخطيب الفصيح العلامة.. حكيم في اقواله بليغ في أحكامه... والنابغة في مواقف الخطابة.. رجل شديد الإيمان يطمح للقيم.. مرهف الحس والهمم.. صادق البصيرة وشاكراً للنعم.. واثق الخُطا والحزم.. سديد الرأي والعزم.

-٤١-
ثمامة بن أثال

ثمامة بن أثال ملك اليمامة.. رجل الثراء والعزة والكبرياء.. يختال حرا بين الحقول.. يرفض دعوة الرسول.. ويطمح إلى سفك الدماء.. طارد الصحابة في الصحراء.. وقرر اغتيال الرسول.. وتراجع بين الرفض والقبول..

حين بعث الرسول إلى ملوك العجم يدعوهم إلى الإسلام كان منهم ثمامة بن أثال الحنفي .ملك اليمامة الذى رفض الدعوة وتملكته العزة وقرر اغتيال الرسول، ولكن أحد أعمامه حال دون ذلك.

لكن ثمامة لم يكف عن إيذاء الصحابة ورجال المسلمين فأباح الرسول إهدار دمه وحين ذهب إمامة لأداء العمرة أسرته سرية من المسلمين، وأتت به إلى المدينة وشدته إلى سارية من سواري المسجد.

وعندما شاهده الرسول ﷺ قال لأصحابه:

– هذا ثمامة بن أثال الحنفي فأحسنوا أساره.. أجمعوا ما كان عندكم من طعام وابعثوا به له.

ثم أمر بناقته أن تحلب له في الغدو والرواح وأن يقدم إليه لبنها. وقد تم ذلك كله قبل أن يلقاه الرسولﷺ.

وحين التقى به الرسول ﷺ قال ثمامة:

– ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل. فإن تعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما تشاء.

فالتفت رسول الله إلى أصحابه وقال:

– أطلقوا ثمامة، ففكوا وثاقه وأطلقوه.

غادر ثمامة مسجد الرسول ﷺ متعجباً متأثرا لهذا الخلق الكريم والتسامح والرحمة والقيم الكريمة فاتجه إلي نبع ماء وتطهر وعاد أمام الجميع وأعلن إسلامه.

ثم اتجه إلى الرسول ﷺ وقال:

– يا محمد.. والله ما كان على ظهر الأرض وجه أبغض إلي من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي ووالله ما كان دين أبغض إليّ من دينك؛ فأصبح دينك أحب الدين كله إلي.. ووالله ما كان بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح أحب البلاد كلها إلي.. لقد كنت أصبت في أصحابك دما فما الذي توجبه علي؟

فقال الرسولﷺ:

- لا تثريب عليك يا ثمامة.. فإن الإسلام يجب ما قبله .. وارتاح ضمير ثمامة وقال:

- والله لأصيبن من المشركين أضعاف ما أصبت من أصحابك ولأضعن نفسي وسيفي ومن معي في نصرتك ونصرة دينك. يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى أن أفعل؟

فقال ﷺ:

- امض لأداء عمرتك ولكن على شرعة الله ورسوله.

مضى ثمامة إلى غايته حتى إذا بلغ بطن مكة، ووقف يجلجل بصوته العالي قائلا: لبيك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك لبيك.... إن الحمد والنعمة لك والملك... لا شريك لك، فكان ثمامة أول مسلم على ظهر الأرض دخل مكة ملبيا.. وحين علمت قريش اتجهت إليه غاضبة فقال أحدهم:

- إنه ثمامة بن أثال ملك اليمامة.. والله إن أصبتموه بسوء قطع قومه عنا الميرة وأماتونا جوعا.

ودعاهم ثمامة إلى الإسلام، وأقسم ألا يصل إليهم من اليمامة قمحا أو خبزا أو خيرا وفيرا حتى يسلم الجميع. وبعد أداء العمرة اتجه إلي بلاده وأمر قلومه وقف الخيرات عن أهل مكة.

ولكن قريش شعرت بالمأساة والجوع الذي يحدق بها فكتبت إلى الرسول أن ينقذهم فدعا الرسول ثمامة أن يطلق لهم الخيرات الوفيرة، ولا يحبس عنهم ما كان يغدق عليهم من قبل.

كانت حياة ثمامة بن أثال من أروع النماذج في البطولة والفداء ومواجهة المشركين والدفاع عن الدين ونصرة المسلمين، ولذلك وقف في مواجهة مسيلمة الكذاب الذى أعلن نفسه نبيا في بني حنيفة فيقف ثمامة يخاطب القوم قائلا:

– يا بني حنيفة إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه إنه والله لشقاء كتبه الله – ﷻ– على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به، يا بني حنيفة إنه لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وأن محمدا رسول الله لا نبي بعده، ولا نبي يشرك معه .. ثم قرأ عليهم:

{حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير}. (غافر – ١)

وظل يجاهد ويطارد المرتدين عن الإسلام، ويهب الدعوة روحه وماله وحياته طامحا في حياة أبدية خالدة تنعم فيها روحه بالنعيم والخلود.

كانت تلك صور من حياة الصحابي ثمامة بن أثالة ملك اليمامة.. رجل الثراء والعزة والكبرياء.. يختال حرا بين الحقول.. يرفض دعوة الرسول.. ويطمح إلى سفك الدماء.. طارد الصحابة في الصحراء.. وقرر اغتيال الرسول.. وتراجع بين الرفض والقبول.

-٤٢-

ثوبان بن بجدد

ثوبان بن بجدد الصحابي المختار.. خادم الرسول في الليل والنهار.. يرافقه في التجوال والأسفار.. من مدينة إلى مدينة ومن دار إلى دار.. من رواة الأحاديث مع الصحابة والأنصار.. شارحا تعاليم الدين وسر الأسرار

كان ثوبان بن بجدد من عبيد المدينة.. يرمق العالم بعيون حزينة.. يحلم بالحرية والحياة الكريمة.. وحطم الرسول من حوله القيود.. وانطلق ثوبان حرا يعانق الوجود.. في رحاب الإسلام بين الدعاء والركوع والسجود.

عاش ثوبان بن بجدد في ظل رسول الله ﷺ بعد أن منح حريته وأسلم وأصبح واحدا من الصحابة الأوفياء.. لا فرق الآن بينه وبين الآخرين فقد تحولت حياة هذا العبد الأسير إلى سيادة وكيان واحترام بين الجميع.

وكان ثوبان يعجب لهذه الحياة الإنسانية في ظل الإسلام فلا فرق بين أمير أوفقير إلا بالتقوى والفضائل والخير. وعزم من أجل ذلك على التعلم من الرسول – ﷺ– ومن كبار الصحابة العلماء، وقرأ القرآن وحفظه وصار يعلم الآخرين من أبناء المسلمين.

امتلك ثوبان شخصية إنسانية فياضة بالعطف والخير يغدق من ذاته على الآخرين، ويساند إخوانه المسلمين ويناقش الجميع في أمور دينهم ويثقفهم بأحاديث الرسول – ﷺ– بما لديه من قدرة كبيرة على الحفظ والفم والإدراك.

ظل ثوبان مع الرسول الكريم في كل مكان لا يتخلف عن رفقته ويلازمه في السفر والترحال والإقامة في المدن وأيضا في الغزوات.

كان يجلس دائما بشغف يستمع إلى أحاديث الرسول ﷺوتشرق أمام عينيه رؤى جديدة، وتضيء آفاق كانت من قبل مظلمة. فقد حلقت روحه في رحاب الإيمان وعانقت عجائب الخلق وتفكرت في هذا الكون البديع وآيات من القرآن الكريم تتردد في سماء روحه وكلمات الرسول الكريم.

هذا العبد الذى كان الطوق حول عنقه والقيود تغل معصمه ينطلق الآن بين المسلمين معلما كريما جليلا يحدثك عن الحق والعدل والحرية ورحمة السماء، وكلمات كتاب الله العزيز في القرآن الكريم.

ولذلك طغت عليه الأحزان بعد وفاة الرسول – ﷺ– وقرر أن يسافر إلى الشام وشيد له دارا يقيم فيها حواراته ويعلم الناس أصول الشريعة الإسلامية.

كانت حياة ثوبان بن بجدد يظللها الإيمان العميق والعبادة الدائمة والعلاقات الطيبة مع الآخرين فأحبه وقدره كل من اقترب منه وصادقه.

وفي أيامه الأخيرة تملكه المرض وبدأ الصحابة والناس والأصدقاء يسألون عنه ويشعرون بالقلق من أجله ويدعون له بالشفاء، ليعود إلى حياة الخير والدعوة مرة أخرى.

وفي أثناء مرضه بمدينة حمص حرص أن يسأل عن كل من حوله في المدينة، حين اكتشف أن الأمير عبدالله بن قرط لم يزوره في مرضه شعر بالآسى الشديد وقال لأحد الرجال:

– أتكتب؟ قال: نعم.

قال: اكتب.

فكتب: للأمير عبد الله بن قرط:

من ثوبان مولى رسول الله – ﷺ– أما بعد: فإنه لو كان لموسى وعيسى مولى بحضرتك لعدته.

فأتاه فعاده وجلس عنده ساعة، ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال:

– اجلس حتى أحدثك سمعت رسول الله ﷺ يقول:

– ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا.

وتوفي ثوبان في حمص سنة أربع وخمسين للهجرة ورحل رجل البر والتقوى، ليظل في نفوسنا ذكرى طيبة لوجه مضيء بالخير والمحبة والتسامح في ظل الإسلام.

وما زلنا نتذكر ثوبان بن بجدد الصحابي المختار.. خادم الرسول في الليل والنهار.. يرافقه في التجوال والأسفار.. من مدينة إلى مدينة ومن دار إلى دار.. من رواة الأحاديث مع الصحابة والأنصار.. شارحا تعاليم الدين وسر الأسرار.

-٤٣-

جبير بن مطعم

جبير بن مطعم من كبار قادة العرب.. نبع الحكم ومصدر النسب.. بارع في لغة الحوار.. يأسر النفس بجزالة اللفظ وبديع الأشعار.. يقف بين يدي الرسول يحاور.. واثق الذات.. يواجه المخاطر.. يدافع عن الدعوة الإسلامية.. متحديا قريش أهل الكفر والجاهلية.

هذا هو جبير بن مطعم من كبار رجال قريش.. وأحد السادة الحكماء الذين لهم السطوة والسيادة على القبيلة وأفرادها. يلجأ إليه الأفراد وقت المحن والشدائد ويستنير منهم بالرأي.. ويطمئن منهم إلى نصائحه وتعاليمه.

كان جبير بن مطعم على دراية بعلم الأنساب ويؤكد ذلك ويقول:

- أخذت النسب عن أبي بكر الصديق.

عاش جبير بن مطعم مواقفا مع الرسول ﷺ حين ذهب إليه بشأن الأسرى بعد موقعة بدر فقال الرسولﷺ:

- لو كان الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم لشفعناه.

ومن المواقف الأخرى أنه أجار رسول الله ﷺ لما قدم من الطائف حين دعا ثقيفاً إلى الإسلام، وكان أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب.

وروي عن ابن عباس أن النبي قال ليلة قربه من مكة في غزوة الفتح:

"إن بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك.. وأرغب لهم في الإسلام: عتاب بن أسيد،.. وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو".

روى عنه سليمان بن صرد.. وعبد الرحمن بن أزهر.. وابناه، نافع ومحمد ابن جبير. ومن الأحاديث التي رواها جبير بن مطعم:

"أتت النبي ﷺ امرأة فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه فقالت:

- يا رسول الله أرأيت إن رجعت فلم أجدك؟ كأنها تعني الموت

قال: "إن لم تجديني فأتي أبا بكر".

وكانت وفاة المطعم قبل بدر بنحو سبعة أشهر وكان إسلام ابنه جبير بعد الحديبية وقبل الفتح.. وتوفي جبير سنة سبع وخمسين من الهجرة.

ومازال جبير بن مطعم سيرة ذاتية مشرقة بنور الإيمان وصورة لرجل كريم عاش مواقف الشرف والإباء.

ورحل جبير بن مطعم من كبار قادة العرب.. نبع الحكم ومصدر النسب.. بارع في لغة الحوار.. يأسر النفس بجزالة اللفظ وبديع الأشعار.. يقف بين يدي الرسول يحاور.. واثق الذات.. يواجه المخاطر.. يدافع عن الدعوة الإسلامية.. متحديا قريش أهل الكفر والجاهلية.

-٤٤-

جعفر بن أبي طالب

الصحابي جعفر بن أبي طالب.. هذا القلب الأمين.. نهر الحنين.. صديق المساكين.. رفيق البائسين.. في يديه جناحان من حرير.. يلمس آفاق اليقين.. يحلق مع الشهداء الخالدين.

جعفر بن أبي طالب إنساب في ظلال الإيمان.. ترافقه زوجته أسماء بنت عُميْس.. أسلما معاً.. وتعذبا معاً.. وتألما معاً وعاشا في نور الإسلام يواجهان ظلمات الجاهلية والاضطهاد في ثبات وثقة وشجاعة نادرة.

جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول والشقيق الأكبر لعلي بن أبي طالب. كان أكثر قرباً وخَلْقاً وخُلُقاً بالرسول. وقد كنّاه الرسول بأبي المساكين ولقبه بذي الجناحين يوم أن بُترت يداه في المعركة.

يقول عنه أبو هريرة:

– كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب. ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطي التراب بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبي طالب.

ولما خاف الرسول على أصحابه اختار لهم الهجرة إلى الحبشة. وقال لهم:

– لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد.

وخرج جعفر وأصحابه إلى الحبشة. وحين علمت قريش.. أرسلت وراءهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وكانا لم يسلما بعد. وأرسلت معهما هدايا عظيمة إلى النجاشي أملاً في أن يرد إليهم جعفر، وأصحابه فيرجعون بهم إلى مكة مرة ثانية ليردوهم عن دين الإسلام.

ووقف رسولا قريش عمروبن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة أمام النجاشي فقالا له:

- أيها الملك! إنه قد ضوى إلى بلادك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، بل جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بَعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم.

فلما انتهيا من كلامهما توجَّه النجاشي بوجهه ناحية المسلمين وسألهم:

- ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم واستغنيتم به عن ديننا؟

فقام جعفر وتحدث بطلاقة قائلاً:

- أيها الملك إنا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف.

حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى عبادة الله وحده وخَلْعِ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.

ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم. فصدقناه وآمنا به. فعذبنا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان فلما ظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا. خرجنا إلى بلادك. ورغبنا في جوارك. ورجونا ألا نُظلم عندك.

استمع النجاشي إلى كلمات جعفر وتأثر وسأله:

- هل معك شيء مما أُنزل على رسولكم؟

قال جعفر: نعم.

فقال النجاشي: فاقرأه علي.

فقرأ جعفر من سورة مريم. فبكى النجاشي. ثم توجه إلى عمرو وعبد الله وقال لهما:

- إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما.

فأخذ عمرو يفكر في حيلة جديدة. فذهب في اليوم التالي إلى الملك وقال له:

- أيها الملك.. إنهم ليقولون في عيسى قولاً عظيماً.

فاضطرب الأساقفة حين سمعوا هذه العبارة وطالبوا بدعوة المسلمين.

فقال النجاشي: ماذا تقولون عن عيسى؟

فقال جعفر: نقول فيه ما جاءنا به نبينا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

عند ذلك أعلن النجاشي أن هذا هو ما قاله عيسى عن نفسه.. ثم قال للمسلمين: اذهبوا.. فأنتم آمنون بأرضي. ومن سبكم أو آذاكم فعليه ما يفعل.

ثم رد إلى قريش هداياهم. وعاد جعفر والمسلمون من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة ففرح الرسول فرحاً كبيراً وعانقه وهو يقول:

- ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً.. أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟

وفي العام الثامن من الهجرة أرسل النبي جيشاً إلى الشام لقتال الروم وجعل الرسول زيد بن حارثة أميراً على الجيش وقال:

- عليكم بزيد بن حارثة. فإن أصيب زيد. فجعفر بن أبي طالب. فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة.

ودارت معركة رهيبة بين الفريقين عند مؤتة وقُتل زيد بن حارثة. فأخذ الراية جعفر. ومضى يقاتل في شجاعة وإقدام وسط صفوف الروم وهو يردد بصوت عالٍ:

يَا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ، وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عليَّ إِذْ لاقيتها ضرابها

وظل يقاتل حتى قُطعت يمينه. فحمل الراية بشماله فقُطعت هي الأخرى. فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد والطعنات في جسده تنفجر منها الدماء.

ورحل جعفر بن أبي طالب شهيداً.. بعد أن تمزقت يديه ولكن الرسول الكريم يقول:

- إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء.

هذا هو الصحابي جعفر بن أبي طالب.. هذا القلب الأمين.. نهر الحنين.. صديق المساكين.. رفيق البائسين.. في يديه جناحان من حرير.. يلمس آفاق اليقين.. يحلق مع الشهداء الخالدين.

-٤٥-

حبيب بن زيد

حبيب بن زيد.. الصحابي الشهيد.. مزقت جسده الحراب.. حين دعا مسيلمة الكذاب وتدفقت دماء وبكى أصحاب.. تمزق فوق الأرض أشلاء.. وصعدت روحه إلى السماء.

من هو هذا صاحب الدم المنساب؟ من هو رجل الموقف عسير الجواب؟ يرفض الخضوع للجلاد ويشهد برب البشر والعباد.

كان حبيب بن زيد مثالا جميلا للمسلم المجاهد والعقل المتدبر صاحب حكمة في آراءه، وقادر على الإقناع والحوار مع الآخرين. ولذلك رأى الرسول ﷺ أن يبعث حبيب بن زيد إلى مسيلمة الكذاب عندما ادعى النبوة وزاد إضلاله وفساده في البلاد.

وبعث الرسول ﷺ إليه رسالة ينهاه فيها عن حماقته ويدعوه إلى أن يسلم ويعود إلى الحق والصواب، ولذلك اختار حبيب بن زيد بن عاصم ليكون سفيره إلى مسيلمة الكذاب.

وأخذ حبيب الرسالة وسافر إلى مسيلمة متمنيًا أن يكون سببًا في هدايته وعودته إلى رشده. ووصل حبيب إليه وأعطاه رسالة الرسول، ولكن مسيلمة أصر على رفضه وغروره، وأمر شرذمة من قومه أن يعذبوه أمام حشد كبير من بني حنيفة.

وتخيل مسيلمة أن هذا التعذيب سيجعل حبيبًا يؤمن به ويحقق معجزة أمام قومه الذين دعاهم للحضور. وتوجه مسيلمة بالحديث إلى حبيب قائلا:

- أَتَشْهَدُ أن محمدًا رسول الله؟

قال حبيب: نعم أشهد أن محمدًا رسول الله.

وغضب مسيلمة وعاد يسأل قائلا:

- وتشهد أني رسول الله؟

فقال حبيب في سخرية واستهزاء:

- أنا أصم لا أسمع.

فكرر مسيلمة السؤال مرارًا، ولكن حبيبًا ظل ثابتا على إيمانه حتى اسودَّ وجه، وأشار إلى جلاده الذي جاء برمحه وطعن حبيبًا ثم مزق جسده وحبيب يردِّد في إيمان صادق:

- لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وغضب الرسول ﷺ غضبًا شديدًا وحزن من أجل هذا الصحابي الشهيد. وقرر محاربة هذا الكذاب، ولكنه توفي قبل توجه الجيش لمحاربته.

ولكن في عهد الخليفة أبو بكر الصديق توجهت جيوش المسلمين إلى محاربة مسيلمة الكذاب في موقعة اليمامة، تلك المعركة التي انتصر فيها المسلمين وانتقموا لحبيب بن زيد.

كانت حياة حبيب بن زيد صورة رائعة للمسلم المجاهد وأحد الرجال السبعين الذين بايعوا النبي في بيعة العقبة الثانية. وكان أبوه وأمه ممن شاركوا في هذه البيعة أيضًا.

وتظل صورة هذا الشهيد من النماذج التي تجسد لنا روح الإباء.. والتضحية.. والفداء في سبيل الله. فهو من الشخصيات المسلمة التي تعلمنا منها الثبات على

الموقف ضد أعداء الإسلام. هذا هو حبيب بن زيد.. الصحابي الشهيد.. مزقت جسده الحراب.. حين دعا مسيلمة الكذاب وتدفقت دماء وبكى أصحاب.. تمزق فوق الأرض أشلاء.. وصعدت روحه إلى السماء.

-٤٦-

حسان بن ثابت

حسان بن ثابت.. شاعر الشعراء في المديح والرثاء.. مضيئاً ظلمات الجهالة.. مستنيراً بوحي الرسالة.. صوت صارخ في البرية.. بقيم الحق والتسامح والحرية.. عاش شاعراً للأنصار في الجاهلية.. وأصبح شاعر الرسول والدعوة الإسلامية.

أشعاره صور تمزج بين الرقة والسلاسة والحيوية.. ويتوهج المعنى بتدفق عاطفي يكشف عما في القلب من دفء وحرارة. قد خلت أشعاره من الكلمات الغريبة والأخيلة البدوية وفاض فيها لين الحضارة.. وجزالة اللفظ وفخامة المعنى والعبارة كما في الفخر والحماسة والدفاع عن النبي ﷺ ورسالته ومعارضته المشركين وهجومهم، وكان يضع له منبراً في المسجد وهو ينشد الشعر ويقول الرسول:

- إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح يدافع.

وقال له النبي ﷺ:

- اهج - يعنى المشركين - وجبريل معك.

وقال له: اهج قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل، وعندما استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء قريش قال له: فكيف بنسبي؟

فقال: والله لأسلنَّك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين.

فقال له: ايت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك.

فكان حسان يذهب إلى أبي بكر ليعرف منه أنسابهم. فلما سمعت قريش هجاء حسان لهم قالوا:

- إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة أي: أبا بكر.

وقد هجا حسان أبا سفيان قائلاً:

هَجَوْتَ مُحَمّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعَنْدَ اللَّهِ في ذَاكَ الجزَاءُ
هَجَوْتَ مُطَهراً براًّ حَنِيفاً أمين الله شِيمتُه الوفاءُ
فإنَّ أبي وَوَالِدَتِي وَعِرضي لِعِرْضِ مُحَمّدٍ مِنْكُم وِقَاءُ

تأثر حسان بن ثابت بالمعاني الإسلامية النابعة من عقائد الدين الجديد وأحداثه، والاستعانة بصيغ القرآن وتشبيهاته ولطيف كناياته وضرب أمثاله واقتباس الألفاظ الدينية من الكتاب والسنة وشعائر الدين.

وجاءت أشعاره حافلة بالرقة واللطف وسهولة المأخذ وواقعية الصورة وخصب الخيال وأفكاره تدعو إلى توحيد الله وتهجين عبادة الأوثان ووصف الشعائر الإسلامية وذكر مآثرها وبيان ثواب المؤمنين وعقاب المشركين، وبعض ما مدح به الرسول ﷺ أصحابه أو رثاهم به.

وأهدى لهُ النبي ﷺ جارية قبطية قد أهداها له المقوقس ملك القبط وأسماها سيرين بنت شمعون فتزوجها حسان، وأنجبت منهُ ولدهُ عبد الرحمن وحسن إسلامها وهي أخت زوجة الرسول - ﷺ- مارية القبطية.

ومرَّ به عمر وهو ينشد الشعر في المسجد فقال:

- أتنشد مثل هذا الشعر في مسجد رسول الله.

فقال حسان: لقد كنت أنشد وفيه من هو خير منك أي: النبي فسكت عمر.

وقال فى نصرة الرسولﷺ:

نصرناه لما حل وسط رحالنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا ... وطبنا له نفسا بفيء المغانم

أما مدائح حسان في الرسول ﷺ فتكشف عن عمق إيمانه به وعن مدى حبه وإجلاله له عليه الصلاة والسلام من ذلك قوله:

وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مُبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلُقت كما تشاء

وفي رثاء الرسول ﷺ عبر حسان بمجموعة من القصائد التي تنم عن شعور صادق بالحزن تنصهر فيها المعاني في بوتقة داكنة قاتمة وتكاد الكلمات تتحول فيها إلى دموع، ومن ذلك قوله:

فابكي رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
فما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد

وتوفي حسان في خلافة عليّ بين عامي ٣٥ و٤٠ هـ وعمره مائة وعشرون عاماً، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام. ورحل الصوت الشعري الذي

دوى في الصحراء.. بين الأنغام والقوافي، وذهب الشاعر وظل الشعر باقٍ بصور الحياة والمواقف والقيم الإسلامية الكبيرة.

هذه ملامح لحسان بن ثابت.. شاعر الشعراء في المديح والرثاء.. مضيئاً ظلمات الجهالة.. مستنيراً بوحي الرسالة.. صوت صارخ في البرية.. بقيم الحق والتسامح والحرية.. عاش شاعراً للأنصار في الجاهلية.. وأصبح شاعر الرسول والدعوة الإسلامية.

-٤٧-

حكيم بن حزام

هذا هو حكيم بن حزام.. رجل عزيز النفس رفيع المقام.. واسع الجاه والثراء.. كل يوم بذل وعطاء.. وإطعام مساكين وفقراء.. من أشراف قريش العقلاء.. ومن أفضل الحكماء.. وعمته خديجة سيدة النساء.. زوجة الرسول آخر الأنبياء.

حكيم بن حزام.. أول وآخر مولود ولد في جوف المسجد الحرام.. حين شعرت أمه بالمخاض والآلام.. ولد طفلها حكيم بن حزام وسطع النور على وجهه في سلام.

حكيم بن حزام المولود الوحيد الذي ولد بجوف الكعبة عندما دخلت أمه لمشاهدتها وهي حاملاً به، ففاجئها المخاض فلم تستطيع مغادرتها فجيء لها بقطعه من الجلد وضعت مولودها عليه، وكان هذا هو ميلاد حكيم بن حزام بن خويلد الذى عاش ١٢٠ سنة، ستون في الجاهلية، وستون في الإسلام.

نشأ حكيم بن حزام فى أسرة عريقة النسب عريضة الجاه واسعة الثراء وكان إلى ذلك عاقلاً شريفاً فاضلاً فجعله القوم سيدهم، وأسندوا إليه منصب الرفادة، والرفادة هى إعانة المحتاجين والمنقطعين من الحجاج، فكان يخرج من ماله الخاص ما يرفد به المنقطعين من حجاج بيت الله الحرام فى الجاهلية.

كان حكيم صديقاً حميماً لرسول الله ﷺ قبل البعثة يبادله وداً بود وصداقة بصداقة، ثم جاءت مصاهرة النسب فوثقت ما بينهما من علاقة، وذلك حين تزوج النبى – ﷺ– من عمته السيدة خديجة بنت خويلد ﵂.

عاش حكيم بن حزام عفيف النفس.. شهما كريما.. سيدا مُطاعا.. من أشراف قريش وعقلائها ونبلائها. أسلم عام الفتح، وقال عنه الرسول عليه السلام:
– إن بمكة لأربعة نفر أربأ بهم عن الشرك.. وأرغب لهم في الإسلام: عتاب بن أسيد.. وجبير بن مطعم.. وحكيم بن حزام.. وسهيل بن عمرو.

بعد غزوة حنين سأل حكيم بن حزام – ﵁– رسول الله – ﷺ – من الغنائم فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، حتى بلغ ما أخذه مائة بعير، وكان يومئذ حديث عهد بالإسلام فقال له النبي – ﷺ:
– يا حكيم إن هذه الأموال حلوة خضرة، فمن أخذها بسخاوة نفس بورك له فيها، ومن أخذها بإشراف نفس لم يبارك له فيها وكان كالذي يأكل ولا يشبع.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك من النبي – ﷺ– قال:
– واللهِ يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أسأل أحدا بعدك شيئا ولا آخذ من أحد شيئا بعدك حتى أفارق الدنيا.

وعاش حكيم بن حزام لا ينال خقة من بيت المال فى سواء في عدد ابوبكر الصديق أو عمر بن الخطاب حتى إن عمر دهش من ذلك، وقال للمسلمين فخرا واعتزاز بموقف حكيم بن حزام.

- أشهدكم يا معشر المسلمين أني أدعو حكيما إلى أخذ عطائه فيأبى.

قال حكيم بن حزام : يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟

- فقال النبي ﷺ : أسلمت على ما سلف من خير.

وقرر حكيم أن يعتق مائة رقبة ويتصدق بالمال على الفقراء والمساكين ويقول:

- فو الله لا أدع شيئا صنعته في الجاهلية إلا فعلت في الإسلام مثله.

وظل حكيم كذلك كريم النفس سخى العطاء حتى فارق الحياة. مات سنة أربع وخمسين من الهجرة، وكان يقول عند الموت:

- لا إله إلا الله قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك.

وصعدت روحه إلى السماء بعد رحلة من الورع والزهد والعطاء، وعاشت ذكراه في القلوب رجلا من أفاضل الرجال في الشرف والتقوى والتصدق والخير.

-٤٨-

حمزة بن عبد المطلب

حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء.. صديق النبي في السراء والضراء.. أسد الصحراء.. وبطل معارك الجهاد والفداء.. يجله الأصدقاء.. يهابه الأعداء.. سيفه يشق الفضاء.. يمزق الظلماء.

حمزة بن عبد المطلب.. في كل موقف له فضل.. وآثار فرسه في كل وادٍ وسهل.. يرفض الخنوع والذل.. ويواجه قريش وأباجهل.. ويعلن التحدي والنزال.. ويشهر سيف القتال ويقول لأبي جهل المحتال حين سب أعظم الرجال:

- أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول. فرد ذلك عليَّ إن استطعت؟

هذا هو أسد الصحراء حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، حيث عاشا سويًّا وتربيا معًا يواجه أبي جهل بعد أن تعدى بالسباب على الرسول الكريم فقام مسرعاً نحو أبي جهل وضربه بالقوس في رأسه ضربة شديدة، وقال عبارته الشهيرة السابقة.

وحاول جماعة من بني مخزوم وهي قبيلة أبي جهل أن يتصدوا لحمزة، ولكن قال لهم فقا أبو جهل:

- دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا.

ويغمر الإيمان قلب حمزة ويدعو له الرسول بالهداية والخير. ومنذ أن علم المشركون بهذا الخبر أدركوا أن هناك من يدافع عن أذى الرسول، ولا يمكن مواجهته ولجأوا إلى حسن الحوار والمفاوضات.

في غزوة بدر تجلت فروسية حمزة بن عبد المطلب فقد واجه الأسود بن عبد الأسود حين حاول الاستيلاء على بئر للمسلمين.

وكان حمزة في ذلك اليوم قد وضع ريشة على رأسه. فظل يقاتل بشجاعة حتى قتل عددًا كبيرًا من المشركين. ولما انتهت المعركة. كان أمية بن خلف ضمن أسرى المشركين.

فسأل: من الذي كان معلَّمًا بريشة؟

فقالوا: إنه حمزة.

فقال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل.

ولقد أبلى حمزة في هذه المعركة بلاء حسنًا. لذلك سماه رسول الله: أسد الله وأسد رسوله.

وكانت هند بنت عتبة قد أقسمت أن تنتقم من حمزة لأنه قتل أباها عتبة وعمها وأخاها في بدر. وكذلك أراد جبير بن مطعم أن ينتقم من حمزة لقتل عمه طعيمة بن عدي.

وتم تدبير مؤامرة لاغتيال أسد الصحراء أثناء معركة أحد، وتم الاتفاق مع أحد العبيد الماهرين في رمي الرمح وقيل له:

- إن قتلت حمزة فأنت حر.

وفي غزوة أحد كان أسد الصحراء يحصد رؤوس الأعداء ويقول:

- أنا أسد الله.

واختبأ العبد القاتل المأجور لحمزة وضربه برمحه في مقتل وسقط البطل نزيفا فوق الرمال.. تشهق السماء له وتنكسر هامات النخيل حتى استشهد حمزة مع وداع شمس النهار الحزينة.

وبعد انتهاء المعركة كانت جثة حمزة بين الشهداء قد تمزقت أشلاء وشقت بطنه وسلب كبده حتى عُرف أن هند بنت عتبة قد التهمت كبد حمزة حقدا وانتقاما.

وقال الرسول في حزن بالغ: سيد الشهداء حمزة.

وصلى النبي على حمزة وشهداء أُحد السبعين، وتدفقت الدموع ترثي حمزة البطل المطعون الراحل إلى السماء مع الأبرار والشهداء.

هكذا كان حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء.. صديق النبي في السراء والضراء.. أسد الصحراء.. وبطل معارك الجهاد والفداء.. يجله الأصدقاء.. يهابه الأعداء.. سيفه يشق الفضاء.. يمزق الظلماء.

-٤٩-

خالد بن الوليد

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله المسلول.. وبطلا أثار الدهشة والذهول.. والفارس المغوار بين التلال.. والقائد البطل في معارك القتال.. والمجاهد الكبير في الفتوحات الإسلامية. إذا هجم غلب.. وإذا اشتبك ضرب.. وانتبه حوله رجال العرب.

خالد بن الوليد السيف الباتر في بلاد فارس وبلاد الروم والموقف الحازم في مواجهة الأعداء حتى قاد الفتوحات وانتصر في كل مكان ونشر العدل والسلام.. وهزم أعداء الإسلام.

ولد في مكة وكان والده الوليد بن المغيرة سيداً في بني مخزوم، ومن سادات قريش واسع الثراء ورفيع النسب والمكانة حتى أنه كان يرفض أن توقد نار غير ناره لإطعام الناس خاصة في مواسم الحج وعكاظ.

ولقب والده بريحانة قريش لأنه كان يكسو الكعبة عاماً وقريش أجمعها تكسوها عاماً وأمه هي لبابة بنت الحارث الهلالية. كان له ستة إخوة وأختان نشأ معهم نشأة

مترفة وتعلم الفروسية منذ صغره مبدياً فيها براعة مميزة جعلته يصبح أحد قادة فرسان قريش. أسلم خالد بن الوليد متأخراً قبل فتح مكة بعدما أسلم اخوه الوليد بن الوليد.

وعن دوره قبل الإسلام فقد حارب المسلمين في غزوة أحد وكان صاحب دور رئيسي في هزيمة المسلمين في نهاية الغزوة، بعد أن قُتل من بقي من الرماة المسلمين على جبل أحد والتف حول جيش المسلمين وطوقهم من الخلف، وقام بهجوم أدى إلى ارتباك صفوف جيش المسلمين.

ذهب ليعلن إسلامه بين يدي الرسول ﷺ برفقة صاحبه عمرو بن العاص.

شارك خالد في عدة غزوات منها:

– في غزوة مؤتة ضد الغساسنة والروم وظهر نبوغه العسكري في هذه الغزوة، حينما رجع بالجيش سالماً إلى المدينة المنورة وفي هذه الغزوة سماه الرسول ﷺ سيف الله المسلول.

– ولقد أمره الرسول على أحد الكتائب الإسلامية التي تحركت لفتح مكة.

– وبعثه الرسول في سرية للقبض على أكيدر ملك دومة الجندل أثناء غزوة تبوك.

– قام خالد بن الوليد بدور كبير في حروب الردة بعد وفاة النبيﷺ .

– أرسله الخليفة أبو بكر الصديق لنجدة جيوش المسلمين في الشام.

– بعد أن ثبت خالد بن الوليد أقدامه في العراق تحرك خالد بن الوليد وقطع صحراء السماوة ومعه دليله رافع وجيشه ووصل في وقت قليل لنجدة المسلمين في بلاد الشام، حين وصل إلى الشام ومعه تسعة آلاف وجد هناك جيوشاً متعددة عند اليرموك فقام بتوحيد الجيوش.

– اختار القواد وأعد الجيش فقام بتنظيمه وإعادة توزيعه قبل معركة اليرموك.

توفي خالد بن الوليد في حمص وكان قد ولي عليها بعد فتح الشام. وقد شهد خالد بن الوليد حوالى مائة معركة بعد إسلامه، ولذلك كان حزيناً أن يموت بعيداً عن أرض المعارك فقال على فراش الموت.

– ما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء.

ورحل صوت الفارس بين صدى صليل السيوف ودقات طبول المعارك وأغاريد الانتصار على الكفار. ويظل سيفه معلقا على الجدار يحلم بذكريات الجهاد وانفتاح الممالك وشق الجبال وكسر المحال.

-٥٠-

خالد بن سعيد

خالد بن سعيد صحابي من الأبرار.. شاهد في رؤياه هاوية من نار.. فانطلق خائفا بلا قرار.. باحثا عن نور النهار.. في قلبه رعشات وفي عزائمه إصرار.. فإلى أين تمضى أيها الحائر.. معذب الروح مبعثر الخاطر.

خالد بن سعيد انتفض من فراشه ضائعا حزين.. يبحث عن الهداية واليقين.. بعد أن هوى إلى العمق ويهتف قائلا:

– أشهد إنها لرؤيا حق.

ويذهب ويقص لأبي بكر قصة هذا الحلم المفزع ويقول:

– إني رأيت في منامي أني واقف على شفير نار عظيمة وأبي يدفعني نحوها، ورسول الله يمنعني من أن أقع فيها ويجذبني من ملابسي بيده اليمنى المباركة.

قال له أبو بكر:

- إنه لخير أريد لك وهذا رسول الله فاتبعه.

وذهب خالد إلى الرسولﷺ وسأله:

- يا محمد إلى من تدعو؟

فقال الرسولﷺ : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له.. وأن محمدًا عبده ورسوله. وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر.. ولا يضر ولا ينفع.. ولا يدرى من عَبَده ممن لم يعبده.

فقال خالد بحب عميق:

- إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

وقد وقف قوم خالد بن سعيد ضده فيقول له أبوه غاضبا:

- اتبعت محمدًا وأصحابه وأنت ترى خلافه مع قومه، وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم!!

فقال خالد: نعم تبعته على ما جاء به.

فصاح أبوه قائلا: اذهب يا أحمق حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت.

فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، ثم طرده من بيته وقال لإخوته:

- لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت بهذا اللئيم.

وترك خالد بن سعيد دار أبيه وعاش بجوار الرسول - ﷺ- يتعلم ويتثقف ويسمو بأفكاره ومواقفه في سبيل الدعوة الإسلامية.

كان خالد من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، وتحمل مشقة الترحال مع المسلمين وظل دائما في جهاد وغزوات من السابقين دائما. فكان نموذجا رائعا لرجل الموقف والكلمة والفداء.

وخلال تلك الفترة أسلم إخوته وكانت لهم إسهامات كثيرة في الغزوات ومحاربة الكفار. وتولوا إمارات بعض البلدان ولكن بعد رحيل الرسول - ﷺ - تركوا الإمارات وعادوا إلى المدينة.

فقال لهم أبو بكر:

- ما لكم رجعتم عن عمالتكم ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله، ارجعوا إلى أعمالكم.

فقالوا: نحن لا نعمل لأحد بعد رسول الله أبدًا.

ثم ذهبوا إلى الشام وظلوا في جهاد من أجل الإسلام حتى استشهدوا جميعا. وكذلك في معركة أجنادين استشهد خالد بن سعيد، وذلك في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ.

ورحل الرجل صاحب الرؤيا المفزعة.. هذا الذى استلهم من روحه بارقة الأمل وأدرك أين الطريق. واهتدى وحارب ودافع من أجل العقيدة الإسلامية. ورحلت روحه إلى جنة الشهداء راضية مرضية.

-٥١-

خباب بن الأرت

خباب بن الأرت الصحابي مُعلم القرآن.. ومُضيء الأذهان.. وعلامة الزمان.. ورجل الفكر الإسلامي في كل مكان.. أعلن إسلامه جهراً في وجه الكفار والأوثان.

وانحاز إلى صفوف المسلمين وحفظ القرآن.. وتبحر في علومه وأتقن مهمته وهي تعليم القرآن للمسلمين.

خباب بن الأرت واجه العذاب بسبب إسلامه حيث وقف ضده المشركون وحاولوا رده عن الإسلام. وجاءت أم أنمار وهي سيدته حيث كان خباب عبداً لها. وأمسكوا به ووضعوا الحجارة المحماة بالنار فوق ظهره العاري وتحمل الألم، وظل إيمانه كبيراً بالله ورسولهﷺ.

دعا الرسول ﷺ لخباب بن الأرت وقال: اللهم انصر خباباً. واستجاب الله لدعاء نبيه فكانت أم أنمار تسعل بشدة وتعوي مثل الكلاب. ولم تجد علاجاً لها إلا أن تكوى رأسها بالنار. وهكذا شاء العلي العظيم أن يجعلها تذوق نفس العذاب الذي أذاقته لخباب بن الأرت.

من الذين كان خباب يعلمهم القرآن الكريم فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، وفي أثناء ذلك فاجأهم عمر بن الخطاب وضرب أخته، ولكن روى له خباب ما سمعه من الرسولﷺ: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب. وقرأ عمر بن الخطاب آيات من كتاب الله بعد أن توضأ وتطهر فارتعشت مفاصله وخشع قلبه وذهب إلى الرسول – ﷺ وأسلم.

شارك خباب بن الأرت في جميع غزوات الرسول – ﷺ– وجاهد جهاداً عظيماً.. وأبلى بلاءً رائعاً.. وعبر عن شجاعة نادرة.. وتضحية باسلة. فلم يكن يهاب الموت. بل يطلب الشهادة. وكذلك أثبت قدراته الفتية في الفتوحات التي تمت خلال حكم أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

عاش في الكوفة حياة الزهد والعبادة والعلم والقراءة يدرس القرآن ويشرح للمسلمين، ويفسر ويعلم وينير الطريق أمام الناس، ويبسط لهم القضايا المعقدة، ويمنح من علمه وفكره المزيد، لأنه كان يطمح في رضاء الله ورسوله - ﷺ.

من المواقف التي تعبر عن مدى تعلقه بحب الله ورسوله - ﷺ- شوهد مرة يبكي كثيرا فسألوه عن سبب بكائه. فقال:

- قال رسول الله ﷺ: إنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب. ولقد رأيتني مع رسول الله - ﷺ- ما أملك درهماً.. وإن في جانب بيتي الآن لأربعين ألف درهم.

وفي أثناء مرضه دخل عليه بعض أصحابه فقال لهم:

- إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم والله ما شددت لها من خيط ولا منعتها من سائل.

وغرق في بكاء مرير...

فقالوا له:

- ما يُبكيك؟

قال لهم والدموع تنساب من عينيه:

- إن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئا.. وإنا بقينا بعدهم حتى لم نجد لها موضعاً إلا التراب. ومات والدموع تسيل على وجنتيه.. ورحل رجل العلم والصدقات والتقوى.

ومر على بن أبي طالب على قبره وقال:

- رحم الله خباباً.. أسلم راغباً.. وهاجر طائعاً.. وعاش مجاهداً وابتلى في جسمه أحوالا.

ورحل رجل العلم والصدقات والتقوى.. الصحابي خبابا.. المجاهد الذى واجه الصعابا.. وعاش متفردا بشخصية تكاملت فيها معاني العزة والشرف والإيمان الكبير.

-٥٢-

خبيب بن عدي

الصحابي خبيب بن عدي من الأنصار الصادقين.. تمزق عذابا بيد المشركين.. صُلب في يوم جريح حزين.. هذا الأسير النازف والجريح الطعين.. وحيداً في الصحراء ممزق الحنين.. ضائع يصلي لرب العالمين.. تملك الإيمان قلبه ولمس اليقين... وسهام الغدر على عنقه وحد السكين.. هوى في قلب الأرض وطوته السنين. فمن ينقذ الإنسان من غدر أعداء الدين؟

خبيب بن عدي شارك في غزوة بدر يحصد رؤوس المشركين لا يبالي سهام الغدر أو طعنات السيوف، ويواجه الموت بإيمان عميق، ولكنه سقط أسيرا لدى الأعداء حتى وجد نفسه في بيت عقبة بن الحارث مقيدا بالأغلال لا يقوى على الحراك.

وذات يوم دخلت عليه إحدى بنات الحارث فوجدت عنده شيئًا عجيبًا فخرجت وهي تناديهم وتقول:

– والله لقد رأيته يحمل قطفًا كبيرًا من عنب يأكل منه وإنه لموثق في الحديد وما بمكة كلها ثمرة عنب واحدة ما أظنه إلا رزقًا رزقه الله خبيبًا.

وأراد المشركون أن يدخلوا الرعب في قلب خبيب فحملوا إليه نبأ مقتل زيد بن الدثِنَّة وراحوا يساومونه على إيمانه ويعدونه بالنجاة، إن هو ترك دين محمد، وعاد إلى آلهتهم.

ولكن خبيبًا ظل متمسكًا بدينه إلى آخر لحظة في حياته فلما يئسوا منه أخرجوه إلى مكان يسمى التنعيم، وأرادوا صلبه فاستأذن منهم أن يصلي ركعتين فأذنوا له فصلى خبيب ركعتين في خشوع فكان بذلك أول من سنَّ صلاة ركعتين عند القتل.

وبعد أن فرغ من صلاته نظر إليهم قائلاً:

- والله لولا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ بي جزعًا من الموت لازْددت صلاة.

ثم رفع يده إلى السماء ودعا عليهم:

- اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا.

ثم أنشد يقول:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أي جَنْبٍ كَانَ في اللهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ في ذَاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قاموا إلى صلبه.. وقبل أن تقترب منه سيوفهم، قام إليه أحد زعماء قريش وقال له:

- أتحب أن محمدًا مكانك.. وأنت سليم معافى في أهلك.

فيصيح خبيب فيهم قائلاً:

- والله ما أحب أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة.

وما كاد خبيب ينتهي من كلماته هذه حتى تقدم إليه أحد المشركين وضربه بسيفه فسقط شهيدًا، وكانوا كلما جعلوا وجهه إلى غير القبلة يجدوه مستقبلها فلما عجزوا تركوه وعادوا إلى مكة.

وبقى جثمان الشهيد على الخشب الذي صلب عليه حتى علم النبي بأمره فأرسل الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو، فأنزلاه ثم حمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء، وسار به فلما لحقهما المشركون قذفه الزبير فابتلعته الأرض فَسُمِّيَ بـ"بَلِيع الأرض".

عاش الصحابي خبيب بن عدي عَذْبَ الروح، قوي الإيمان وصفه شاعر الإسلام حسان بن ثابت فقال:

صقرًا توسَّط في الأنصار منصبُه سَمْحَ السَّجِيَّةَ مَحْضاً غير مُؤْتَشَب

ويرحل الشهيد الذى واجه مرارة التعذيب والآم الصمود ومعاناة الجهاد حتى عاد إلى الأرض لتعانقه وتحتويه في أحشائها ويغيب الصوت ويظل الصدى، وترحل الشمس وينتشر الضوء الحزين.

-٥٣-
دحية ابن خليفة الكلبي

دحية بن خليفة الكلبي الرجل المشرق الذات.. جميل الطلعة عذب الكلمات.. شهد معظم الغزوات.. فارسا قي كل الجبهات.. عابدا مقيم الصلوات.. باسم الوجه هادئ القسمات.. تتجلى في عيونه الدعوات وفي قلبه تراتيل آيات.

ولمكانة هذا الصحابي القديرة عند الله كان جبريل يأتي إلى الرسول – ﷺ – في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وهناك مواقف وأحاديث كثيرة تدل على تلك المكانة السامية لهذا الصحابي الجليل.

يقول الإمام مالك:

- أقسم أن دحية من أصحاب الجنة.

فقالوا: يا مالك لم يثبت لنا حديث عن رسول الله أنه أخبر أن دحية من أصحاب الجنة؟

فقال: وهل يتمثل جبريل في صورة رجل من أهل النار. وما أرى ولعلي كاذب: أن جبريل أول من يستقبل دحية الكلبي في الجنة بوحشه.

وهناك موقف آخر للسيدة عائشة تعبر فيه عن ذلك فتقول:

- يا رسول الله ما بالك تطيل الوقوف مع دحية الكلبي؟

فيرد عليها الرسول ﷺ:

- أبشري يا عائشة فإنما ذاك جبريل كان يخبرني بأمر ربي.

قلت: إنما كان دحية؟

فقال: أجل ما كان جبريل يأتيني في صورة أحد من البشر إلا في صورة دحية ابن خليفة الكلبي.

فقالت عائشة:

- فمن يومها وكان لدحية في نفوسنا مكانا.

كان دحية بن خليفة الكلبي هادئ النفس لا يتحدث كثيرا إلا إذا استدعى الأمر، يشارك بالرأى في ثقة واقتدار، ويستمع إلى كلمات الله في خشوع وعبادة، ويناقش الرسول ﷺ في رغبة للتعلم والتفقه في أمور الدين.

عاش للفضائل والقيم الدينية عطوفا على الفقراء متصدقا بعطاء غزير مشاركا في الغزوات، مؤمنا بدوره في الجهاد وفخورا بذاته النقية وروحه البيضاء المحلقة دائما في آفاق السماء.

كانت حياته قصة مدهشة وسيرة صالحة ومواقف اتسمت بالمديح والثناء. وظل دائما ذلك المسلم الملتزم بمهام دينه ونصرة الدعوه في كل بلد أو مدينة حتى يسود النور ويحو ظلام الجهل والعبودية.

وحين رحل عن الحياة كانت آثاره ورودا في قلب المؤمنين وذكرى لتاريخ رجل من أفاضل رجال الدعوة الإسلامية ومن خير الصحابة الأبرار.

-٥٤-

زيد بن ثابت

زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي مضيء الفكر والدروب.. والعلامة الموهوب.. جامع القرآن.. عفيف النفس واللسان.. فصيح المدينة في الفقه والفتوى.. كثير العبادة والتقوى.. عالم بالفرائض والقضاء.. مرجع القوم في التفسير والإفتاء.

ولد في المدينة سنة ١٢ قبل الهجرة. وفي غزوة بدر كان مع أبيه ليحارب، ولكن الرسول صلى ﷺ رده لصغر سنه.

حفظ القرآن الكريم وروى عن النبي أكثر من مائة حديث، وعاش حياته يمنح من علمه وفكره للناس ويرشدهم إلى أمور دينهم ويفقههم في الحياة الدينية، ويشرح لهم أحاديث الرسول ويفسر القرآن الكريم ويقوم بالإفتاء.

حظى زيد بن ثابت باحترام العلماء والفقهاء وقد أمره الرسول – ﷺ– أن يتعلم اللغة السريانية التي يمارسها اليهود وذلك ليقرأ للرسول ما يأتيه منهم. وقد استطاع زيد بن ثابت أن يتقن هذه اللغة خلال عشرين يوما.

في معركة اليمامة استشهد كثيراً من قراء القرآن وحفظته ففكر عمر بن الخطاب في وسيلة لجمع القرآن، قبل أن يدرك الموت بقية القراء والحفاظ.

وتناقش عمر بن الخطاب مع الخليفة أبي بكر الصديق في ذلك.. فقام الخليفة أبو بكر ودعا زيداً بن ثابت وقال له:

– إنك شاب عاقل لا نتهمك، وأمره بجمع القرآن الكريم.

فقال زيد بن ثابت :

– والله لو كلفوني نقل جبل من مكانه لكان أهون على مما أمروني به من جمع القرآن.

ونجح في مهمته مما يؤكد عبقريته العلمية وموهبته في الاستيعاب والحفظ، وهمته ونشاطه وحماسه في إنجاز هذه المهمة. وكل ذلك يدل على عبقرية هذا العالم المسلم وانشغاله الدائم بهموم الحياة في عصره.

ومن المواقف التى تدل على عبقريته العلمية أن ابن عباس برغم مكانته العلمية الكبيرة يأتي إلى بيت زيد بن ثابت ليأخذ عنه العلم، ويقول: العلم يؤتى.. ولا يأتي.

ومن أحاديثه عن النبي – ﷺ– قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة.

قيل له: كم كان بينها ؟

قال: قدر خمسين آية.

ولقد توفي زيد بن ثابت بالمدينة سنة ٤٥ هـ ، وحزن عليه الصحابة والعلماء والمسلمون لرحيل عالم من علماء الفقه والفرائض ومن حفظة القرآن الكريم.

وقال أبو هريرة:

- اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً.

وفي ليلة رحيله قال ابن عباس:

- هكذا ذهاب العلم.. لقد ذهب اليوم علم كثير.. حقاً لقد انهدم بنيان شامخ.. وهوى كوكب ساطع.. فلا البناء يعاد.. ولا الكوكب يحور.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ورحل بحر العلم ومنارة الإسلام.. وانشقت الأرض وبكت الغمام.. وتكسرت القلوب وسكت الكلام.. ولكن مازال هذا الصحابي في تاريخ المسلمين من أفاضل الرجال في العطاء والجهاد والفناء في سبيل الله.

-٥٥-

زيد بن حارثة

زيد بن حارثة هذا الشهيد الشجاع.. من أبرع الرماة.. يتحدى صعاب الحياة.. ويقاوم الغزاة.. ويعيش طريداً في دنياه.. وحيداً في الفلاة.. لا يحن الجباة.. ويتبع الرسول ولا يحب سواه.. ويظل دائما فداه.. ويصيح في الوغى: وإسلاماه.

زيد بن حارثة ذهب أسيراً في طفولته وعاش حزيناً في منفاه.. وبكت من أجله أمه وانطلق أبوه يحمل عصاه.. يجوب الديار في دموع وانكسار ويسأل القبائل في الليل والنهار وظل يبكيه ويرى صورته في عيون الصغار.

وكان زيد بن حارثة قد اشتراه رجلاً من قريش هو حكيم بن حزام بن خويلد وأهداه لعمته خديجة بنت خويلد التي وهبته لزوجها محمد بن عبد الله فقبله وأعتقه.

وعندما عُرف مكانه ذهب أبيه وعمه لدى محمد وكان النبي ﷺ مازال لم يبعث بعد فدخلا عليه وقالا للرسول:

- يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ولدنا فامنن علينا وأحسن في فدائه.

فترك النبي لزيد حرية الاختيار. فقال لهما:

- ادعوا زيداً.. خيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء.. وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء.

ففرح والده حارثة وقال للنبي:

- لقد أنصفتنا وزدتنا وأحسنت إلينا.

فلما جاء زيد سأله النبيﷺ:

- أتعرف هؤلاء؟

قال زيد:

- نعم: هذا أبي وهذا عمي.

فقال الرسول لزيد:

- فأنا مَنْ قد علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما.

فقال زيد:

- ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا أنت مني مكان الأب والعم.

فدهش أبوه وعمه وقالا:

- ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! فقال زيد:

- نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا.

فلما رأى الرسول ﷺ ذلك فرح فرحاً شديداً ودمعت عيناه، وأخذ زيداً وخرج إلى حجر الكعبة، حيث قريش مجتمعة ونادى:

- من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه.

فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت نفساهما. وصار زيد لا يُعْرف في مكة كلها إلا بزيد بن محمد.

وأسلم زيد وكان ثاني المسلمين وأحبه الرسول حبًّاً عظيماً. وهاجر زيد إلى المدينة وآخى الرسول بينه وبين أسيد بن حضير.

عاش زيد فدائيًّا شجاعاً، ومن أحسن الرماة في غزوة بدر وأحد وحضر الخندق وصلح الحديبية وفتح خيبر وغزوة حنين. وكان أميرًا على سبع سرايا من جيوش المسلمين.

وحين أغار الروم على المسلمين جهز الرسول جيشاً بقيادة زيد بن حارثة.

وتجلت شجاعة زيد في الحرب ضد الروم واندفع زيد في صفوف الأعداء لا يبالي بعددهم ولا بعدتهم ضارباً بسيفه يميناً ويساراً حاملاً الراية بيده الأخرى ولكنه أُصيب بطعنة من الخلف وظل رافعاً الراية حتى استشهد.

فدعا له الرسول وقال:

- استغفروا لأخيكم قد دخل الجنة وهو يسعى.

واستشهد زيد بن حارثة وترك ذكرى عاطرة بالتضحية والوفاء والجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام.

ولا تغفل الذاكرة حياة زيد بن حارثة هذا الشهيد الشجاع.. من أبرع الرماة.. يتحدى صعاب الحياة.. ويقاوم الغزاة.. ويعيش طريداً في دنياه.. وحيداً في الفلاة.. لا يحن الجباة.. ويتبع الرسول ولا يحب سواه.. ويظل دائما فداه.. ويصيح في الوغى: وإسلاماه.

-٥٦-

سالم بن معقل

سالم بن معقل الصحابي الحكيم.. الذى أتقن القرآن الكريم وتميز بالصوت الجميل في القراءة والعبادة.. تنساب حروفه في الفضاء.. تؤثر في القلوب وتعلو للسماء.

كان الناس يشعرون بمتعة روحية في الإنصات إليه في المسجد، وقد عُرف عنه هذا الصوت الشجي العذب.

وسالم أيضا محارب من المجاهدين وفارس من الفرسان الأبطال، اشترك في الحروب ودافع عن العقيدة حتى سقط شهيداً على أرض المعركة وترحم عليه الجمع وحزنوا حزناً شديداً.

عاش في عصر الجاهلية عبداً لأبي حذيفة بن عتبة فأسلما معاً، وكان أبو حذيفة يتبناه ويعامله كإبنه معاملة كريمة فكان يسمى سالم بن أبي حذيفة.

هاجر سالم إلى المدينة وكان يحب أن يستمع إلى النبي وهو يقرأ القرآن، وقد تأثر به كثيراً وتعلم منه أصول العقيدة الإسلامية حتى أصبح سالم من كبار حفظة القرآن الكريم، فكان الرسول – ﷺ– يعترف بموهبته تلك ويقول عنه: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود. وسالم بن معقل، ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب.

ومن المواقف التي تعبر عن مدى موهبة هذا الصحابي في تلاوة القرآن الكريم أن السيدة عائشة روت هذه القصة فقالت:

– استبطأني رسول الله ذات ليلة فقال:

– ما حَبَسَكِ؟

قلت: إن في المسجد لأحسن مَن سمعتُ صوتًا بالقرآن.

فأخذ رداءه وخرج يسمعه فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة.

فقال:

– الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك.

ولما هاجر سالم بن معقل مع المسلمين إلى المدينة كان يؤم المسلمين للصلاة بمسجد قباء وفيهم عمر بن الخطاب، وذلك قبل أن يهاجر النبي وكان عمر يكثر من الثناء عليه حتى أنه تمنى أن يكون حياً فيوليه الخلافة من بعده.

وعُرف سالم بالصدق والشجاعة واشترك مع الرسول في غزوة بدر وغيرها من الغزوات، وخرج في السرية التي بعثها رسول الله إلى بني جذيمة بقيادة خالد بن الوليد.

وحينما رأى سالم خالداً يأمر بقتال هذه القبيلة دون أن يأمره الرسول بذلك ثار واعترض عليه ومعه بعض الصحابة.

ولما عادوا أيدهم الرسول في ذلك.

وظل سالم يجاهد مع رسول الله ﷺ حتى توفي شهيداً في المعركة.

وشارك الصحابي الشجاع سالم وأبو حذيفة مع الجيوش الإسلامية التي وجهها أبو بكر لمحاربة المرتدين عن الإسلام فكان في مقدمة الجيش المتوجه إلى اليمامة لمحاربة مسيلمة الكذاب.

وكان سالم يصيح قائلاً:

- بئس حامل القرآن أنا لو هوجم المسلمون من قِبَلي.

ثم اندفع في قتال المرتدين حاملاً راية الإسلام بعد أن استشهد حاملها زيد بن الخطاب. ومَنَّ الله على جنوده بالنصر.

ولكن أصيب سالم بضربة قاتلة.. فأسرع المسلمون إليه والتفوا حوله فسألهم عن أخيه في الله ومولاه أبي حذيفة فأخبروه بأنه قد استشهد ولقى ربه، فطلب منهم أن يضعوه بجواره حتى يموتا معًا ويبعثا معًا.

فقالوا له:

- إنه إلى جوارك يا سالم.

وفاضت روحه إلى الله لينعم بالشهادة بعد رحلة حياة حافلة بالجهاد والإيمان الكبير. رجل تضىء روحه حين تستقبل الشهادة ويحلق في فضاء الخلد خالفا في الدنيا أشجارا من الحب وأنهارا من الرحمة والقيم.

-٥٧-

سعد بن أبي وقاص

الصحابي الفارس المغوار.. ورجل العلم والقرار.. المدافع عن الحما والديار.. رجل المواقف الذي انتصر على الفرس في القادسية باقتدار.. وشاع اسمه في تاريخ الأبطال الأحرار. وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

سعد بن أبي وقاص.. صحابي خلده تاريخ الإسلام.. حاد الذكاء.. صلب المبدأ.. واثق الخطا.. عميق النظرة للحياة والإنسان. ولذلك أدرك ما يحمله الدين الإسلامي من حياة جديدة قائمة على عبادة الله الواحد الذى لا شريك له. فأعلن إسلامه وأصبح أحد رجال الدعوة الأفذاذ تحت قيادة رسول الله – ﷺ.

يكمن علم سعد بن أبي وقاص في اهتدائه لنور الحق واليقين.. وإيمانه بالدعوة الإسلامية فأقبل على حفظ القرآن الكريم ودراسته.. وحضور مجالس العلم مع الرسول الكريم، والاستماع إلى أحاديثه ومناقشته وتلقي العلم منه.

وكذلك يكمن علم سعد في دهائه.. وحكمته في قيادة الجيش وحسن تصرفه ومن ذلك حين كان يواجه أعداء الإسلام في موقعة "المدائن" فكر في حيلة للقضاء على الأعداء ومفاجآتهم وأصدر أمراً للجنود أن يعبروا نهر دجلة بخيولهم رغم خطورة الفيضان.. وعبر الجيش وحقق النصر.

سعد بن أبي وقاص شخصية قيادية.. وزعامة إسلامية.. وفكر متفقه في القرآن والأحاديث وشئون البلاد وقيادة الجيش وحيل المعارك. أحبه الرسول حبا شديدا ودعا له قائلا:

- اللهم استجب لسعد إذا دعاك.

واستجاب الله حقاً لدعوة رسوله الأمين من أجل سعد بن أبي وقاص، وذلك حين ادعى رجلاً على سعد أنه لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فدعا عليه سعد وقال:

- اللهم إن كان كاذباً.. فأعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتن.

ومشى الرجل في المدينة يغازل الجواري وسقط حاجباه على عينيه وأصابه العمى. وحين سألوه عن ذلك قال الرجل:

- شيخ مفتون أصابته دعوة سعد بن أبي وقاص.

وموقف آخر استجاب الله فيه لدعوة سعد بن أبي وقاص فقد سمع رجلاً يسب الصحابة. ونهاه سعد عن ذلك، ولكن الرجل قال له ساخرا:

- أراك تتهددني وكأنك نبي!!!

ودعا عليه سعد أن يجعله الله آية وعبرة. ولم يمض وقت طويل حتى اندفعت ناقة وهجمت على الرجل الذي سب الصحابه وأخذته بين قوائمها.. ومازالت تتخبط به حتى مات الرجل.

ومن عبقرية سعد بن أبي وقاص ثباته على إيمانه ولم يتراجع أو يتأثر بكلمات أمه التي غضبت عليه، لأنه أسلم حتى أنها امتنعت عن الطعام والشراب وكادت تموت ليرتد عن الإسلام، ولكنه وقف أمامها في ثبات وثقة وإيمان وقال لها:

- يا أمي.. تعلمين والله لو كانت لكِ مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني.. فإن شئتِ كلي وإن شئتِ لا تأكلي فلن أترك ديني.

وأنزل الله تعالى قوله: "وإن جاهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تُطعهُما وصاحبهُما في الدنيا معروفا" لقمان ١٥.

ويقال أن من مآثر سعد بن أبي وقاص أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دماء الكافرين.

وفي نهاية حياته أوصى سعد أن يُكفن في ثوب قديم كان لديه من يوم بدر وقال:

– لقد لقيت المشركين فيه يوم بدر.. ولقد ادخرته لهذا اليوم.

ورحل بعد رحلة مليئة بالبطولات والمواقف الرائعة، وكان آخر من مات من العشرة المبشرين بالجنة. وآخر من مات من المهاجرين.

إنه الصحابي الفارس المغوار.. ورجل العلم والقرار.. المدافع عن الحما والديار.. رجل المواقف الذي انتصر على الفرس في القادسية باقتدار.. وشاع اسمه في تاريخ الأبطال الأحرار. وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

-٥٨-

سعد بن عبيد

سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري.. المعلم. حيث تميز بالفصاحة المدهشة.. والشجاعة المقنعة.. والمنطق في التفسير.. والإسهاب في التعبير.

سعد بن عبيد الواعظ.. والفقيه.. الذى حمل أمانة نشر الدعوة الإسلامية في المدينة، وقد أسلم على يديه كثير من الناس.

حفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين وقرأ في الديانات القديمة وحاز على فكر إسلامي عميق، ولذلك اتخذه الرسول - ﷺ- إماماً لمسجد قباء تقديراً لمكانته العلمية وقد لقبه بالقارئ.

من فضائل سعد بن عبيد أنه كان أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن الكريم في عهد الرسولﷺ.

اهتم سعد بن عبيد بالعلم.. وحضور مجالس الرسول - ﷺ- مع الصحابة العلماء وينصت بشغف إلى الأحاديث النبوية.. ويطرح تساؤلاته.. ويبحث.. ويفكر.. ويدرك.. ويستوعب.. ويتفهم القضايا الإسلامية.

بعثه الرسول ﷺ إلى أهل العراق ليعلمهم ويثقفهم في أمور الدين فكان خير معلم، ولا أحد يمكنه أن ينسى موقفه أمام ملك الحيرة حيث قال له:

- أيها الملك.. لقد تشرفت بالباطل.. وتفوهت بكلام غير عاقل.. أما علمت أن العاقبة للمتقين. وأن الله بكرمه يرفع عنا البأس ويظفرنا بجميع الناس.. وأن نبينا - ﷺ- قال:

- ستُفتح على أمتي كنوز كسرى وقيصر.. فأما كنوز قيصر فقد فتحها الله علينا وبقيت كنوز صاحبك.

وزحفت جيوش المسلمين وانتصرت في القادسية على جيوش الفرس بقيادة سعد بن أبي وقاص. وشارك سعد بن عبيد في هذه الحرب الضارية وكان خلالها يحفز الجنود المسلمين على القتال ويقول:

- إنا مستشهدون غداً.. فلا تكفنونا إلا في ثيابنا التي أُصبنا فيها.

كان لصوت سعد بن عبيد وقع السحر في نفوس الجنود المسلمين، حيث جاهد كل مسلم ليفوز بالشهادة في سبيل الله.

حارب سعد بن عبيد بالسيف والكلمة.. واحتل مساحة كبيرة من الحب والاحترام والتقدير في نفوس الصحابة والناس، لتميزه وتفرده بالعلم وإنجازاته البطولية أثناء الغزوات مع الرسول – ﷺ– وأبطال الفتوحات.

سعد بن عبيد من رواة الحديث، وقد روى كثيراً منها ليعلم المسلمين ويرشدهم ويشق لهم طريق الإيمان مضاء بالقرآن الكريم، وأحاديث الرسول – ﷺ.

وعاش سعد حبيبا للمسلمين وقريبا من حياتهم.. يواسى جراحهم.. ويتعذب مع آلامهم ويجاهد للدعوة بروحه وحياته حتى رحل إلى جنات الشهداء.

-٥٩-
سعد بن معاذ

سعد بن معاذ بن عبادة من كبار الزعماء.. تفتحت جراحه ونزفت الدماء.. واجه العذاب ذاق الشقاء.. احتمل وصبر وقاوم الأعداء.. ظل جسورا لا يهاب الموت أو الفناء.. رافعا وجهه إلى السماء.. صامدا لا تطيح به العواصف أوالأنواء.

حين أسلم سعد بن معاذ بن عبادة طاردته قريش في كل مكان وهاجمه رجالها، وربطوا يديه إلى عنقه، والتفوا حوله يمزقون جسده بالسياط والعذاب.

ولكن ظل سعد بن معاذ واقفا كالجبل لا يلين.. لا تطيح ويلات العذاب أووجع السياط وقرر أن يحارب أهل الشرك مدى الحياة.

فقام بجمع أمواله لفقراء المسلمين وشهرته في الجود والكرم يعرفها كل العرب فقد كان أبوه ابن عبادة من أكرم الناس في الجاهلية يعرفه الجميع وبيته لا يغلق بابه في وجه كل سائل أو محتاج.

وتحدث الناس عن كرم سعد السخي فيقال: "كانت جفنة سعد تدور مع النبي - ﷺ- في بيوته جميعا".

وقالوا: "كان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره بالواحد من المهاجرين أوبالاثنين أو بالثلاثة، وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين من أجل هذا، كان سعد يسأل ربه دائما المزيد من خيره ورزقه".. وكان يقول:

- اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه.

من أجل هذا كان خليقا بدعاء رسول الله - ﷺله:

- اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة.

ولم يضع سعد بن معاذ ثروته وحدها في خدمة الإسلام الحنيف، بل وضع قوته ومهارته.. فقد كان يجيد الرمي إجادة فائقة.. وفي غزواته مع رسول الله ﷺ كانت بطولته وتضحياته قوية ويقول ابن عباس:

- كان لرسول الله ﷺ في المواطن كلها رايتان.. مع علي ابن أبي طالب راية المهاجرين.. ومع سعد بن عبادة، راية الأنصار.

سعد بن معاذ شديد في الحق.. يتكلم في صراحة لا يعرف الخوف، ولذلك في يوم فتح مكة جعله الرسول ﷺ أميرا على فيلق من جيوش المسلمين.. ولم يكد يشارف أبواب البلد الحرام حتى صاح:

- اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة..

وسمعها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فسارع إلى رسول الله ﷺ قائلا:

- يا رسول الله..اسمع ما قال سعد بن عبادة.. ما نأمن أن يكون له في قريش صولة.

فأمر النبي ﷺ عليّا أن يدركه ويأخذ الراية منه ويتأمّر مكانه.

إن سعدا حين رأى مكة مذعنة مستسلمة لجيش الإسلام الفاتح.. تذكّر كل صور العذاب الذي صبّته على المؤمنين وعليه هو ذات يوم.. وتذكر الحروب التي سنتها على قوم ودعاة.. كل ذنبهم أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فدفعته شدّته إلى الشماتة بقريش وتوعدها يوم الفتح العظيم.

وبعد سنين شدّ رحاله إلى الشام.. وما كاد يبلغها وينزل أرض حوران حتى دعاه أجله وأفضى إلى جوار ربه الرحيم هانئا في جنات النعيم.. يذكره الصحابة والمسلمين وتنزف القلوب شوقا إليه وحزنا عليه لمآثره الطيبة.

-٦٠-

سعيد بن زيد

سعيد بن زيد الصحابي أمير الكلام.. والفارس الهمام.. والعلامة الذي عاش حياته في ظل الإسلام.. وأحد العشرة المبشرين بالجنة بين الأنام. عاش في رحاب الرسول - ﷺ- في سلام. يستمع ويدرك.. يناقش ويتعلم أصول الإسلام.. يسأل ويفهم.. يكتسب المعرفة والدين.. ويمنح العلم والعدل والحق للآخرين.

عاش سعيد بن زيد حافظاً للقرآن الكريم.. عابداً صادقاً.. خاشعاً.. ومؤمناً شديد الإيمان. عاشق للعلم.. وشغوفا بكلام العلماء. يرغب دائما في البحث عن المعرفة واكتشاف الحقيقة والبحث فيما وراء المعاني والأفكار.

سعيد بن زيد هذا الصحابي يستمع إلى أحاديث الرسولﷺ .. تنبض جوارحه بالكلمات.. ويتأثر بالمواقف وتُضاء مصابيح الإيمان في روحه وتُشرق ذاته.و هذا ليس غريباً فقد نشأ بين أسرة تذوقت معنى وحدانية الله فقد كان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل رفض أن يعبد الأصنام واهتدى بفطرته الصافية إلى سيرة إبراهيم عليه السلام، واستلهم من حياته معنى الدين وأن هناك رباً واحداً لهذا الكون.

تعلم سعيد بن زيد منذ طفولته هذه المعاني وعلى الفور أسلم مع زوجته فاطمة بنت الخطاب، وقد كانا يجلسان في البيت يقرآن من القرآن الكريم مع خباب بن الأرت وسمعهم عمر بن الخطاب فدخل عليهم.

ومنذ تلك اللحظة انفتح قلب عمر بن الخطاب بعد قراءة آيات من القرآن وذهب إلى الرسول ﷺ وأعلن إسلامه. وهكذا كان سعيد بن زيد وفاطمة بنت الخطاب وخباب بن الأرت هما السبب في إيقاظ عمر بن الخطاب من غفلته الجاهلية.

كان سعيد بن زيد مستجاب الدعوة وحدث ذلك حين أدعت أروى بنت أويس كذباً أنه استولى على قطعة أرض لها. وشكت إلى مروان بن الحكم والى المدينة. وأكد سعيد بن زيد أن الأرض ملكاً له ولكن اضطر إلى التنازل عنها وقال:

- اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تُعمي بصرها وتجعل قبرها في بئر.

وترك لها الأرض.

وبعد مدة عميت أروى بنت أويس. وكانت تقودها جارية لها. وفي ليلة قامت وحدها وبينما تمشي فى الدار وقعت في بئر وماتت وأصبح البئر قبرها.

وهذه القصة تدل على مدى صدق سعيد بن زيد، وأن الله استجاب إلى دعائه لمكانته السامية وإنجازاته في دروب الخير والمعروف والفضائل والصدقات، لذلك أحبه الناس جميعا.

وعندما حدثت الفتنة بين المسلمين رفض أن يشارك فيها وظل في عبادته وتقواه، حتى توفي سنة ٥١ هـ ودفن في المدينة المنورة.

ورحل الصحابي الأمين.. وظلت ذكراه في القلب الحزين.. بعد أن وهب الخير الوفير وتصدق بالمال لكل فقير. وتبدو حياته صورة مثلى للمجاهد المسلم الكريم.

-٦١-

سعيد بن عامر

سعيد بن عامر.. قلب بالحب عامر.. فارس مجاهد مغامر.. في سبيل الله مهاجر.. تفر من أمامه شياطين الإغراء.. رجل الزهد والورع والعطاء.. رفض السيادة وزيف الثراء.

سعيد بن عامر واحدا من الصحابة الأتقياء.. رجل العلم الذى أعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ، وجاهد في الغزوات في شجاعة وإقدام. لم يعرف التراجع أو الخوف في حياته.

عاش زاهدا في لا تغريه الثروات أو المال، ولذلك اختاره عمر بن الخطاب واليا على الشام فاعتذر سعيد قائلاً:

– لا تفتني يا أمير المؤمنين.

ولكن عمر ابن الخطاب قال:

- والله لا أدعك.. أتضعون أمانتكم وخلافتكم في عنقي.. ثم تتركونني.

واضطر الصحابي سعيد بن عامر أن يكون أميرا على حمص رغم رفضه تلك الإمارة. وتعرض زوجته عليه أن يشتري لها ما تحب ويستمتعا بالحياة بالمال الذي تسلمه من عمر بن الخطاب، ولكنه رفض ذلك وتصدق بالمال على الفقراء.

وعندما تعلم زوجته ينتابها الحزن فيقول لها سعيد بن عامر:

- لقد كان لي أصحاب سبقوني إلى الله.. وما أحب أن أنحرف عن طريقهم. ولو كانت لي الدنيا بما فيها. تعلمين أن في الجنة من الحور العين، والخيرات الحسان.. ما لو أطلت واحدة منهن على الأرض لأضاءتها جميعًا.. ولقهر نورها نور الشمس والقمر معًا.. فلأن أضحي بك من أجلهن أحرى وأولى من أن أضحى بهن من أجلك.

ومن المواقف الرائعة في حياة هذا الصحابي عندما اشتكاه بعضهم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقالوا: نشكو منه أربعًا لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، ولا يجيب أحدًا بليل، وله في الشهر يومان لا يخرج فيهما إلينا ولا نراه، وأخرى لا حيلة له فيها ولكنها تضايقنا، وهى أنه تأخذه الغشية "الإغماء" بين الحين والحين.

فقال عمر في نفسه: اللهم إني أعرفه من خير عبادك، اللهم لا تخيب فيه فراستي، ثم دعا عمر سعيدًا ليدافع عن نفسه.

فقال سعيد: أما قولهم: إني لا أخرج إليهم حتى يتعالى النهار، فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب، إنه ليس لأهلي خادم، فأنا أعجن عجيني، ثم أدعه حتى يختمر ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ للضحى، ثم أخرج إليهم.

أما قولهم: لا أجيب أحدًا بليل، فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب إني جعلت النهار لهم، والليل لربي.

وأما قولهم: إن لي يومين في الشهر لا أخرج فيهما، فليس لي خادم يغسل ثوبي، وليس لي ثياب أبدلها، فأنا أغسل ثوبي، ثم أنتظر حتى يجف، ثم في آخر النهار أخرج إليهم.

وأما قولهم: إن الغشية تأخذني بين الحين والحين، فقد شهدت خبيب بن عدي حين صلب بمكة، وهم يقولون له: أتحب أن محمدًا مكانك وأنت سليم معافى؟ فيجيبهم قائلاً: والله ما أحب أني في أهلي وولدي معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة ثم دعا عليهم قائلاً:

- اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا.

فكلما تذكرت ذلك المشهد الذي رأيته وأنا يومئذ من المشركين أرتجف من عذاب الله، ويغشاني الذي يغشاني. ففرح عمر لما سمع هذا، وقام يعانق سعيدًا ويقبل جبهته ويقول:

- الحمد لله الذي لم يخيب فراستي.

وكان سعيد يتصدق براتبه على الفقراء والمحتاجين ولقد قيل له يومًا:

- توسع بهذا الفائض على أهلك وأصهارك.

فقال: ولماذا أهلي وأصهاري؟ لا والله ما أنا ببائع رضا الله بقرابة ما أنا بالمتخلف عن الرعيل الأول.

وفي غزوة اليرموك كثر عدد الروم فاستغاث قادة الجيوش الإسلامية بأبي بكر فأمدهم بسعيد بن عامر.

وتوفي سعيد سنة ٢٠ هـ في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب وهو في الأربعين من عمره. وهكذا رحل الصحابي الكريم سعيد بن عامر.. قلب بالحب عامر.. فارس مجاهد مغامر.. في سبيل الله مهاجر.. تفر من أمامه شياطين الإغراء.. رجل الزهد والورع والعطاء.. رفض السيادة وزيف الثراء.

-٦٢-

سلمان الفارسي

سلمان الفارسي الصحابي الذى شق طريقه.. باحثاً عن الحقيقة.. في كل فج وبكل طريقة.. حتى اكتشفها في العقيدة الإسلامية.. عُرف عنه صدق السريرة.. وروحة المنيرة.. باحثاً عن علاه في الكون والحياة.. تسكن في روحه عزائم الأبطال الفاتحين ويشهر سيف الإسلام في وجه المشركين.

سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله.. من أصبهان من قرية يقال لها "جي سافر" يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه لرجل من اليهود، ثم إنه كوتب فأعانه النبي في كتابته.. أسلم عند مقدم النبي المدينة ومنعه الرق من شهود بدر وأحد وأول غزوة غزاها مع النبي – ﷺ– الخندق وشهد ما بعدها وولاه عمر المدائن.

عُرف عنه كثرة العبادة وملازمته للنبي ﷺ. ولعلمه الغزير سماه أبو هريرة صاحب الكتابين الإنجيل والقرآن. وأطلق عليه علي بن أبي طالب لقمان الحكيم.

ويقول عن العلم:

- العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك، ودع ما سواه فلا تعانه.

وقال أيضا عن المؤمن:

- إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال لا تقربه فإنك إن أتيته أهلكك، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش، فيمنعه الله - عز وجل - إياه ويحجزه حتى يتوفاه فيدخله الجنة.

وعن جرير قال: قال سلمان الفارسي: يا جرير.. تواضع لله عز وجل فإنه من تواضع لله عز وجل في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير.. هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا.. قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين إصبعيه.. قال: يا جرير.. لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده.. قال قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر.

ويقول سلمان الفارسي: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد قال المقعد: إني أرى ثمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني فحمله فأكل وأطعمه.

ويقول عن الحسنات: إذا أسأت سيئة في سريرة فأحسن حسنة في سريرة.. وإذا أسأت سيئة في علانية فأحسن حسنة في علانية، لكي تكون هذه بتلك.

ويقول سلمان الفارسي: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملأ فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه، وثلاث أحزنني حتى أبكينني: فراق محمد وحزبه.. وهول المطلع.. والوقوف بين يدي ربي - ﷻ - ولا أدري إلى جنة أو إلى نار.

ويقول أيضا: ما من مسلم يكون بفيء من الأرض فيتوضأ أو يتيمم، ثم يؤذن ويقيم إلا أمَّ جنوداً من الملائكة لا يرى طرفهم أو قال طرفاهم.

وعن الشعبي قال: أصاب سلمان صرة مسك يوم فتح جلولاء فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاة قال هاتي المسك فمرسها في ماء، ثم قال انضحيها حولي فإنه يأتيني زوار الآن ليس بإنس ولا جان، ففعلت فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض.

كان سلمان من المعمرين وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان، ومات سنة اثنين وثلاثين من الهجرة.

ويرحل الحكيم الذي حاز ثقة العلماء وأهل الفكر والدين وما زالت كلماته مصابيح مضيئة في كل طريق يستنير بها كل من يطالع سيرته ويتعمق في حياته وينهل من علمه الوفير.

-٦٣-
سلمة بن الأكوع

سلمة بن الأكوع الصحابي.. فارس الفرسان.. وأبرع من حذق وأتقن ضرب السهام والطعان.. عاش في إسلامه لا يعرف الكذب أو الهوان.. بل كان دائماً

الصابر الأمين والصادق المسلم كثير الإيمان. حلقت روحه في كل مكان تمنح الآخرين في رحمة وسخاء وأمان.

الصحابي سلمة بن الأكوع يتحدث عن رؤيا قد شاهدها ذات يوم فيقول:

– رأيت الذئب قد أخذ ظبياً فطلبته حتى نزعته منه.

فقال الذئب: ويحك! مالي ولك؟ عمدت إلى رزق رزقنيه الله ليس من مالك فتنزعه مني!

فتعجب سلمة وصاح: أيا عباد الله ذئب يتكلم إن هذا لعجب.

فقال الذئب: أعجب من هذا أن النبي في أصول النخل يدعوكم إلى عبادة الله وتأبون إلا عبادة الأوثان.

وتفكر سلمة في هذا الأمر وقرر أن يذهب إلى الرسول ليعلن إسلامه. وهكذا دخل حياة الخير والجهاد ووقف يساند الرسول في كل المحن ويدافع عنه ويعاهده ولا سيما في بيعة الرضوان مع الذين بايعوا رسول الله على الموت يوم الحديبية، وقد شارك مع الرسول في غزواته.

يقول سلمة:

– غزوت مع رسول الله سبع غزوات وخرجت فيما بعث من البعوث سبع غزوات.

وقال عنه ابنه إياس:

– ما كذب أبي قط.

ومن المواقف التي تُروى عن شجاعته هذا الموقف حين خرج مع رباح غلام النبي بالإبل لتشرب فهجم عليهم عيينة بن حصن وبعض المشركين، فقتلوا راعي الإبل وأخذوا يطاردون الإبل أمامهم ليأخذوها.

فلما رآهم سلمة قال لرباح:

- يا رباح اركب على هذا الفرس وأعطه لطلحة بن عبيد الله فإنه فرسه، وأخبر رسول الله أن المشركين هجموا على الإبل، وسوف أقاتلهم حتى تأتوا إليَ، ثم صعد أعلى جبل وأخذ ينادي بأعلى صوته:

- يا صباحاه. ثلاث مرات.

فسمع المشركون الصوت وتوجهوا نحوه وهم لا يرونه فأخذ يرميهم بالنبال والسهام ثم أظهر لهم نفسه وأخذ يقول:

- أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع.

فانشغل المشركون به وتركوا الإبل، وإذ بالمقداد بن الأسود والأخرم الأسدي وأبو قتادة قد أقبلوا على فرسانهم فظن المشركون أنهم جيش المسلمين كله فتصدى سلمة والأخرم للمشركين وتبع أبو قتادة الفارين منهم.

ووصل إليهم الرسول ﷺ ومعه خمسمائة فارس فلما علم بما فعله سلمة وأبو قتادة قال:

- كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة.. وخير رجالتنا "أي مُشاتنا" سلمة.

ولما أحس سلمة أن أبواب الفتنة قد ظهرت بعد قتل عثمان رحل إلى الربذة، وتزوج وكان يقول:

- كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أنه قد أتى باباً من أبواب الكبائر. وعاش سلمة بن الأكوع حياة تغمرها الفضائل والخيرات والمثل العليا النابعة من عقيدة الإسلام.

فقد كان سلمة بن الأكوع فارس الفرسان وأبرع من حذق وأتقن ضرب السهام والطعان.. عاش في إسلامه لا يعرف الكذب أو الهوان.. بل كان دائماً الصابر الأمين والصادق المسلم كثير الإيمان.. حلقت روحه في كل مكان تمنح الآخرين في رحمة وسخاء وأمان.

-٦٤-

صرمة بن قيس

صرمة بن قيس الصحابي الشاعر الذي ركض بين رمال الصحراء.. يتأمل الكواكب في السماء.. ويبحث عن سر الوجود والأحياء.. وقد هاجر بين المدائن والبلدان.. هارباً من عبادة الأوثان.. ووقف حائراً يبحث عن رب الوجود عالم السر والبيان.. وحكمة خلق الإنسان.

نظر إليه قومه في سخرية ورموه بالخبل والجنون فقال لهم:

سبحوا لله شرق كل صباح	طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا	ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتأوى	في وكور من أمنات الجبال
وله الوحوش بالفلاة تراها	في حقاف وفي ظلال الرمال

وحين بدأت الدعوة الإسلامية استمع صرمة بن قيس إلى كلمات الرسول ﷺ ارتعشت أوتار روحه، واستقر فؤاده وتدبر عقله معاني هذا الدين الجديد الذى جاء بالهداية للبشر ونشر الخير والتسامح والفضائل والسلام.

أصبح صرمة بن قيس من رجال الإسلام النابغين واهتدت روحه بعد رحلة بحث في الكون، واستمع إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول، وبدأ يدافع عن الدعوة الإسلامية ويدعو الناس إلى نبذ الجاهلية والدخول إلى النور والتسامح.

ويصف موقفه من دعوة الرسول ويقول:

أقول إذا أدعوك في كل بيعة	تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة	حنانيك لا تظهر على الأعاديا
فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى	إذا هو لم يجعل له الله واقيا

وعُرف عن صرمة بن قيس الحكمة البليغة والنظرة المتأنية العميقة والكلمة الفصيحة والشعر المدافع عن العقيدة الإسلامية، وتصوير مواقف الرسول - ﷺ - في دعواه وتسامحه ومحبته وتقواه.

حفظ القرآن الكريم وأدرك تعاليم الإسلام وأصبح من كبار الدعاة والعارفين بالحديث الشريف، واقترب من الصحابة والعلماء وتعلم منهم الكثير، وكان بدوره ينقل تعاليم الرسول - ﷺ- ويحضر مجالس العلم وتلاوة القرآن الكريم.

كان صرمة بن قيس يدعو بالشعر فهو سلاحه الحقيقي، حيث كانت كلماته تفيض بالمعاني الإسلامية ويقول:

أوصيكم بالله والبر والتقى	وأعراضكم وبالبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم	وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم	فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وإن يـأتِ غـرم قـادح فـارفقوهم   ومـا حملـوكم في المـلمات فـاحملوا
وإن أنـتم أملقـتم فتعففـوا   وإن كـان فـضل الخـير فـيكم فأفـضلوا

وعاش صرمة بن قيس ينشد أشعاره من أجل الدعوة الإسلامية، ويعظ الناس ويدعوهم إلى الثبات على الإيمان الحقيقي واتباع الدين الإسلامي. فكان من خير الدعاة الأفاضل والرجال الفقهاء والشعراء المبدعين.

-٦٥-

صفوان بن أمية

صفوان بن أمية الصحابي روح في السماء سارية.. حاز ثقافة إسلامية عالية.. أحد رجال المعارك الضارية. وهب ذاته لإعلاء كلمة الحق ونشر النور.. وجاهد في كل المعارك.. وأسقط الحصون والقصور.. ودعا إلى الإسلام الحق العميق.. وهو المسلم المتسامح والقلب الرقيق.. والذات الشفافة الباحثة عن الخير في كل مجال وطريق.

صفوان بن أمية أحد فصحاء العرب وواحد من أشراف قريش في الجاهلية.. فقد تميز بفكر عميق تجاه المواقف وبحث دائم عن عجائب الخلق. وعرفه الناس سخي اليد كريم العطاء مع الناس جميعاً والفقراء.

ولذلك كان واحداً من المشهورين في إطعام الناس في قريش حتى قيل: إنه لم يجتمع لقوم أن يكون منهم مطعمون خمسة إلا لعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف.

وكان صفوان من أشد الناس عداوة وكرهاً للنبي - ﷺ- وأصحابه قبل أن يدخل في الإسلام، ولكنه حين ظل يفكر في الدعوة المحمدية ومبادئها شعر أن روحه تسربت إليها نوراً من هذا الدين الجديد ولا سيما بعدما تسامح معه الرسول - ﷺ- وتركه على جاهليته يعيش حُراً آمنا، ولذلك توجه إلى النبي - ﷺوأعلن إسلامه.

ومن المواقف التي عاشها صفوان في جاهليته تلك القصة التي أدت به في النهاية الي إعلان إسلامه، وذلك عندما علم صفوان أن عمير بن وهب يريد الذهاب لقتل الرسول ﷺ بعد غزوة بدر وقرر صفوان أن يساعده.

وذهب عمير إلى المدينة مصمماً على قتل محمد، ولكنه أسلم وترك صفوان هارباً، ولكن عمير ذهب إلى النبي - ﷺ- يطلب منه العفو والأمان لصديقه صفوان وقال له:

- يا رسول الله صفوان بن أمية سيد قومه خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر خوفاً منك فأمِّنه فداك أبي وأمي.

فقال الرسول ﷺ:

- قد أمّنته.

فخرج عمير من عند رسول الله ﷺ مسرعاً إلى الشعب الذي اختبأ فيه صفوان. فلما رآه صفوان قال له:

- يا عمير ما كفاك ما صنعت بي قضيت عنك دينك وراعيت عيالك على أن تقتل محمداً، فما فعلت ثم تريد قتلي الآن؟

فقال عمير:

– يا أبا وهب جعلت فداك جئتك من عند أبر الناس، وأوصل الناس قد أمّنك رسول الله.

فقال صفوان:

– لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها.

فرجع عمير إلى النبي ﷺ وقال له ما يريده صفوان فأعطاه الرسول عمامته فأخذها عمير وخرج إلى صفوان وقال له:

– هذه عمامة رسول الله يا صفوان.

فعرفها صفوان وعلم أن النبي ﷺ قد أمّنه. ثم قال له عمير:

–إن رسول الله يدعوك أن تدخل في الإسلام فإن لم ترض تركك شهرين أنت فيهما آمن على نفسك لا يتعرض لك أحد.

وخرج صفوان مع عمير حتى وصلا إلى المسجد وإذا برسول الله – ﷺ – وصحابته يصلون العصر فوقف صفوان بفرسه بجانبهم وقال لعمير:

– كم يصلون في اليوم والليلة؟

فقال عمير: خمس صلوات.

فقال صفوان: يصلي بهم محمد؟

قال عمير: نعم.

وبعد أن انتهت الصلاة وقف صفوان أمام الرسول – ﷺ–وناداه في جماعة من الناس وقال:

– يا محمد إن عمير بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين.

– فقال له رسول الله ﷺ : أنزل أبا وهب.

– فقال صفوان: لا والله حتى تبين لي.

قال: انزل بل لك تسير أربعة أشهر.

فنزل صفوان وأخذ يروح ويعود بين المسلمين وهو مشرك.

ويوم حنين طلب منه الرسول ﷺ أن يعيره سلاحاً فقال له صفوان:

– طوعاً أم كرهاً يا محمد؟

فقال له النبي ﷺ:

– طوعاً عارية مضمونة أردها إليك.

فأعاره صفوان مائة درع وسيف وأخذها المسلمون، وخرجوا إلى الحرب وهو معهم. فانتصروا وجمعوا من الغنائم الكثير.

وأخذ صفوان يطيل النظر في بعض الغنائم كأنها أعجبته، وكان النبي يلاحظ ما في عينيه.

فقال له النبي ﷺ : يعجبك هذا؟

قال: نعم.

قال: هو لك.

فقال: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

قال صفوان: لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ.

وظل صفوان مقيماً في مكة يعبد الله ويقيم تعاليم الإسلام، وذات يوم قابله رجل من المسلمين وقال له:

- يا صفوان من لم يهاجر هلك ولا إسلام لمن لا هجرة له.

فحزن صفوان أشد الحزن وخرج إلى المدينة مهاجراً فنزل عند العباس بن عبد المطلب، فأخذه العباس إلى رسول الله فسأله رسول الله:

- ما جاء بك يا أبا وهب؟

فقال صفوان: سمعت أنه لا دين لمن لم يهاجر.

فتبسم النبي ﷺ له وقال:

- ارجع أبا وهب إلى أباطح مكة فلا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية.

فاطمأن صفوان لذلك القول ورجع إلى مكة وهو مستريح الصدر.

وشارك صفوان في الفتوحات الإسلامية في عهدي أمير المؤمنين عمر وعثمان بن عفان، وظل صفوان يجاهد في سبيل الله حتى اشتاقت روحه إلى لقاء ربها.

رحل صفوان عن الحياة وقد روى كثيراً من أحاديث رسول الله - ﷺ- وروى عنه الصحابة والتابعون، وكانت حياته سيرة عاطرة بالعلم والجهاد والكفاح من أجل نصرة الدعوة الإسلامية.

-٦٦-

صُهيب الرومي

الصحابي الكريم صُهيب بن سنان الرومى.. سليل المجد والثراء.. الفتى الأسير لدى الأعداء.. العربي الأصيل في بلاد الروم.. يواجه الظلام يجاوز السدوم.. يتبع نور الإسلام.. وتضيء الروح بآيات الحي القيوم.. خلّف وراءه الشهرة والمال.. وهاجر بين الصحراء والجبال طامحاً إلى تحقيق المحال ومناصرة الرسول وتحمل مشقة الترحال.

في صباه عاش في قصر أبيه الذي كان حاكماً على الأُبُلَّة "إحدى بلاد العراق"، ولكنه سقط أسيراً لدى الروم وعاش بينهم عبداً عربياً وتعلم لغتهم حتى اشتراه رجل من مكة وتعلم منه الحرف وفنون التجارة حتى أعتقه ومنحه حريته.

وحين بدأت الدعوة الإسلامية أعلن صهيب إسلامه وواجه العذاب والآلام على أيدي الكفار، ولكنه ظل صامداً لا يلين أو يتراجع.

وعندما رغب في الهجرة مع الرسول وقفت أمامه قريش فتخلى عن ماله ومتاعه لهم ورحل مع الرسول، ولا يملك سوى إيمانه الكبير.

وقال عنه الرسول:

- صهيب سابق الروم.

وكان لصهيب دور كبير بجانب الرسول حيث يقول:

- لم يشهد رسول الله مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن

يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله بيني وبين العدو قط حتى تُوُفِّيَ.

قال له عمر يوماً:

- لولا ثلاث خصال فيك يا صهيب ما قدمت عليك أحداً أراك تنتسب عربياً، ولسانك أعجمي، وتُكنى بأبي يحيي وتبذر مالك.

فأجابه صهيب:

- أما تبذيري مالي فما أنفقه إلا في حقه، وأما اكتنائي بأبي يحيى فإن رسول الله كناني بأبي يحيى فلن أتركها، وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيراً فأخذت لسانهم — لغتهم – وأنا رجل من النمر بن قاسط.

ولمكانة صهيب الجليلة أوصى عمر وهو على فراش الموت مطعوناً بأن يصلي صهيب بالناس، إلى أن يتفق أهل الشورى على أحد الستة الذين اختارهم قبل موته للخلافة.

وعاش صهيب مجاهداً مقبلاً على العبادة حتى مات بالمدينة سنة ٣٨هـ وعمره آنذاك ٧٣ سنة ودفن بالبقيع. وقد روى صهيب عن النبي أحاديث كثيرة وروى عنه بعض الصحابة والتابعين.

وهكذا كانت رحلة صهيب بين العبادة والصلاح.. وبين الهدى والتقوى.. وفي الليل والصباح وهب ذاته للدعوة والجهاد.. والرجل الكريم ندي اليد سخي العطاء.. نتعلم منه كيف تهون الحياة في سبيل موت أو شهادة هما الخلد والنعيم.

-٦٧-

طلحة بن عبيد الله

طلحة بن عبيد الله الصحابي الشهيد.. ورجل الدين والعلم الفريد.. إذا تحدث أتقن وأجاد وإذا حارب كان في قمة الجهاد.. كريم النفس فياض العطاء.. يمنح من روحه بسخاء.. أمير التقوى والشهداء وأحد العشرة المبشرين بالجنة في السماء.

قال عنه رسول الله ﷺ:

"من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله".

وفي معركة أحد سماه النبي ﷺ طلحة الخير، وفي غزوة ذي العشيرة طلحة الفياض ويوم خيبر طلحة الجود.

كان طلحة ممن سبق إلى الإسلام وأوذي في الله ثم هاجر فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام، وتألم لغيبته فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

كان مع عمر لما قدم الجابية وجعله على المهاجرين، وقال غيره كانت يده شلاء مما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد. وله عدة أحاديث عن النبي ﷺ.

كان طلحة له مكانة كبيرة عند الصحابة والرسول ﷺ حيث يقول عنه:

– طلحة والزبير جاراي في الجنة.

ومن المواقف التي تعبر عن إيمان طلحة وصدقه وتقواه أنه جاء أعرابي إليه يسأله فتقرب إليه برحم.

فقال إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك إن لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلاث مائة ألف فأقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن فقال الثمن فأعطاه.

وقُتل طلحة وفي يد خازنه ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم وقومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم. وكان قتله في سنة ست وثلاثين في جمادي الآخرة وعمره ٦٢ سنة ودفن بالبصرة. وإن الذي قتل طلحة مروان بن الحكم.

ولطلحة أولاد نجباء أفضلهم محمد السجاد كان شاباً خيراً عابداً قانتاً لله ولد في حياة النبي – ﷺ– قتل يوم الجمل فحزن عليه علي وقال صرعه بره بأبيه.

ورحل طلحة أمير البر والأبرار.. في ليلة بكى فيها النهار.. وتساقطت أوراق الشجر خرساء ونزفت الأرض ورمال الصحراء.

-٦٨-

عباد بن بشر

عباد بن بشر الصحابي الشهيد.. والبطل الفارس العنيد.. حارب في شجاعة وإقدام فريد.. صعدت روحه إلى السماء.. بعد معركة ضارية سالت فيها الدماء.. وتمزقت السهام على السهام.. وتكاثرت الطعنات في جسده حتى كان من الصعب أن يتعرف عليه أحد بعد المعركة.

ولذلك قالت السيدة عائشة عن عباد:

– ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً كلهم من بني عبد الأشهل: أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وعباد بن بشر.

شارك عباد بن بشر في الغزوات مع المسلمين والرسول - ﷺ- واستطاع أن يقتل اليهودي كعب بن الأشرف الذي كان يؤذي النبي ويضايقه ويحرض قومه على أذاه.

وهناك كثير من القصص والمواقف عن شجاعة عباد بن بشر، ومن ذلك أنه بعد غزوة ذات الرقاع نزل رسول الله ﷺ وصحابته في مكان يبيتون فيه، واختار الرسول نفراً للحراسة ومنهم عمّار بن ياسر وعباد بن بشر وبينما هما يحرسان قال عبّاد لعمار:

- أي الليل تحب أن تحرس أوله أم آخره؟

فقال عمار: بل آخره.

فنام عمار ووقف عباد يصلي بجواره فجاء رجل من العدو فرأى عباداً يصلي فأخرج سهماً ثم رمى به عباداً فأصابه في جسده فنزعه عباد. وظل واقفاً يصلي فرماه الرجل بسهم ثان فنزعه عباد، وظل يصلي فرماه الرجل بسهم آخر فنزعه عباد وواصل صلاته حتى أتمها. ثم أيقظ عماراً فهرب الرجل.

ونظر عمار إلى عباد فوجد دماءه تسيل، فقال له:

- سبحان الله: أفلا أيقظتني أول ما رماك؟

فقال عباد:

- كنت أقرأ سورة الكهف في صلاتي فلم أحب أن أقطعها حتى أنتهي منها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله بحفظه لآثرت الموت على أن أقطع تلك الآيات التي كنت أتلوها.

وشارك عباد في معركة اليمامة وجسّد مواقفاً كثيرة في البطولة والفداء.

ويرى عباد رؤيا في المنام وقصّها لأبي سعيد الخدري فقال له:

- لقد رأيت في منامي كأن السماء قد فُتحت لي ثم دخلت فيها ثم أطبقت عليّ فهي إن شاء الله الشهادة.

- فقال له أبو سعيد: خيراً والله رأيت.

وبدأت معركة اليمامة واشتد القتال، وكاد المسلمون أن ينهزموا فصاح عباد بأعلى صوته في الأنصار قائلاً:

- حطموا جفون السيوف وتميزوا من الناس وأخلصونا أخلصونا.

ثم انطلق أربعمائة رجل من الأنصار، وكان في مقدمتهم عباد بن بشر والبراء بن مالك، وهجموا على باب الحديقة التي كان يختفي فيها مسيلمة وبعض أنصاره.

وتذكر عباد قول النبي ﷺ: الأنصار شعار.. الناس دثار. وخاصة الرسول دون سائر الناس.

فقاتل عباد بشجاعة حتى رزقه الله الشهادة في تلك المعركة.

وقد وُجد في جسده جراحات كثيرة حتى أن الصحابة لم يعرفوه ولم يعرفه إلا صديقه أبو سعيد الخدري بعلامة فيه كان يعرفها.

ودعا له الرسول ﷺوقال:

- اللهم اغفر له.

وصعدت روح عباد بن بشر ترفرف باجنحتها في السماء.. تسبح بحمد الله، لأنه حاز على التضحية والموت في سبيل الله. ومازالت ذكراه صحائف ذهبية في تاريخ الكتب تنثر سيرته الطيبة ومراحل حياته العامرة بالحب والخير والرحمة والجهاد.

-٦٩-

عبادة بن الصامت

عبادة بن الصامت معلم الدين وجامع القرآن.. والمسافر بين الموانى والخلجان.. فلسطين وسوريا ومدن الشام.. رافعا رآية السلام والإسلام.. رافضا إمارة الولايات أو سُلطة الحكام.

هذا الزاهد في العبادة.. لا يبالي ثراء أو مالا أو قيادة.. حياته عطاء زاخر.. وغزواته موج هادر.. ومواقفه صدق ممشاعر.. عطوف رحيم القلب آسر.

أبو الوليد عبادة بن الصامت الذي قدم إلى مكة مع الأنصار لمبايعة الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى. وواحدا من النقباء على قومهم حتى أن رسول الله لفرط تقديره له ولقومه قال:

– لو أن الأنصار سلكوا واديًا أو شعبًا.. لسلكت في وادي الأنصار.. ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار.

عبادة بن الصامت تشهد له مواقفه في كل الغزوات بالفخر والبطولة فهو مجاهد في زمن الحروب، وفي زمن السلم يساهم في جمع القرآن الكريم.

ومن أهم المواقف التي تعبر عن مدى حبه وولاءه للرسول ﷺ أن قومه كانوا في عهد مع يهود بنى قينقاع أيام الجاهلية، ولكنهم اختلقوا أسبابا للصدام مع المسلمين فيما بعد فغضب عبادة بن الصامت ونبذ عهدهم. قائلا:

– إنما أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ إلى الله ورسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

فنزل القرآن مؤيدًا موقفه هذا قائلاً:

- {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} إلى أن قال: {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} (المائدة: ٥١-٥٦).

وفي موقف آخر يوضح مدى رفعة نفسه عن الدنيا ورفضه للسلطة والجاه والإمارة، أنه سمع رسول الله يقول عن ذلك:

- والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه.

فأقسم عبادة بالله ألا يكون أميرًا إطلاقا على اثنين من الإمارات، وألا يسعى نحو المال أو السلطان ويحيا فردا عاديا بين المسلمين.

ويعتبر عبادة بن الصامت أول من تولى القضاء في فلسطين خلال عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان يعلم الناس القرأن وشئون الدين والأحاديث.

وظل في الشام بين مدنها وبلدانها فترة حتى توفي في بيت المقدس في سنة ٣٤ هـ، وصعدت روحه إلى السماء تناجى ربها بالدعاء والثواب والخير. وحين نذكر هذا الصحابي لابد أن نكون قد تعلمنا كيف نسمو عن واقعنا ونتجاوز الحياة بكل ما فيها من ماديات، ويظل ارتباطنا العميق بمبادئ العقيدة الإسلامية هو الأساس الأول فى حياتنا.

-٧٠ -

عبد الرحمن بن أبي بكر

عبد الرحمن بن أبي بكر.. الصحابي ابن الصديق الأمين.. وقف في بدر ضد المسلمين .. ثم كاد أن يبارز والده الحزين.. حتى هداه الله إلى نور اليقين.. فوهب روحه للمولى القدير.. وانطلق يحارب في عواصف الهجير.. طامحا أن تكون الشهادة هي المصير.

عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة يكنى أبا عبد الله، وأمه أم رومان بنت الحارث، وهو شقيق أم المؤمنين السيدة عائشة.

قبل الإسلام عُرف عنه براعة في رشق السهام.. وحذاقة في المبارزة.. وفنون القتال والنزال والالتحام، حتى قيل إنه كان أشجع رجال قريش وأرماهم بسهم.

في يوم بدر وقف مغ قريش ضد المسلمين لم يؤمن بالرسول في بداية الأمر رغم أن أباه كان أول الناس إيمانا بالله والرسول؟

وفي يوم أحد كان على رأس رماة قريش مختالا بفروسيته وجولاته وعزم أن يبارز من يفكر في التحدي والنزال من المسلمين. وفكر أبو بكر الصديق أن يبارز ولده ولكن رسول الله رفض ذلك.

وبعد مدة فكر عبد الرحمن في الإسلام وموقف أباه، وأدرك أنه كان في ظلام قاتم واندفع نحو الرسول يعلن إسلامه.

وشعر أبو بكر الصديق أن نور الإيمان تسلل إلى روح ولده فانشرح قلبه، وهدأت نفسه وعانق ولده مهنئا ومباركا له خطواته نحو الإيمان واليقين والحق.

وأصبح عبد الرحمن من قادة رجال المسلمين الفرسان تراه في كل غزوة يحارب في سبيل الله، دون هوادة، مدافعا عن الحق، مناضلا في سبيل مجد الإسلام في حماسة وفخر واستلهام لمعاني العزة والكرامة بجوار رسول الله.

ولم يتوقف جهاد عبد الرحمن بعد وفاة الرسول، بل إنه ظل يجاهد في سبيل الله مع الخلفاء الراشدين لا يتخلف عن غزو ولا يقعد عن جهاد.

ونرى عبد الرحمن في يوم اليمامة يسجل موقفا من أروع مواقف التضحية والنضال، حيث استطاع أن يقضي على محكم بن الطفيل العقل المدبر لمسيلمة الكذاب.

وقد كان محكم بن الطفيل يقوم على حماية أهم أماكن الحصن الذي احتمى فيه جيش مسيلمة الكذاب. وبذلك انتصر جيش المسلمين وانفتح الحصن أمامهم ونفذوا كالعواصف يطيحون بالأعداء.

عاش عبد الرحمن صحابيا أمينا كريما صالحًا عابدا لله في خوف وخشوع يخاف زخارف الحياة الدنيا، وخطايا البشر وآثامهم. عطوفا على الفقراء ومساندا للضعفاء والمساكين وصديقا للصحابة، وفارسا في المعارك مع الخلفاء، وقد شارك في فتح الشام في عهد أمير المرمنين عمر بن الخطاب.

وكانت نهاية حياته رحلة الروح المشرقة التي تدثرت بتعاليم الإسلام وتأثرت بمواقف الرسولﷺ. رحلة رجل لمس بعقله ومشاعرة حقيقة الإسلام وقرر أن يكون دائما في مقدمة الفرسان المجاهدين.

-٧١-

عبد الرحمن بن عوف

عبد الرحمن بن عوف.. الصحابي المجاهد.. والرجل الزاهد.. والعالم صاحب الرؤيا الملهمة.. والفكرة المحكمة.. والثري الذي هجر الثراء.. وأنفق أمواله على المساكين والفقراء. وفي سبيل إعلاء كلمة الله.

عبد الرحمن بن عوف أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام.. وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق. وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وكذلك أحد الستة الذين اختارهم عمر ليخلفوه في الحكم.

عبد الرحمن بن عوف.. المحارب الشجاع.. وبطل الغزوات مع الرسول – ﷺ– يحارب عن عقيدة راسخة في ذاته.. ويهوى الشهادة.. ويتوق إلي عناق الموت على أرض المعركة حتى أنه جُرح واحد وعشرين جرحاً في جسده. ودعا له الرسول ﷺوقال:

– اللهم أسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة.

عبد الرحمن بن عوف تكمن عبقريته في إسلامه وإنسانيته وإحساسه بالآخرين وعذابهم وشقائهم في الحياة. فقام في يوم واحد وأعتق واحدا وثلاثين عبداً وتصدق بنصف ماله وأوصى بخمسين ألف دينار للفقراء.

هذا الرجل الصحابي الذي تغلب على إغراءات الدنيا، وقنع بالزهد في الحياة والقناعة والسمو بالذات إلى مستويات عليا من العقيدة والتقوى والخلق الكريم.

ذات يوم أحضر طعاماً من خبز ولحم لبعض إخوانه.. نظر إلى الطعام وبكى.. وحين سُئل عن سبب ذلك.. قال:

- مات رسول الله ﷺ.. ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير.. ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا.

تميز عبد الرحمن بن عوف برؤيا ملهمة.. وروح شفافة خافقة بالحب والتسامح والخير، فقد قص رؤياه وقال:

- أتاني ملكان فيهما فظاظة وغلظة فانطلقا بي، ثم أتاني ملكان هما أرق منهما وأرحم فقالا: أين تريدان به؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: خليا عنه فإنه ممن كتبت له السعادة وهو في بطن أمه.

وتقديراً لعلمه ونبوغه في القرآن الكريم والفقه بعثه الرسول - ﷺ - إلى دومة الجندل ليدعو الناس إلى الدين الإسلامي ويعلمهم أصوله ومفاهيمه وأسسه. فاستطاع من خلال عمق تجربته العلمية وإيمانه أن يؤدى مهمته بنجاح وتزوج ابنة أحد الرجال الشرفاء هناك، وهو الأصبع بن ثعلبة الكلبي بعد أن أسلم.

توفي عبد الرحمن بن عوف سنة ٣١هـ في أثناء خلافة عثمان بن عفان بعد حياة كريمة حافلة بالجهاد والعلم والزهد، وأصبح من النماذج الإنسانية العليا التي نتوقف عندها كثيرا ننهل من العلم الوفير والايمان العميق.

-٧٢-
عبد اللّه بن جحش

الصحابي الشهيد من أجل إعلاء روح الإسلام.. ومواجهة قوى البغي والظلام.. ونشر كلمة الحق والعدل والتسامح والسلام. تميزت مواقفه بالشجاعة

والحكمة والصبر والإلهام.. وقف يواجه العذاب والآلام.. وخرج مع المسلمين في سبيل الدعوة.. واضطر إلى الهجرة لبلاد الحبشة.. وعاد مرة أخرى بروح حزينة.. يعاني من أذى قريش حتى هاجر للمدينة.

ابن عمة رسول الله ﷺ وأخو السيدة زينب بنت جحش زوج الرسول وكان من الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام والإيمان بدعوة الرسول ومناصرته.

ومن أهم المواقف التي عاشها هذا الصحابي حين هجم المشركون على داره بعد هجرته للمدينة وباعوا كل مقتنياته وقد حزن المسلمون لذلك، ودعا الرسول له أن يعوضه داراً خيراً منها بالجنة.

ومما يؤكد بطولته وشجاعته أن الرسول ﷺ اختاره أميراً على أول سرية يبعثها لترصد قريش وقوافلها القادمة من الشام. واستطاع الصحابي عبد الله بن جحش وأصحابه رصد أربعة من الكفار وتم قتالهم وكان ذلك في آخر يوم من شهر جمادي الآخرة، وأول ليلة من شهر رجب أحد الأشهر الحرم.

وكان ذلك فرصة لقريش لتشيع أن رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالحرب في الأشهر الحرم. وحزن الرسول لذلك، وعاتب عبد الله بن جحش وأصحابه.

ولكن أنزل الله تعالى قرآناً في ذلك: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل" البقرة ٢١٧.

تميز عبد الله بن جحش بروح جسورة تعشق الشهادة في سبيل الله فكان يدعو ربه قائلاً:

– اللهم ارزقني رجلا شديداً حرده، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني.

وقد سمع ذلك سعد بن أبي وقاص وانطلقا معاً في غزوة أحد.

وظل عبد الله بن جحش يقاتل الأعداء دون خوف ورغبة شديدة في الشهادة، حتى غافله أحد الأعداء وطعنه طعنة قاتلة فاضت روحه في الحال إلى السماء، وبعد ذلك حاول هذا المشرك الانتقام منه فقام بقطع أنفه وأذنه، ولذلك سُمي "المجدع في الله" وهو الشخص مقطوع الأنف والأذن.

ورحل عبد الله بن جحش شهيداً وحزن من أجله المسلمون لشجاعته وبسالته وفدائه للدعوة الإسلامية. كان دائما يجاهد من أجل إعلاء روح الإسلام.. ومواجهة قوى البغي والظلام.. ونشر كلمة الحق والعدل والتسامح والسلام. تميزت مواقفه بالشجاعة والحكمة والصبر والإلهام.

-٧٣-
عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير.. المجاهد المصلوب.. تبكيه شمس الغروب.. في المحن والخطوب.. فارساً في الحروب.. طاوياً السهول والدروب.. عابداً من أطهر القلوب.. قواماً للصلاة في الليل والنهار.. مع المهاجرين والأنصار.

عبد الله بن الزبير بن العوام ابن ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر. وقد أنجبته أمه حين وصلت قُباء فكان أول مولود بعد الهجرة.

كان ميلاده حدثاً عظيماً بعد أن زعم اليهود أنهم سحروا المسلمين فلن يولد لهم في المدينة ولد. ولذلك كبَّر الصحابة حين ولد تكبيرة اهتزت لها المدينة.

نشأ عبد الله في بيت النبوة ينعم برعاية خالته عائشة أم المؤمنين تتجلى فيه سمات الشجاعة والخلق الحميد منذ طفولته، وعُرف أنه فارساً جريئاً راغباً في الجهاد. ولذلك حارب في معارك كثيرة منها اليرموك وفتح إفريقية.

تميز بالتقوى والصلاح والإيمان العميق فقال عنه عمرو بن دينار:

- ما رأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير.

وقال ثابت البناني:

- كنت أمرُّ بابن الزبير وهو خلف المقام يصلي. كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك.

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً لابن أبي مليكة:

- صف لنا عبد الله بن الزبير.

فقال:

- والله ما رأيت نفساً رُكِّبت بين جنبين مثل نفسه، ولقد كان يدخل في الصلاة فيخرج من كل شيء إليها. وكان يركع أو يسجد فتقف العصافير فوق ظهره وكاهله لا تحسبه من طول ركوعه وسجوده إلا جداراً.

وبعد وفاة يزيد بن معاوية بايعت الولايات الإسلامية عبدالله بن الزبير أميراً للمؤمنين. واتخذ عبدالله من مكة عاصمة لدولته. وحكم الحجاز واليمن والبصرة والكوفة والشام كلها ما عدا دمشق.

وظل عبدالله حاكماً هذه البلاد حتى استطاع مروان بن الحكم أن ينتزعها منه، ولكن ظلت الحجاز تحت سيطرته حتى جاء جيش الحجاج بن يوسف الثقفي من قِبَلْ عبد الملك بن مروان وحاصر الحجاز.

وتحت وطأة الجوع استسلم الكثير من جنوده، ولكنه قرر أن يواجه الموقف حتى النهاية. فاستمر يقاتل جيش الحجاج في شجاعة فائقة رغم السبعين من عمره.

وأثناء ذلك ذهب عبد الله إلى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وأخذ يشرح لها موقفه. فقالت له:

- يا بني إنك أعلم بنفسك. إن كنت تعلم أنك على حق. وتدعو إلى حق. فاصبر عليه حتى تموت في سبيله. ولا تُمَلِك من رقبتك غلمان بني أمية. وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك. وأهلكت من قتل معك.

فقال عبد الله:

- والله يا أماه.. ما أردت الدنيا.. ولا ركنت إليها.. وما جُرْتُ في حكم الله أبداً ولا ظلمت.. ولا غدرت.

فقالت أمه أسماء:

- إني لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسناً. إن سبقتني إلى الله أو سبقتك. اللهم ارحم طول قيامه في الليل. وظمأه في الهواجر. وبِرَّه بأبيه وبي. اللهم أني أسلمته لأمرك فيه. ورضيت بما قضيت. فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين. وانطلق عبد الله يقاتل الحجاج حتى استشهد ومعه كثير من المسلمين عام ٣٧هـ.

ولما قُتل عبد الله كبّر أصحاب الحجاج فسمعهم ابن عمر فقال:

– أما والله للذين كبّروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبّروا عند قتله.

وقام الحجاج بصلب جسده على الطريق فمرَّ به ابن عمر وهو مصلوب فقال:

– السلام عليك يا أبا خبيب.. أما والله. لقد كنت أنهاك عن هذا.

وجاءت أمه أسماء بنت أبي بكر، وكانت عجوزاً مكفوفة البصر فقالت للحجاج:

– أما آن لهذا الراكب أن ينزل "تقصد عبد الله المصلوب"؟

وانزلوه من فوق الصليب.. وركعت أمه بجواره تبكيه وتترحم عليه.. وتبكي معها السماء وكل من أحبوه .

هذه ملامح عبد الله بن الزبير.. المجاهد المصلوب.. تبكيه شمس الغروب.. في المحن والخطوب.. فارساً في الحروب.. طاوياً السهول والدروب.. عابداً من أطهر القلوب.. قواماً للصلاة في الليل والنهار.. مع المهاجرين والأنصار.

-٧٤-

عبد الله بن حذافة

عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي.. الصحابي الذي رفض أملاك قيصر.. وقف للصلاة يكبر.. لا يتخل عن إيمانه العميق.. ويرتل القرآن بقلب رقيق.. ويدوى صدى صوته في المساجد.. حكيما في حزم وقائد.

عبد الله بن حذافة.. من أجل الدعوة هاجر وكابد.. تحمل مشقة السفر وظل قويا يعاند.. يتحدى قيصر والثراء البائد.. ويعلن إيمانه بوحي الرسالة الخالد.

بن قيس بن عدي السهمي أحد السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة وأرسله النبي برسالة إلى كسرى ليدعوه إلى الإسلام.

وذات يوم سمعه النبي ﷺ وهو يرفع صوته بقراءة القرآن فقال له:

- يا بن حذافة لا تُسَمِّعْنِي وَسَمِّعِ الله.

وفي خلافة عمر خرج عبد الله مع جيش المسلمين المتجه إلى الشام لقتال الروم فأسره الروم، ومعه بعض المسلمين وذهبوا به إلى قيصر.

فقال له قيصر:

- هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟

فقال عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين.

فقال قيصر: إذًا أقتلك.

فقال عبد الله: أنت وذاك.

فقال القيصر للرماة: ارموه قريبًا من بدنه.

وأخذ يعرض عليه المسيحية وعبد الله يأبى.

فقال القيصر: أنزلوه.

ودعا بوعاء كبير فصبَّ فيه ماء وأشعل تحته النار ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقى فيها فاستشهد وهو ثابت على دينه فبكى عبد الله فقيل للملك: إنه بكى. فظن الملك أنه جزع.

فقال الملك: ردوه. ثم سأله:

- ما أبكاك؟

فقال عبد الله:

- قلت هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في سبيل الله.

فقال الملك: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك.

فقال عبد الله: وعن جميع الأسرى؟

فقال الملك: نعم.

فقبل عبد الله رأسه.

وأخذ عبد الله جميع الأسرى وقدم بهم إلى عمر فأخبره بما حدث، فقال عمر:

- حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس ابن حذافة. وأنا أبدأ.

فقبل رأسه تقديرا لموقف هذا الصحابي ومشقته وما عاناه من عذاب، وكذلك حسن عبارته وحكمته في الحوار مع قيصر حتى أنقذ المسلمين.

وساهم ابن حذافة في عصر الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنشر الدعوة، ومحاربة أهل الشرك ونصرة الإسلام والمسلمين.

وظلت حياته مثالا للجهاد والكفاح والعبادة حتى رحل في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وظلت ذكراه دائما في قلوب المسلمين صورة معبرة عن المسلم الملتزم بالخلق السامي والسجايا الطيبة.

-٧٥-

عبد اللّه بن رواحة

الصحابي الجليل.. والقلب النبيل.. والروح الرقيقة.. والنفس الشفيقة.. والتقي العابد.. والورع الساجد.. قارئ القرآن.. والمجاهد الإنسان.. والبطل الثائر في وجه الطغاة.. والشاعر الذي يغرد ويسبح لله في علاه.

عبد الله بن رواحة.. شاعر الإسلام.. وعالم بين العلماء.. يحب العلم ومجالسه.. ويدعو الرجال إلى التزود بالعلم ويقول لهم:

- تعال نؤمن بربنا ساعة.

وسمعه أحد الصحابة فذهب إلى النبي ﷺ وقال له: يارسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال النبي ﷺ: رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة.

عُرف عنه شدة إيمانه.. وخشيته من غضب الله وكان يقول باكياً: إن الله تعالى قال: "وإن منكم إلا واردُها". فلا أدري أأنجو منها أم لا؟

كان كثير الصلاة والصوم فيقول أبو الدرداء: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى وضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر.. وما فينا صائم إلا النبي وابن رواحة.

بكى ابن رواحة كثيراً حين سمع قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون".

لأنه يقول الشعر ليدافع عن المسلمين مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك وقال: لقد علم الله أني منهم.

ولكن ابن رواحه يستعيد سعادته حين يسمع قوله تعالى: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا".

واستمر في قول الشعر ليناصر المسلمين مع زملائه الشعراء.

ومن قصائده في مدح الرسول ﷺ يقول:

إني تَفَرستُ فيكَ الخَيْرَ أعرفهُ　　والله يعرفُ أن ما خانني الخبرُ

أنت النبيُ ومن يُحرمُ شفاعتهُ　　يومَ الحسابِ لقد أزرى به القدرُ

فثبت الله ما آتاك حُسن　　تثبيت موسى ونصراًكالذي نصروا

ومن مواقفه التي تؤكد أمانته والتزامه بشريعة الله حين أرسله الرسول ﷺم إلى يهود خيبر، ليأخذ الجزية منهم فحاولوا إعطاءه رشوة ليخفف عنهم القيمة فصرخ في وجوههم وقال لهم:

– يا أعداء الله تطعموني السُحت.. والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي.. ولأنتم أبغض إليّ من القردة والخنازير.. ولا يحملني بُغضي إياكم وحبي إياه على ألا أعدل عليكم.

وإلى جانب علمه وشاعريته وإيمانه وتقواه وأمانته تميز بشجاعة نادرة وعشق للشهادة ومواجهة أعداء الإسلام. فقد حمل الراية في إحدى حروب المسلمين ضد الروم، وظل يقاتل بشجاعة ويردد هذه الأبيات الشعرية التي شهدت تضحيته وشهادته:

أقـــسمت يـــا نفـــس لتنزلنـــه	طـــــــــائعة أو لتـــــــــكرهنه
فطالمـــا قـــد كنـــت مُطمئنـــة	مـــالي أراك تكـــرهين الجنـــة
يـــا نفـــس إلا تُقتلـــي تمـــوتي	ومـــا تمنيـــت فـــقد أُعطيـــت
إن تفعلـــي فعلهمـــا هُـــديت	وإن تأخـــرت فقـــد شـــقيت

واستشهد عبد الله بن رواحة.. وصعدت روحه إلى السماء طاهرة صافية بعد أن جاهد بالكلمة والسيف، في سبيل إعلاء كلمة الحق والقضاء على أعداء الإسلام.

-٧٦-

عبد الله بن سلام

عبد الله بن سلام بن الحارث.. الصحابي الذى تسرب لقلبه الإسلام.. اهتدى إلى اليقين والسلام.. وعرف الرحمة وعلم الكلام.. وتبحر في أحوال الأنام.. وكان من علماء اليهود.. ولكنه مزق الوهم والقيود.. وآمن بدعوة الإسلام خير دعوة في الوجود.

اليهودى الذي أسلم وآمن برسالة الرسول – ﷺ– ويقال عنه أنه من كبار علماء اليهود في ذلك الوقت. كان اسمه الحصين ولكن الرسول سماه عبد الله.

عبد الله بن سلام من علماء اليهود قبل الإسلام، وقرأ كثيراً في الكتب الدينية، ولذلك حين سمع الرسول – عليه السلام– يقول في المدينة: "أيها الناس.. أفشوا السلام.. وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام".

وحين شاهد عبد الله النبي ﷺ قال: "عرفت أنه غير وجه كذاب".

ولما قدم الرسول – ﷺ– للمدينة تقدم منه عبد الله ليسأله عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبي. وهي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟

فقال له النبي – ﷺ: "أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب. وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما شبه الولد أباه وأمه.. فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد.. وإذا ما سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها. فقال عبد الله بن سلام: "أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله".

وكان عبد الله يخشى غدر أهله به حين يعلمون بإسلامه، فجاء للرسول – ﷺ– وقال له: يا رسول الله.. إن اليهود قوم بهت.. وإنهم إن يعلموا بإسلامي بهتوني عندك. فأرسل إليهم فسلهم عنى أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟

أرسل الرسول – ﷺ– إليهم فقالوا: "خيرنا وابن خيرنا، وعالمنا وابن عالمنا، وأفقهنا وابن أفقهنا"، قال: أرايتم إن أسلم تسلموا؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. وهنا خرج إليهم ابن سلام ونطق بالشهادتين. فقالوا: "شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا".

فقال ابن سلام: "هذا الذى كنت أتخوف منه".

وعاش بن سلام مسلما شديد الإسلام.. غيورا على المسلمين.. يحفظ القرآن ويناقش الشيوخ والفقهاء، ويدعو إلى نصرة الحق ومقاومة أعداء الإسلام.

تميز ابن سلام بالعبادة والخشوع وروى عن النبي ﷺ أكثر من خمس وعشرين حديثاً.

عُرف ابن سلام كواحد من العلماء المسلمين، وكان يأتي إليه الناس من كل مكان يستمعون إلى دروسه في الفقه والدين وأحوال الكون وعجائب الخلق ومعجزات الأنبياء. وقد توفي سنة ٤٤هـ في المدينة.

ورحل عبد الله بن سلام بن الحارث.. الصحابي الذى تسرب لقلبه الإسلام.. اهتدى إلى اليقين والسلام.. وعرف الرحمة وعلم الكلام.. وتبحر في أحوال الأنام.. وكان من علماء اليهود.. ولكنه مزق الوهم والقيود.. وآمن بدعوة الإسلام خير دعوة في الوجود.

-٧٧-

عبد الله بن عباس

عبد الله بن عباس الصحابي العالم في الفقه والتنوير.. وله في أحكام السنة والتفسير.. كان يسمى بترجمان القرآن.. ورجل العلم والحكمة والبيان. وذلك لكثرة علمه في هذا المجال. فقد كان محباً للعلم منذ طفولته وقد أسلم وهو مازال صغيراً وهاجر إلى المدينة مع أسرته قبل فتح مكة.

تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ومنحه الله موهبة في الحفظ والإتقان، فكان يستوعب كل ما يقرأ أو يسمع. واطلع على المخطوطات والكتب القديمة حتى أصبح من علماء التفسير.

دعا له الرسول ﷺ وقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وقال عنه عبيد الله بن عتبة: ما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه.. ولا أفقه في رأي.. ولا أعلم بشعر.. ولا عربية.. ولا تفسير ولا حساب.. ولا فريضة منه. ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه. ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه ويوما التأويل ويوماً المغازي، ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب.

عبد الله بن عباس رجل كانت تُقرأ عليه القصيدة من ثمانين بيت فيحفظها من أول مرة. وكان عمر بن الخطاب يستشيره ويدعوه عند الأزمات ويجلسه مع كبار المسلمين ويأخذ رأيه عندما يسأله قائلا: أنت لها ولأمثالها.. ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك سواه.

وكان سعد بن أبي وقاص يقول: ما رأيت أحداً أحضر فهما.. ولا ألب لباً.. ولا أكثر علما.. ولا أوسع حلماً من ابن عباس. وكانت السيدة عائشة تقول: أعلم من بقى بالحج ابن عباس.

ومن المواقف التى توضح مدى علمه في التفسير أن بعض الناس كانوا ينتقدون عمر بن الخطاب، لأنه يستشير عبد الله بن عباس رغم حداثة سنه.

فقال لهم عمر بن الخطاب أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله. وسألهم عمر عن تفسير سورة: "إذا جاء نصر الله والفتح". فقال بعضهم: "إنه أمر الله نبيه إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أن يحمده ويستغفره".

فقال عمر: "تكلم يا ابن عباس. فقال عبد الله بن عباس: "أعلم الله رسوله متى يموت.. أى فهى علامة موتك فاستعد.. فسبح بحمد ربك واستغفره".

استقر في نهاية حياته بمدينة الطائف يعلم ويحدث ويدرس ويفسر القرآن، ويلتف حوله الناس يدعوهم إلى التأمل في الدين ويشرح لهم.. ويعلق على أحداث الحياة.. ويبين عظمة مواقف الرسول وجهاده وكفاحه لنشر دين الحق.

وقد جُمع له كتاب ضخم في تفسير القرآن الكريم، وقد روى أكثر من ١٧٠٠ حديثا. ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ.

ورحل المعلم والرائد بين الصحابة.. تسافر روحه بين الشهاب تخترق كل سحابة لتظل حياتة رحلة مضيئة بعلوم القرآن وأحاديث الرسول - ﷺ- في كل عصر وكل زمان.

-٧٨-

عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي بن سلول

الصحابي المجاهد والمحارب القائد والمسلم الشهيد في معارك حروب الردة والعقل الناضج الرشيد في مواقف الجدال والحسم والنزال. مازالت صورته في معركة اليمامة يذكرها كل من اقترب منه ولمس تفاصيل حياته.

عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول واجه موقفاً مع أبيه وسلسلة من الأحداث التي مزقت ذاته حزناً على موقف أبيه. فقد عُرف عن أبوه بعداوته للرسول - ﷺ- فقد كان على وشك أن يصبح ملكاً لقبيلته الخزرج، ولكن مع بدأ الدعوة الإسلامية أسلم كثيراً من أهل القبيلة، وفقد فرصته أن يكون ملكاً وزعيماً، ولذلك شعر بالكراهية للدعوة الإسلامية وبدأ ينسج المؤامرات ضد المسلمين.

فقد حاول أن يحدث شقاق وفرقة بين الأنصار والمهاجرين، وأكد صارخاً في غزوة بني المصطلق أنه سيخرج المسلمين أذلاء من المدينة. وقد حاول أن ينكر كلماته تلك أمام الرسول وظل يعتذر ولكن جاء القرآن الكريم يكشف عن نفاقه في قوله تعالى:

"يقولون لئن رّجَعْنا إلى المدينةَ لَيُخْرِجَنّ الأعز مْنهَا الأذل ولله الْعِزةُ ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يَعْلَمُون". المنافقون ٨".

وشعر الصحابي عبد الله بالألم الشديد لموقف والده الذى أطلقوا عليه صفة رأس المنافقين. وتقدم بالاعتذار لرسول الله ﷺ وقال له:

– يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبي.. فوالذى بعثك بالحق لئن شئت أن آتيك به لأتيتك. فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني.

فقال رسول الله ﷺ:

– بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا.

وحين توفى والد عبد الله سأل الرسول ﷺ أن يعطيه قميصه ليكون لأباه كفناً فاستجاب الرسول، وقام ليصلي عليه. فقال عمر بن الخطاب:

– يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

فقال الرسول ﷺ:

– إنما خيرني الله فقال: "أستغفرْ لَهُمْ أَو لا تَستْغفرِ لهم إن تَستِغِفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم." التوبة ٨٠. وسأزيد على سبعين.

فقال عمر :

– إنه منافق.

فصلى عليه الرسول إكراماً لابنه. فأنزل الله عز وجل:

"ولا تُصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تَقُمْ على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون" التوبة ٨٤.

وارتاحت نفس الصحابي عبد الله وهدأت ذاته وطلب الرحمة والمغفرة لوالده، وظل يغدق ماله على الفقراء، ويساند الناس في مصابهم ومحنتهم ويهب حياته للخير وللدعوة الإسلامية.

وخلال حروب الردة يلقى عبد الله مصرعه شهيداً وهو يجاهد في معركة اليمامة، وصعدت روحه إلى السماء نقية صافية طاهرة، وحزن عليه أصحابه والمسلمون جميعاً.

ويظل الصحابي المجاهد والمحارب القائد والمسلم الشهيد في معارك حروب الردة والعقل الناضج الرشيد في مواقف الجدال والحسم والنزال. مازالت صورته في معركة اليمامة يذكرها كل من اقترب منه ولمس تفاصيل حياته.

-٧٩-

عبد الله بن عمر

عبد الله بن عمر بن الخطاب.. التقى الصادق والشاب الزاهد.. والمسلم العابد.. والقلب الخاشع الذي يبكي إذا قرأ آية من القرآن. والعالم الفقيه في علوم الدين والإنسان والمرجع للمسلمين في كثير من القضايا في كل المدن والبلدان. أمه زينب بنت مظعون.. أسلم بمكة مع أبيه ولم يكن بالغاً حينئذٍ.

هاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله ﷺ يوم بدر فرده ويوم أحد فرده لصغر سنه.. وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.

كان يتبع آثار النبي ﷺ في كل شيء، فيقوم بالصلاة في نفس المكان الذي صلى فيه الرسول. ويسير في نفس الطريق ويستظل تحت الشجرة التي جلس تحتها النبي - ﷺ.

عبد الله بن عمر بن الخطاب عالم من علماء الصحابة، ورغم علمه هذا كان يتحرى في فتواه ويخاف أن يُفتي بدون علم. وقد سأله أحد الرجال عن مسألة ما فاعتذر ابن عمر وقال: لا أعلم. واندهش الرجل وظل يردد مع نفسه: سُئل ابن عمر عما لا يعلم فقال: لا أعلم.

اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، فقالوا تمنوا فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة: قال: فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر غفر له.

كان يدعو ربه في الكعبة وهو ساجد. يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

وقال أحد الصحابة عنه: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلا أعلم من ابن عباس. لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

وسأل رجل ابن عمر عن مسألة فطأطأ رأسه، ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته فقال: له يرحمك الله أما سمعت مسألتي، قال: بلى، ولكنكم كأنكم

ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

وقيل عنه إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله ابن عمر. ومن كلماته كان يقول: إني لقيت أصحابي على أمر، وإني أخاف إن خالفتهم ألا ألحق بهم. قالت عائشة: ما رأيت أحدًا أشبه بأصحاب رسول الله – ﷺ– الذين دفنوا في النمار من عبد الله بن عمر.

وذات مرة أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها على الفقراء والمساكين. وكان ابن عمر إذا قرأ {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} بكى حتى يغلبه البكاء.

وقيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري قال: رحمه الله. فقيل ترك مائة ألف، قال لكن هي لن تتركه.

وقال رجل لابن عمر يا خير الناس وابن خير الناس، فقال: ابن عمر ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله – ﷻ– أرجو الله وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

وفي نهاية حياته أصابه رجل من أهل الشام بزجه في رجله فأتاه الحجاج يعوده فقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه، فقال: عبد الله أنت الذي أصبتني قال: كيف؟ قال: يوم أدخلت حرم الله السلاح. ومات بمكة سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة.

هذا هو الصحابي المسلم الحكيم والنابغة في علوم الدين يجلس مع العلماء في تواضع ويناقش ويتعلم ويفسر الأمور، ويهب من علمه للآخرين. يرحل في صمت وتستقبله السماء بهالات من النور والياسمين.

-٨٠-

عبد اللّه بن عمرو بن العاص

عبد الله بن عمرو حاز العلم واجتاز السحاب.. وسافر في طريق التقوى دون إياب.. اهتدى إلى نور الحق والنقاء.. وتسربلت روحه في هالة من الضياء.. وتألق وجهه الكريم بآيات من الحب والصفاء.

عبد الله بن عمرو.. والده الصحابي الداهية.. فاتح مصر.. وأذكى رجال العرب.. والمفكر والفقيه عمرو بن العاص. وأمه رائطة بنت الحجاج بن منبه السهمية. وقد أسلم عبد الله بن عمرو قبل أبيه ورسخ في قلبه الإيمان العميق.

عبد الله بن عمرو عالم من علماء الحديث والفقه.. حفظ القرآن الكريم.. كتب أحاديث الرسول - ﷺ- ويقول في ثقة:

- حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل.

ويقول أحد كبار علماء ورواة الحديث أبو هريرة:

- ما كان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً منى إلا ما كان عبد الله بن عمرو.. فإنه كان يكتب..و لا أكتب.

عبد الله بن عمرو نموذج لرجل العلم والصدق والثقة والحكمة والفقه والرؤيا الإسلامية المستنيرة. ظل ملازماً مجالس الرسول يسجل كلماته وأحاديثه ويسأل:

- يا رسول الله.. أأكتب كل ما أسمع منك؟

فقال الرسول ﷺ:

- نعم.

فقال عبد الله بن عمرو:

- في الرضا والغضب.

فقال ﷺ: نعم فإني لا أقول إلا حقاً.

اشتهر عبد الله بن عمرو بالزهد والورع والعبادة الدائمة وتلاوة القرآن وحضور مجالس العلم، حيث يستمع إلى أقوال الصحابة ويناقش الفقهاء ورجال الدين ويتعلم من الرسول - ﷺ.

ومن المواقف التي تعبر عن زهده وتقواه أنه كان يصوم كل يوم ولا يفطر، ولكن الرسول - ﷺ- قال له:

- صم أفضل الصوم.. صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة.

عبد الله بن عمرو بن العاص كثير الصدقات، حيث أهدى المسلمين مائة راحلة يركبونها، ويحملون عليها أمتعتهم ومائتين لأهل البلاد البعيدة يذبح لهم منها في موسم الحج ويتصدق بها عليهم.

توفي عبد الله بن عمرو بن العاص في ٦٥هـ في مصر، وعمره ٧٢ سنة، حيث عاش كريم الروح عزيز النفس غزير المعرفة يساهم في حل قضايا الناس، ويغدق عليهم من كرمه الكثير. فقد تولاه الزهد وبدت الحياة الدنيا أمامة ضئيلة والماديات بكل ما فيها من متع سقيمة. وعاش مؤمنا كريما ورحل عن الحياة صادقا ورحيما.

-٨١-

عبد الله بن عمرو بن حرام

الصحابي عبد الله بن عمرو بن حرام أمير الفداء.. رحل إلى السماء.. وتسربلت روحه بالضياء.. وحلق في روضة الشهداء.. ينعم بالحياة في الآخرة.. ونعيم البقاء.

عبد الله هو أحد الأنصار السبعين الذين بايعوا الرسول ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية. واختاره النبي ﷺ نقيباً على قومه بني سلمة.

كان عبد الله بن عمرو بن حرام نموذجاً للمسلم الصادق والرجل الكريم والقلب الرحيم فقد أحب الرسول ﷺ ، وظل ملازماً له في المدينة واضعاً نفسه وماله وأهله في خدمة الإسلام.

تميز عبد الله بالحزم والشجاعة وروح الفداء والتضحية، وقد شارك في معركة بدر وقاتل فيها قتال الأبطال، وحاز إعجاب ودهشة الجميع فقد كان راضياً مطمئناً، لأنه يدافع عن عقيدته.

ولكن في غزوة أحد أحس عبد الله أنه لن يعود من هذه الغزوة وسوف يستشهد في سبيل الله، وكان بذلك فرحاً مستبشراً فنادى ابنه جابر بن عبد الله وقال له:

– إني لا أراني إلا مقتولاً في هذه الغزوة، بل لعلي سأكون أول شهدائها من المسلمين وإني والله لا أدع أحداً بعدي أحب إليَّ منك بعد رسول الله، وإن علي ديناً فاقض عني ديني واستوص بإخوتك خيراً.

وفي المعركة قاتل عبد الله ولم يستسلم وظل شجاعاً حتى سقط قتيلاً، ونال الشهادة بعد أن نزفت دماءه فوق أرض المعركة.

وبعد انتهاء القتال أخذ المسلمون يبحثون عن شهدائهم وذهب جابر بن عبد الله يبحث عن أبيه فوجده بين الشهداء، وقد مثل به المشركون كما مثلوا بغيره من شهداء المسلمين.

ووقف جابر وبعض أهله يبكون على شهيدهم فمرَّ بهم رسول الله، فسمع صوت أخته تبكي فقال لها:

- تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه.

يقول جابر: لقيني رسول الله فقال: يا جابر مالي أراك منكراً مهتمّاً؟

قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وعليه دين.

فقال الرسول: "ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحاً فقال: يا عبدي سلني أعطك فقال أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً فقال الله له: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون فقال عبد الله: يا رب أبلغ من ورائي.

فأنزل الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون} آل عمران: ١٩٦-١٩٧

وبعد مرور ست وأربعين سنة على دفنه نزل سيل شديد غطى أرض القبور، فسارع المسلمون إلى نقل جثث الشهداء وكان جابر لا يزال حياً فذهب مع أهله

لينقل رفات أبيه عبد الله بن عمرو ورفات زوج عمته عمرو بن الجموح، فوجدهما في قبرهما نائمين كأنهما ماتا بالأمس لم يتغيرا.

وهكذا يحيا الشهداء الصحابي عبد الله بن عمرو بن حرام أمير الفداء.. رحل إلى السماء.. وتسربلت روحه بالضياء.. وحلق في عالم من ضياء.. ينعم بالحياة في الآخرة.. ونعيم البقاء.

-٨٢-

عبد الله بن مسعود

عبد الله بن مسعود الصحابي الذي جهر بالقرآن.. والفقير الذي وهب روحه للمعارك والإيمان.. اكتسب من العلوم وأجاد.. وانطلق يدافع في مسيرة الجهاد.. ويدعو إلي الحق والتسامح والتراحم.

أحد الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن علماء الحديث السابقين إلى الإسلام، وقد واجه الشقاء والأذى من قريش، ولكنه تحامل وجهر بالقرآن الكريم مخاطراً بحياته من أجل الدعوة الإسلامية.

ويعتبر عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن في مكة بعد رسول الله – ﷺ– وقد رفض كل إغراء من قريش وسلم روحه الطاهرة للقرآن وقلبه للعبادة وهو الفقير الذي وجد الثراء الحقيقي في دعوة رسول الله للإسلام.

رافق عبد الله بن مسعود الرسول وتعلم أصول الإسلام وحفظ القرآن الكريم، وكان من رواة الحديث فأصبح من الثقاة الذين يعتمد عليهم في القضايا الفقهية، واكتسب علماً نافعاً بإيمانه العميق.

وعاش عبد الله في مكانة كبيرة أثيرة لدى رسول الله ﷺ يستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام ويلبس رسول الله نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا اتخذ مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله - ﷺ- أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه.

وهذه الحياة في ظل رسول الله ﷺ فاضت بالعلم في عقل ابن مسعود وشرحت قلبه بالإيمان العميق، وأصبح من كبار حملة القرآن الكريم داعياً إلى الحق والعدل، جاهراً بكلمات الله ويصدح دائماً بالرحمة والعدل والمساواة والخير والفضيلة، وتلك تعاليم انزرعت في روحه وتلقاها في مدرسة رسول الله - ﷺ.

وتميز ابن مسعود بالفصاحة والحجة القوية والخطاب المؤثر والشعور العميق والفهم الدقيق للفقه الإسلامي وقضايا المجتمع.

ولذلك توجه عبد الله بن مسعود في عهد خلافة عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وكانت مهمته هي تعليم الناس ونشر العلم وتثقيفهم في أمور دينهم وجلاء التخلف عن أذهانهم وتبصيرهم بطريق النور والمعرفة.

وقد قال عمر بن الخطاب في كتابه لأهل الكوفة:

- إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أهل بدر فاقتدوا بهما واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

وعاش عبد الله بن مسعود في الكوفة معلماً وفقيهاً وحكيماً ومفسراً لأحاديث الرسول ومضيئاً طريق الناس بالعلم ومعاوناً لهم في حياتهم، من خلال قيم الإسلام الجميلة والمعاني السامية، وينظر في القضايا بالعدل ويعقد حلقات العلم والنقاش في تسامح وروح تسبح في خلق الله.

واختص عبد الله بن مسعود بعلمه في حل قضايا الناس وإرشادهم إلى الحقائق الدينية وقراءة القرآن وشرح آياته ورواية الحديث وتوضيح معانيه ومواقفه ومقاصده، حتى أن أبو موسى الأشعري وهو من كبار علماء الفقه يطلب من الناس ألا يسأله أحد عن شيء ما دام ابن مسعود موجوداً.

عاش عبد الله بن مسعود داعياً للعلم وناشراً للفضائل وواعظاً للناس، ومتفقهاً في أمور الدنيا والدين .ويقول في إحدى كلماته للناس:

- عليكم بالعلم قبل أن يقُبض وقبضة ذهاب أهله فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتعجيل وإياكم والتنطع.

وكان عبد الله بن مسعود خبيراً بروح الدين الإسلامي ومن مدرسة رسول الله - ﷺ- تعلم على يديه وعاش معه ورافقه في حياته وجاهد من أجل إعلاء كلمة الحق في وجه قريش، ولذلك يقول:

- إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليهن فتقولوا: اللهم اخزه اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية فإنا أصحاب محمد - ﷺ- كنا لا نقول في أحد

شيئا حتى نعلم علام يموت؟ فإن ختم له بخير علمنا أنه أصاب خيراً وإن ختم له بشر خفنا عليه.

ورحل عبد الله بن مسعود وقد خلف علماً غزيراً في قلوب الناس وفي أفكارهم وطرق حياتهم وتوفي بالمدينة سنة٣٢ هـ. ويذكره تاريخ الإسلام معلما وفقيها ومؤثر في المشاعر والأذهان عميق الفكر فصيح البيان.

-٨٣-

عتبة بن غزوان

عتبة بن غزوان الصحابي البطل الهمام.. والقائد الشجاع المقدام.. والفارس المجاهد في سبيل الله والإسلام.. لا يخاف الموت ولا يهاب الحِمام. ومؤسس مدينة البصرة في العراق.. ورائد من رواد الفتوحات.. وتشهد له المواقف بالبطولات.

يعتبر أحد الرماة الأبطال الذين جاهدوا في سبيل الله، ومن أجل الرسولﷺ. ومن سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام ووقف متحدياً إيذاء الكفار وتقدم إلى مبايعة رسول الله، ولم يكن يخشى الموت أو يهاب سلطة قريش بكل ما كانت تملك من نفوذ وقوة وبطش.

بل إنه صابر وتحمل وجاهد مع إخوانه ضد اضطهاد قريش للمسلمين وذاق مرارة العذاب، ولكنه كان أحد النماذج التي غلب إيمانها كل صعاب.

هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ولكنه عاد ليظل بجوار الرسول ﷺ حتى حان موعد الهجرة إلى المدينة فهاجرمع المسلمين.

واستمرت قريش في محاربة الإسلام واصطدمت مع المسلمين في بدر فحمل عتبة سلاحه ليضرب به رءوس الكفر، وظل رافعاً سلاحه مع الرسول في كل لقاءاته مع المشركين لا يتخلف عن جهاد أو يتكاسل عن معركة.

وبعد وفاة النبي – ﷺ– أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أرض البصرة لقتال الفُرس في الأُبُلَّة، وليطهر أرضها من رجسهم. ومضى عتبة بجيشه إلى الأبلة والتقى بأقوى جيوش الفرس ووقف عتبة أمام جنوده حاملاً رمحه بيده وصاح: الله أكبر.

واستسلمت الأبلة وطهرت أرضها من الكفر وتحرر أهلها من طغيان الفرس.

وبعد فتح الأبلة أسس عليها عتبة مدينة البصرة وبنى فيها مسجدًا كبيراً، وبقي عتبة بالبصرة يصلي بالناس ويفقههم في دينهم ويحكم بينهم بالعدل ضارباً لهم أروع مثال في الزهد والورع.

وظل عتبة والياً على البصرة حتى جاء موسم الحج فخرج حاجاً بعدما استخلف المغيرة بن شعبة على البصرة، ولما فرغ من حجه سافر إلى المدينة، وطلب من أمير المؤمنين عمر أن يعفيه من الإمارة ولكن أمير المؤمنين رفض أن يعفيه منها ولم يكن أمام عتبة إلا الطاعة فأخذ راحلته ليركبها راجعاً إلى البصرة واعتلى ظهرها ثم دعا ربه قائلاً:

– اللهم لا تردّني إليها.

وبينما كان مسافرا بين مكة والبصرة في الطريق هوى من فوق راحلته واصطدم بصخرة في الصحراء أنهت حياته في سنة ١٧هـ.

وصرخت الصحراء على الصحابي الراحل في الفضاء.. وعوت الرياح وبكت السماء لهذا الرجل الذى امتطى طموحات الجهاد وشق طريق الظلام بنور العلم وعزائم الرجال.

-٨٤-

عثمان بن أبي العاص

عثمان بن أبي العاص هذا الشاب الصغير.. سأل الرسول أن يدعو العلى القدير ليكون فقيها في الدين والتفسير.. ويتجاوز عالم الضباب.. يخترق الفضا يجاور السحاب.. وتشرق روحه بالهدى والحق.. ويمضي في طريق الصدق.

ويقص عثمان بن أبي العاص عن قصة لقائه بالرسول ﷺ فيقول:

– جئت مع وفد ثقيف لنعلن إسلامنا وعند الباب قالوا لي:

– من يمسك لنا رَوَاحِلَنَا؟

وكنت أصغرهم فقلت:

– إنْ شئتم أمسكتُ لكم على أن لي عليكم عهد الله لتمسكنّ لي إذا خرجتم.

قالوا: فذلك لك.

فدخلوا بيت الرسول – ﷺ– وحين خرجوا قالوا:

– انطلق بنا.

قلتُ: أين؟

قالوا: إلى أهلك.

فقلتُ رافضا: ضربتُ من أهلي حتى إذا حللتُ بباب النبي ﷺ أرجع ولا أدخل عليه؟! وقد أعطيتموني ما قد علمتم!

قالوا: فأعجل فإنا قد كفيناك المسألة لم ندع شيئاً إلا سألناه عنه.

فدخلتُ فقلتُ: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يفقهني في الدّين ويعلمني.

قال: ماذا قلت؟

فأعدتُ عليه القول فقال:

- لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ من أصحابك فأنت أميرٌ عليهم وعلى من يَقْدِمُ عليه من قومِكَ.

ولما أسلم القوم وأرادوا الرجوع إلى قومهم قام الرسول ﷺ على المنبر وبيده كتابٌ قاضاهم عليه فقال:

- لأعطينَّ هذا الكتاب رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قُمْ يا عثمان بن أبي العاص.

عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفيّ الطائفيّ هذا الشاب الصغير يختاره الرسول - ﷺ- أميرا على رجال ثقيف، وكذلك يصبح أميرا على الطائف في عصر أبو بكر، وكذلك عُمان والبحرين في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وساهم في نشر الإسلام ببلاد فارس وافتتح مدينة (توّج) واستقر بالبصرة.

وحين اختاره عمر أميرا على البحرين قال:

- ذلك أميرٌ أمّرهُ رسول الله - ﷺ- على الطائف فلا أعزله.

قالوا له:

– يا أمير المؤمنين تأمره يستخلف على عمله من أحبّ وتستعين به فكأنّك لم تعزله.

فقال: أمّا هذا فنعم.

فكتب إليه: أن خلّف على عملك من أحببتَ وأقْدِمْ عليّ فخلّف أخاه الحكم بن أبي العاص على الطائف. وقدم على عمر بن الخطاب، فولاه البحرين، وفي نهاية حياته نزل البصرة مع أهله وعاش هناك فترة وعرف والموضع الذي بالبصرة بأنه شط عثمان.

وتوفي عثمان بن أبي العاص سنة ٥١ هـ هذا الأمير الذى سافر مع الشمس وحلق في رحاب الهدى والإيمان. أصبح فقيها في علوم الدين ومن الصحابة الكرام. ومازالت آثاره العظيمة في بلاد فارس والبحرين وعمان والبصرة تتنفس بإنجازات هذا الأمير الذي عاش حياته يجاهد في سبيل الله.

-٨٥-

عثمان بن مظعون

عثمان بن مظعون الصحابي العابد.. والمؤمن الزاهد.. والمسلم التائب الساجد.. والرجل الذي يسكن في صومعته وحيداً في أمان.. يتلو آيات من القرآن ويقيم الصلاة والذكر. فلم تشغله الدنيا بكل ما فيها من مباهج الفكر.. تسامى عن هذا العالم في الضياء.. وحلقت روحه في الفضاء.. تنشد الخير والمحبة والصلاح والدعاء.

ولذلك قال عنه رسول اللهﷺ:

– أما عثمان فقد جاءه والله اليقين إني لأرجو له الخير والله ما أدري وإني رسول الله ما يفعل بي.

ويهاجر عثمان إلى المدينة مع المهاجرين ويظل هناك حتى مماته فكان أول من دفن بالمدينة. وعاش حياته صبوراً يتحمل كل مواقف المحن ويساند الرسول ويلتف حوله لا يتركه أبداً حتى هاجر إلى الحبشة وهو واثق الخطوة عظيم اليقين بدعوة الرسول والإسلام.

ويعود عثمان بن مظعون إلى مكة فيواجه أذى قريش فاضطر أن يدخل في جوار الوليد بن المغيرة، ولكن حين يرى إخوانه المسلمين في قهر دون حماية بينما هو في مأمن وحماية بن المغيرة قال:

– والله إن غدوّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي، وهكذا سار مع إخوانه المؤمنين يشاركهم في مواقف المحن ويتحمل مثلهم الأذى، ويخفف عنهم ويحثهم على الصبر والاقتداء برسول الله ﷺ.

ومن المواقف التي تؤكد زهد عثمان بن مظعون أنه دخل يوماً المسجد ورسول الله ﷺ وأصحابه جلوس، وكان يرتدي لباساً تمزق فرقّعه بقطعة من فروة.. فرق له قلب الرسول –ﷺ –ودمعت عيون أصحابه فقال لهم النبي – ﷺ:

– كيف أنتم يوم يغدو أحدكم في حلة.. ويروح في أخرى.. وتوضع في قصعة. وترفع أخرى.. وسترتم بيوتكم كما تستر الكعب..؟.."!

قال الأصحاب:

- وددنا أن يكون ذلك يا رسول الله.. فنصيب الرخاء والعيش..

فأجابهم الرسول ﷺ قائلاً:

- أن ذلك لكائن.. وأنتم اليوم خير منكم يومئذ..

وأحبّه الرسول صلوات الله وسلامه عليه حبّاً عظيما، وعندما فاضت روحه وصعدت إلى السماء كان الرسول يودعه ويقول:

- حماك الله يا أبا السائب.. خرجت من الدنيا وما أصبت منها ولا أصابت منك.

ورحل الكريم الزاهد والحكيم العابد ورجل المواقف والخليفة المؤمن القائد تترحم عليه القلوب وتتمزق حزنا من أجله.

-٨٦-
عُديّ بن حاتم بن الطائي

الصحابي عدى بن حاتم.. رجل الصدق الحازم.. عطوف على الفقراء مسالم.. كريم الأصل شديد العزائم.. المحارب في الغزوات والفتوحات.. مدافعا عن المسلمين والمسلمات.. عطاء في المشاعر سخاء في الصدقات.

عُدي بن حاتم رجل المواقف والشدة.. دعا لثبات قومه يوم الردة.. وانطلق يشق الصحراء.

عُديّ بن حاتم بن عبد الله الطائي وكنيته أبو طريف الذي يضرب بجوده المثل.

وقعت أخت عُدي في الأسر فأطلقها رسول الله ﷺ وعفا عنها فذهبت إلى أخاها عدي بن حاتم في الشام، وسألته أن يحضر ليقابل الرسول - ﷺ - فجاء

وأعلن إسلامه، وقد أدرك حقيقة الموقف ووقف يقص قصة إسلامه وهو يشعر بالندم على حياته في الجاهلية، ويقول في صدق:

- بُعِثَ رسول الله ﷺ حين بُعث فكرهته أشدّ ما كرهت شيئاً قط، فانطلقتُ حتى إذا كنت في أقصى الأرض ممّا يلي الروم، فكرهتُ مكاني ذلك مثلما كرهته أو أشدّ، فقلتُ لو أتيتُ هذا الرجل، فإن كان كاذباً لم يخفَ عليّ، وإن كان صادقاً اتبعته فأقبلتُ فلمّا قدمتُ المدينة استشرفني الناس وقالوا عُدي بن حاتم! عُدي بن حاتم.

فأتيته فقال لي: يا عديّ بن حاتم أسلمْ تسلمْ.

فقلتُ: إنّ لي ديناً!

قال: أنا أعلم بدينك منك.

قلتُ: أنت أعلم بديني مني؟!

قال: نعم.

قال: ألست ترأس قومك؟

قلتُ: بلى.

قال: ألستَ رُكوسيّاً - فرقة مترددة بين النصارى والصابئين - ألستَ تأكل المرباع.

قلتُ: بلى.

قال: فإن ذلك لا يحلّ في دينَك! فنضنضتُ لذلك.

ثم قال: يا عديّ أسلمْ تسلمْ.

قلتُ: قد أرى.

قال رسول اللهﷺ: إنّه ما يمنعك أن تسلم إلا غضاضةً تراها ممّن حولي، وأنت ترى الناس علينا إلْباً واحداً؟

قال: هل أتيتَ الحيرة؟

فقلتُ: لم آتِها وقد علمتُ مكانها.

قال: يُوشك الظعينة أن ترحل من الحيرة بغير جوار، أو حتى تطوف بالبيت، ولتفتحنّ علينا كنوز كسرى بن هرمز.

قلتُ: قلتَ كسرى بن هرمز!!

قال: كسرى بن هرمز مرتين أو ثلاثة وليفيضنّ المالُ حتى يهمَّ الرجل مِنْ يقبلُ صدقتَهُ.

قال عدي: فرأيتُ اثنتين الظعينة -المرأة - في الهودج تأتي حاجةً لا تحتاج إلى جوار، وقد كنتُ في أول خيل أغارت على كنوز كسرى بن هرمز، وأحلف بالله لتجيئنّ الثالثة، إنّه قاله رسول الله – ﷺ.

عاش عدي بن حاتم رجلا كريما صادقا يعطف على الفقراء والمساكين فهو الذي قدم صدقات قومه في عهد أبو بكر الصديق وساهم في الفتوحات الإسلامية، وجاهد مع المسلمين بعزم وكفاح.

ومن المواقف التي تكشف عن مكانة هذا الصحابي وتقدير المسلمين والخلفاء له حين شعر بجفاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فسأله عدى بن حاتم:

– يا أمير المؤمنين أتعرفني! فضحك عمر ثم قال: نعم والله إني لأعرفك.. أسلمت إذ كفروا.. وعرفتَ إذْ أنكروا.. وأقبلتَ إذْ أدبروا.. ووَفَيْتَ إذْ غدروا.. وإنّ أول

صدقة بيّضتْ وجْهَ رسول الله - ﷺ- صدقة طيء حيثُ جئتَ بها. وأخذ يعتذر منه فقال عدي: فلا أبالي إذن.

توفي أبو طريف في عام ٦٨ هـ في الكوفة بعد حياة من العبادة والجهاد والمشاركة في الغزوات، ومقاومة الفتن، ودعوة قومه إلى الثبات على الإسلام في وقت الردة. عاش عدى بن حاتم حياته يمنح الآخرين من علمه وحكمته ويقاوم المشركين ويسجل صفحات تشع بروح العقيدة والإيمان.

-٨٧-

عروة بن مسعود

عروة بن مسعود الثقفي من الصحابة النجباء.. وأحد أكابر قومه الفضلاء وكان مبعوثاً من قريش إلى النبي - ﷺ- للمفاوضة وإبداء الأراء يوم صلح الحديبية.

ويومها قال عروة للنبيﷺ:

- أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك. ثم رجع عروة إلى أهل مكة وقال:

- إني رأيت من أصحاب محمد العجب، فوالله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلَّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له.

أي قوم والله لقد وفدت على الملوك وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً وإنه قد

عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فكان لعروة اليد البيضاء في تقرير الصلح يوم الحديبية.

أما عن إسلامه فقد جهز النبي – ﷺ– سرية من أصحابه لفتح الطائف وخرج معهم إلى ثقيف التي كانت ذات حصون شديدة. فعسكر النبي بسريته حولها. فلما وجد أن الحصار لا يفيد عاد إلى المدينة.

وهنا ذهب إليه عروة سيد ثقيف وأسلم ثم استأذن النبي أن يدعو قومه إلى الإسلام.

فقال له النبي محذراً:

– إن فعلت فإنهم قاتلوك.

فقال عروة:

– يا رسول الله.. أنا أحبُّ إليهم من أبصارهم.

ورجع عروة إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام ولكنهم غضبوا منه وسبوه وأسمعوه ما يكره، ولكنه صعد فوق سطح غرفة له وأذن للصلاة فخرج إليه رجال ثقيف ورشقوه بالنبل من كل اتجاه فأصابه سهم وسقط مضرجا في دمائه.

وقالوا له:

– ما ترى في دَمِكَ؟

قال:

– كرامة أكرمني الله بها.. وشهادة ساقها الله إليَّ فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم.. فادفنوني معهم.

فلما علم الرسول ﷺ بما حدث لعروة قال:

- مَثَلُ عروة في قومه مَثَلُ صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه.

ورحل عروة صادق الإيمان إلى جنات الله. وحزن عليه المسلمون جميعاً وقد مزقت السهام جسده ونزفت الدماء من كل جانب تبرق بصورة فارس من الفرسان وشهيد من الشهداء واجه الموت والفناء لتعلو راية الحق في السماء.

-٨٨-
عُقبة بن نافع

عُقبة بن نافع مؤسس القيروان.. وبطل برقة وفزان.. وفارس أفريقيا والسودان.. والقائد هازم البربر محطم الحصار.. يمضي مستجاب الدعوة بين البحار.. يواجه بحر الظلمات الجاسر:

يا ربِّ لولا هذا البحرُ الزاخر.. لمضيتُ في البلاد مواجها المخاطرَ.. في سبيلك أنشر دينكَ المبينَ.. رافعاً راية الإسلام والمسلمين.. فوقَ كل مكانٍ حصينٍ .. استعصى على جبابرة الأقدمين.

هذا فارس الغزوات في جيش خاله عمرو بن العاص، حيث فتح مصر ونشر فيها الإسلام، وامتلك أرضا هناك واجتاز بلاد النوبة وهزم رجالهم وجيوشهم واستعد للترحال إلى قلب أفريقيا.

استطاع عقبة بن نافع أن يسيطر على أفريقيا وينشر نور الإسلام هناك، ويخضع مدنا وبلادا كثيرة منها غُدامس وكُوراً من بلاد السودان ووَدّان من بلاد أفريقية. وزحفت جيوش عقبة بن نافع أيضا إلى برقة، وفزان وزويلة وقد اتّخذ من برقةَ قاعدةً لنشر الإسلام في المناطق الواقعة غرب مصر.

وفى عهد معاوية بن أبي سفيان وجّه عُقبة بن نافع إلى أفريقية غازياً في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها، واختطّ قيروانها وأسسها لتصبح قاعدة حربية ومركز انطلاق للعالم الآخر عبر المحيطات.

من مواقفه التي تؤكد مدى استجابة دعوته عند الله حين نزل بالجيش في القيروان، فواجه على الأرض بعض السباع والحيات فدعا عليها فهربت جميعا عندما قال:

– يا أهل الوادي، إنّا حالون – إن شاء الله – فاظعنوا ثلاث مرات.

وقال الرجال:

– فما رأينا حجراً ولا شجراً إلا يخرج من تحته دابّة حتى هبطن بطنَ الوادي ثم قال للناس:

– انزلوا باسم الله.

فأسلم خلق كثير من البربر، وهكذا كان عُقبة بن نافع مُستجاب الدعوة،

وأصبحت القيروان قاعدة حربية لتأمين الخطوط الدفاعية الإسلامية في المنطقة ونقطة انطلاق لنشر الإسلام بين السكان هناك.

وظل عقبة بن نافع يتجاوز البحار والجبال، ويعبر إلى المدن والبلاد وسار بقواته غرباً إلى المحيط الإطلسي الذى يطلق عليه "بحر الظلمات" فتوقّف أمام البحر، وقال:

– يا ربِّ لولا هذا البحرُ الزاخر.. لمضيتُ في البلاد مواجها المخاطر.. في سبيلك أنشر دينكَ المبينَ... رافعاً راية الإسلام والمسلمين... فوقَ كل مكانٍ حصينٍ... استعصى على جبابرة الأقدمين.

واستشهد البطل الفاتح في معركة مع البربر أثناء عودته إلى القيروان، حيث فاجأهُ كُسَيْلةُ بفريق من البربر وحلفائه البيزنطيين، واشتبكوا معه في معركة انتهت باستشهاده مع عدد من الجنود.

وتوفي عُقبة في إفريقية سنة ٦٣ هـ، وأوصى أبناءه ألا يقبلوا الحديث عن رسول الله – ﷺ– إلا من ثقة وألا تشغلهم الإمارةُ عن القرآن.

قال رسول الله ﷺ في عقبة بن نافع: رأيتُ كأنّي في دار عُقبة بن نافع فأتينا برُطَبٍ أبّر – مُلَقّح – طاب .فأوّلتُها: الرفعة والعافية، وأنّ دينَنَا قد طاب لنا.

ويمضي الفاتح عقبة بن نافع إلى السماء بعد أن ساد الأرض صوت القرآن والسلام.. وتظل روحه تحلق بين الربوع تشتاق إليها بلاد أفريقيا والقيروان في كل المدائن الإسلامية.

-٨٩-
عكرمة بن عمرو

الصحابي الشهيد عكرمة بن عمرو بن هشام.. عاش أميراً للفتوحات.. وفارساً في الغزوات.. واهباً الصدقات.. صادق الكلمات.. قائم الصلوات.. كثير الدعوات.. زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام.. كانت أسبقه إلى الإسلام.. سكن قلبها الهداية والسلام.. وظلت تدعوه ليلحق بها بعد أن عفا عنه الرسول.

عكرمة بن عمرو أبوه عمرو بن هشام الذي عُرف عنه شدة عدائه للمسلمين، وأطلق عليه النبي "أبا جهل". وكان عكرمة في بداية الأمر هارباً من مكة بعد فتح

الرسول لها، ولكن زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام طلبت العفو من الرسول لزوجها.

أسرعت أم حكيم لزوجها تدعوه إلى الإسلام وتبشره بعفو الرسول عنه وقالت له:

- يابن العم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس.. وخير الناس.. لا تهلك نفسك.

فعاد إليها. فقالت له:

- إني قد استأمنت لك رسول الله .

فقال لها:

- أنت فعلت ذلك؟

فقالت: نعم أنا كلمته فأمَّنك.

فرجع معها إلى مكة حتى لقي رسول الله وأعلن إسلامه.

فقال له الرسولﷺ:

- مرحباً بالراكب المهاجر.

وقال النبي لأصحابه:

- يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً. فلا تسبُّوا أباه. فإن سب الميت يؤذي الحي. ولا يبلغ الميت.

ووقف عكرمة بين يدي الرسول نادماً على ما حدث منه.

وقال:

- يا رسول الله.. علمني خير شيء تعلمه حتى أقوله.

فقال له النبي: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا وأشهد بذلك من حضرني. وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي.

فاستغفر له رسول الله.

فقال عكرمة: والله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله. ولا قتالاً قاتلته إلا قاتلت ضعفه. وأشهدك يا رسول الله على ذلك.

وكان دور عكرمة بعد إسلامه مؤثراً وقوياً في جهاده وكفاحه، حيث ساهم:

- كان بطلاً وشجاعاً في الغزوات. وتولى صدقات هوازن في عام وفاة الرسول.
- اشترك في حروب الردة في عمان وتولى الإمارة هناك.
- جاهد في عهد عمر بن الخطاب وقاد الجنود في موقعة اليرموك.

وفي تلك المعركة صاح: من يبايعني على الموت؟

فأسرع إليه ابنه عمرو وعمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور، ومعهم فارس من المسلمين وانطلقوا نحو جيوش الروم يحصدون رقابهم، وأظهر عكرمة في هذه المعركة شجاعة نادرة حتى جُرح وجهه وصدره.

وانتصر المسلمون انتصاراً حاسماً، ولكن كانت جراح عكرمة كثيرة وعميقة فقد وجدوا فيه بضعة وسبعين جرحاً ما بين طعنة ورمية وضربة.

وقبل أن يستشهد عكرمة ضرب أروع مثل في الإيثار فقد كان بجواره الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو، فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه فجيء إليه بماء فنظر إليه عكرمة.

فقال هشام: ادفعه إلى عكرمة.

فلما أخذه عكرمة نظر إليه سهيل.

فقال عكرمة: ادفعه إلى سهيل.

فلما وصل الماء إلى سهيل كان قد مات ثم تبعه عكرمة والحارث واستشهدوا جميعاً وقد آثر كل واحد منهم الآخر بشربة الماء.

وهكذا رحل عكرمة الفارس والشهيد، وظلت ذكراه في تاريخ المسلمين صفحات مضيئة بأروع مواقف الجهاد.

-٩٠-

عمار بن ياسر

عمَّار بن ياسر صحابي المحن والعذاب. وروح التقوى والثواب.. والوجه البريء المسافر فوق السحاب.. دموعه خيوط الفجر وعناق الشهاب.. آلامه مزيج من الطهر والنقاء.. حلق في آفاق السماء.. وتدثر بالهدى وهجر دار الفناء.

آل ياسر عليكم السلام.. كنتم السابقين إلى الإسلام.. ياسر وأمه سمية بنت خياط. يمزق جلدهما لهيب السياط.. يواجهون الطغيان والظلم والنار.. وتهوي سمية بطعنة زعيم الأشرار.. ويرحل ياسر إلي آخر الديار.. ويبكي النهار.. وتغيب شمس مكة في انكسار.

ولما علم المشركون بإسلام هذه الأسرة أخذوهم وعذبوهم عذابًا شديدًا فمر عليهم الرسول، وقال لهم:

- صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

وطعن أبو جهل السيدة سمية فماتت لتكون أول شهيدة في الإسلام، ثم يلحق بها زوجها ياسر وبقي عمار يعاني العذاب الشديد فكانوا يضعون رأسه في الماء ويضربونه بالسياط.. ويحرقونه بالنار.

فمرَّ عليه الرسول ﷺ ووضع يده الشريفة على رأسه وقال:

- يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كنت بردًا وسلامًا على إبراهيم.

وحين تحرر عمار من أسر العذاب ومحنته بعد فقد والديه أصبح له مكانة كبيرة لدى الرسول، وهناك مواقف توضح ذلك:

- ذات يوم استأذن عمار الرسول ﷺ ليدخل فقال من هذا؟ قال: عمار فقال: مرحبًا بالطيب المطيب.

- وذات يوم حدث بين عمار وخالد بن الوليد كلام. فأغلظ خالد لعمار. فشكاه إلى النبي فقال: من عادى عمارًا عاداه الله، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله.

فخرج خالد من عند الرسول ما من شيء أحب إليه من رضا عمار وكلمه حتى رضي عنه.

- وقال النبي إن عمارًا مُليء إيمانًا إلى مشاشة، أي إلى آخر جزء فيه. وأمر النبي المسلمين أن يتبعوا عمارًا ويقتدوا به. فقال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد "عبد الله ابن مسعود".

وبعد وفاة النبي اشترك عمار مع الصديق أبي بكر في محاربة المرتدين. وأظهر شجاعة فائقة في معركة اليمامة، حتى قال ابن عمر في شجاعته:

- رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين. أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر.. أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هلمَّ إليَّ.. وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب "تتحرك" وهو يقاتل أشد القتال.

وبعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة ولى عمارًا على الكوفة ومعه عبد الله بن مسعود، وبعث بكتاب إلى أهلها يقول لهم فيه:

- أما بعد فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرًا، وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما.

ومن كلماته يقول:.

- ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الإيمان: الإنفاق في الإقتار. والإنصاف من النفس. وبذل السلام للعالم.

وفي يوم صفين كان عمار في جيش علي وقبل بداية المعركة شعر عمار بالعطش.. فإذا بامرأة تأتيه وفي يدها إناء فيه لبن فشرب منه وتذكر قول الرسول له:

- آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن.

وقال في جموع المقاتلين: الجنة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسنة وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه، واشتبك

مع الأعداء في الحرب وسقط شهيدا سنة٣٧هـ وكان عمره آنذاك ٩٣ سنة ودفنه الإمام عليٌّ وصلى عليه.

هذا عمار بن ياسر الوجه النقي المضيء بين هالات السحاب.. والقلب الذي غرق في بحر العذاب.. يمشي والدرب أمامه هدى وثواب.. ويرحل إلى جنات الشهداء باسم الثغر مشرق الوجه هادئ النفس في عالم من صفاء.

-٩١-

عِمْران بن حصين

عمران بن حصين الصحابي الذي رفض الإمارة والقضاء.. تمنى أن يكون راعيا حتى يدركه الفناء.. ويحلم أن يكون رمادا تذروه الريح.. ويمضي حرا في الفضاء الفسيح.. عاش معلما للقرآن والتفسير.. زاهدا في حياته.. عابدا المولى القدير.. مانحا ذاته للنور والهدى والحق المبين.. خاف أن يكون ظالما للحائرين.

عمران بن حصين إلى عالم الروح انطوى.. ومن نبع الملائكة ارتوى.. فاستغرق في العبادة حتى صار كأنه طيفا لا ينتمي إلى عالم الدنيا وإنما يحيا مع الملائكة ينهل من شفافية الروح ونعيم الأبد.

عمران بن حصين صورة رائعة من صور التقوى والزهد والإيمان والفناء في حب الله وطاعته، رافضا زخارف الحياة ومباهجها باحثا عن الخلوة الروحية والطموح الوجداني إلي رضاء ربه ورسوله ويبكى ويقول:

– يا ليتني كنت رمادا ... تذْروه الرياح ياليتني!!

عمران بن حُصين بن عبيد الخزاعي وكنيته أبو نُجَيْد أسلم مع أبوه وأبوهريرة سنة سبع هجرية في عام خَيْبر، وغزا عدّة غزوات وحمل راية خزاعة يوم الفتح، ولقد سمع عمران الصحابة يسألون الرسول:

– يا رسول الله.. ما لنا إذا كنا عندك رقّت قلوبنا.. وزهدنا دنيانا.. وكأننا نرى الآخرة رأي العين.. حتى إذا خرجنا من عندك.. ولقينا أهلنا وأولادنا ودنيانا أنكرنا أنفسنا؟

فأجابهم عليه السلام:

– والذي نفسي بيده.. لو تدومون على حالكم عندي.. لصافحتكم الملائكة عِياناً.. ولكن ساعة وساعة.

وعندئذ قرر عمران أن يعيش حياته للعبادة والصلاة والجهاد دون توقف، ولذلك سافر إلى البصرة في عهد عمر بن الخطاب ليُفَقّه أهلها ويعلمهم. وفي البصرة أقبل عليه أهل العلم والتقوى ينهلون من علمه.

يقول الحسن البصري وابن سيرين:

– ما قدم البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ أحد يَفضل عمران بن حصين.

ومن مواقفه العديدة التي تجسد عمق إيمانه يوم أن شاهده الصحابة في مِطْرَفِ خَزّ لم يُرَ عليه من قَبْلُ فقال:

– قال رسول إن الله إذا أنعمَ على عبدٍ نعمةً يحب أن يُرى أثَرُ نعمتِهِ على عبده.

والموقف الآخر الذي خشى فيه أن يظلم الناس، عندما أوكل عبيد الله بن زياد القضاء إليه اختصم رجلان قامت على أحدهما البيّنة فقضى عليه فقال الرجل:

– قضيت عليّ ولم تألُ فوالله إنها لباطل.

قال عمران: الله الذي لا إله إلا هو.

وأسرع إلى عبيد الله بن زياد وقال:

- اعزلني من القضاء.

قال :مهلاً يا أبا النُجيد.

قال: لا والله الذي لا إله إلا هو لا أقضي بين رجلين ما عبدتُ الله، ويرفض الفتن ويعالج المحن بين المسلمين بحكمة وروية حين يشاهد النزاع بين على بن أبي طالب ومعاوية يصرخ أن يكفأ عن الحرب ويقول:

- لأن أرْعى أعنزا حَضنيّات في رأس جبل حتى يدركني الموت.. أحب إليَّ من أن أرمي في أحدِ الفريقين بسهم.. أخطأ أم أصاب.

كما كانت له كلمات يوجهها للمسلمين وتعاليم في العبادة ومواجهة المواقف في الحياة ومنها:

- الْزم مسجدك.. فإن دُخِلَ عليك.. فالزم بيتك.. فإن دَخَل عليك بيتك من يريد نفسك ومالك فقاتِلْه.

عانى الآلام الشديدة من مرض موجع أصاب بطنه وظل معه ثلاثين عاما ما ضَجِر منه، ولا قال أُفّ، بل كان مثابرا على عبادته.

وإذا هوّن عليه عواده أمر علته بكلمات مشجعة ابتسم لهم وقال:

- إن أحب الأشياء إلى نفسي أحبها إلى الله.

وكان يُعرض عليه الكي فيأبى أن يكتوي، حتى كان قبل وفاته بسنتين فاكتوى، فقد كان عمران ينهى عن الكيّ فابتُليَ فاكتوى، فكان يقول:

– لقد اكتويتُ كيّةً بنار ما أبرأتْ من ألمٍ ولا شفتْ من سَقَمٍ، وكانت وصيته لأهله وإخوانه حين أدركه الموت هي:

– إذا رجعتم من دفني فانحروا وأطعموا.

وتوفي في عام ٥٢ هـ بعد رحلة مع المرض ظل فيها صابرا مثابرا مؤمنا برحمة الله لا يشعر بالملل أو السخط، ولكنه دائما راضيا ترتسم على وجهه ابتسامة قناعة حتى غاب عن الحياة والابتسامة لم تفارق محياه.

-٩٢-

عمرو بن العاص

عمرو بن العاص.. فارس دهره.. وبطل زمانه وعصره.. وهو قائد حاد الذكاء.. شديد الدهاء.. هذا الصحابي المقتدر.. والفاتح المنتصر.. عمرو بن العاض سيف الإسلام الباتر.. وصوت الحق الظافر.. فاتح مصر.. وناشر الإسلام على ضفاف النيل ومؤسس المساجد والمدائن ليرتفع آذان الصلاة يشق آفاق المدن الإسلامية.

ولد عمرو بن العاص في مكة قبل الهجرة بخمسين عاماً.. وأسلم مع عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد. كان في زيارة لصديقه النجاشي ملك الحبشة فقال له: يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك؟ فوالله إنه لرسول الله حقاً. قال عمرو بن العاص: أنت تقول ذلك؟ قال: أي والله فأطعنى.

وخرج عمرو من الحبشة قاصداً المدينة فقابله خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وكانا في طريقهما إلي النبي ﷺ، فساروا جميعاً إلى المدينة وأسلموا بين يدي رسول الله ﷺ.

عمرو بن العاص الفقيه الأريب.. والعالم النجيب.. روى عن الرسول ﷺ أكثر من أربعين حديثاً. حفظ القرآن.. فتجمعت لديه فصاحة اللغة.. وحكمة العالم.. ودهاء القائد وذكاء المفكر الحصيف.

عمرو بن العاص المحارب المقدام.. قائد ميمنة المسلمين في موقعة اليرموك وفي فتح دمشق. وقائد جيوش المسلمين في موقعة أجنادين. أرسله النبي – ﷺ – أميراً على عُمان. وولاه عمر فلسطين. وظل يحلم بفتح مصر حتى وافق عمر بن الخطاب أن يذهب عمرو قائداً لجيش المسلمين لفتح مصر.

كانت مصر في أيدى الروم فاستطاع عمرو بن العاص تحرير مصر، ودعا أهلها إلى الدين الإسلامي فاستجابوا جميعاً وانتشر الإسلام على ضفاف النيل وبين ربوع الأرض الخضراء أرض الكنانة.

وفي مصر أسس عمرو بن العاص مصر الإسلامية، حيث نشر العدل والمساواة والحرية بين أفراد الشعب المصري. ودعا إلى احترام الأديان الأخرى. وبدأ في بناء المساجد وتأسيس مدينة الفسطاط.

وقد بنى المسجد الذى عُرف باسمه حتى اليوم وهو مسجد عمرو. وأحبه الشعب المصرى وتفتحت أمامهم حياة جديدة بعيدة عن الظلم والقهر والطغيان.

وهذه دلائل على عبقرية هذا القائد الذي يخطط المدن ويصمم بناء المساجد، ويقيم العدل وينشر الحرية ويكفل الخير والأمان والسلام للجميع.

وكذلك تكمن عبقريته في حكمته وتدبيره شئون البلاد في مصر وفي عُمان وفلسطين، حيث تولى إمارة هذه البلاد وحقق انتصاراً ونجاحاً كبيراً.

وعلى فراش المرض قال لابنه عبد الله:

- إذا أنا مت.. فلا تصحبني نائحة ولا نار.. فإذا دفنتموني فشنوا عليَّ التراب شناً.. ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم.

وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

وأغمض عينيه وغاب عن الحياة. وقد توفي عمرو سنة ٤٣ هـ. وعمره تسعون عاماً.

ومازال نهر النيل في مصر يشهد آثار عمرو بن العاص في البناء والتعمير.. والمسجد هناك قائم تبرز نقوشه بإنجازات هذا البطل فاتح مصر.

-٩٣-

عمرو بن قيس بن زائدة
ابن أم مكتوم

عمرو بن قيس.. عرف بابن أم مكتوم.. يبصر الكون من خلال غيوم.. يرى بروحه حكمة الرحمن الرحيم.. ويأتي ذكره في كتاب الله الحكيم.. يقرأ القرآن يسبح للحي القيوم.. يحلق عاليا بين النجوم.. يلمس النور.. ويشق الطريق.. عصاه هي الدليل والرفيق.. هذا الضرير ذو القلب الرقيق.

الصحابي الجليل المعروف باسم ابن أم مكتوم الأعمى اسمه عمرو بن قيس بن زائدة القرشي العامري. أمه أم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم وهو ابن خال السيدة خديجة بنت خويلد فأم خديجة هي فاطمة بنت زائدة الأصم وهي أخت قيس.

عمرو بن قيس الرجل الأعمى أعلن إسلامه في مكة وشعر أن النور غشى قلبه ووجدانه فكان يشق دربه بنور الإيمان، ورغم ذلك هاجر إلى المدينة ليقرأ القرآن لأهلها ويبصرهم بطريق الحق والهدى والخير.

يقول البراء بن مالك عنه:

– أوّل من قدم علينا من أصحاب رسول الله – ﷺ– مُصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يُقْرِئان النّاس القرآن.

ها هو الصحابي الضرير يستلهم من إيمانه شروقا في قلبه ورحمة تبشر بالرضا والسكينة، ونحو رسول الله – ﷺ– يسعى ويفرق الصحاب وهو يخشى ليكون بجوار النبي في أمان.

وتقدم عمرو بن قيس يحث الخطأ ويشق صفوف الجمع المحتشد في مجلس الرسولﷺ. وبدأ عمرو بن قيس حديثه إلى الرسول سائلا ومستفسرا عن قضية تشغله.

ولكن أعرض عنه الرسول وعبس بوجهه فأنزل الله تعالى مُعاتباً رسوله الكريم.

قال تعالى: "عَبَسَ وَتَولّى .. أَن جآءَهُ الأَعْمَى .. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى .. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى .. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى .. فأنْتَ لَهُ تَصَدَّى .. وَمَا عَلَيْكَ ألا يَزَّكَّى .. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى .. وَهُوَ يَخْشَى .. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّى ".سورة عبس " ١-١٠ ".

فلمّا نزلت الآية دعا رسول الله – ﷺ– ابن أم مكتوم فأكرمه.

ويقف ابن أم مكتوم يؤذن للصلاة مع بلال أو يقيمها ويقول الرسول:

– إنَّ بلالاً يُنادي بليل فكلوا واشربوا حتى يُنادي ابن أم مكتوم.

ومن القصص المدهشة التي تروى عن هذا الصحابي القدير أن جبريل كان مع الرسول وعنده ابن أم مكتوم فقال:

-متى ذهب بصرُك؟

قال ابن أم مكتوم: وأنا غلام.

فقال جبريل:

- قال الله تبارك وتعالى: "إذا ما أخذتُ كريمة عبدي لم أجِدْ له بها جزاءً إلا الجنة.

استخلفه رسول الله - ﷺ- على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، وأيضاً حين سار إلى بدر، ثم في مسيره إلى حجة الوداع، وشهد فتح القادسية ومعه اللواء.

وكان ابن أم مكتوم يُصلّي بالناس في عامّة غزوات رسول الله ﷺ عندما نزل قوله تعالى: "لا يَسْتوي القَاعِدونَ مِنَ المؤمنينَ.. والمجاهدونَ في سَبيلِ الله . سورة النساء "آية ٩٥"

قال بن أم مكتوم: أيْ ربِّ أَنْزِل عُذري. فأنزل الله "غَيْرُ أولِي الضَّرَرِ".

فجُعِلَتْ بينهما وكان بعد ذلك يغزو فيقول: "ادفعوا إليّ اللواء، فإنّي أعمى لا أستطيع أن أفرّ وأقيموني بين الصّفَّين".

شهد ابن أم مكتوم فتح القادسية ومعه اللواء فقد كانت معه رايةٌ له سَوْداء وعليه دِرْعٌ له سابغة، ثم رجع ابن أم مكتوم إلى المدينة فمات بها.

وتظل ذكراه تطوف آفاق الذاكرة.. هذا الضرير الذي شارك في الخلافة والغزوات، وأبصر بروحه وقلبه واستضاءت بصيرته بالرحمة ومغفرة رب العالمين.

-٩٤-

عمرو بن معد يكرب

هذا هو الصحابي الفارس المغوار أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدي الذي يشق التيار.. ويواجه الإعصار.. ينشد الأشعار ويبدع الرؤى والأحلام.. مبتكر المعاني والكلام والبطل. الشجاع المقدام الذى جمع بين الكلمة والحسام.

ولذلك اشتهر بالشجاعة والفروسية حتى لُقبَ بفارس العرب، وقد شارك في فتوح الشام والعراق ولم يتخلف عن حرب مع المسلمين ضد أعدائهم قط. وكتب له الشهادة وأصبح في صفوف المجاهدين الشهداء.

وفي موقفه حين أسلم أنه قال لصديقه قيس بن مكشوح حينما بلغهما أمر النبي:

– قد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي فانطلق بنا إليه حتى ننظر أمره، فإن كان نبيًّا كما يقول فإنه لن يخفي عليك وإن كان غير ذلك علمنا.

فرفض قيس ذلك فذهب هو إلى المدينة ونزل على سعد بن عبادة فأكرمه وذهب به إلى النبي ﷺ وأمامه أسلم. وقيل: "إنه قدم المدينة في وفد من قومه زُبَيْد فأسلموا جميعًا. ومن مواقفه الرائعة التي تؤكد فروسيته وشجاعته:

– في يوم اليرموك حارب في شجاعة واستبسال يبحث عن الشهادة حتى انهزم الأعداء وفروا أمام جيش المسلمين.

– قبيل معركة القادسية طلب قائد الجيش سعد بن أبي وقاص مددًا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليستعين به على حرب الفرس. فأرسل له أمير المؤمنين رجلين

فقط،هما: عمرو بن معد يكرب. وطليحة بن خويلد. وقال في رسالته لسعد: إني أمددتك بألفي رجل.

– في معركة القادسية حارب عمرو بشجاعة ووقف وسط الجند يشجعهم على القتال قائلاً: يا معشر المهاجرين كونوا أسودًا أشدَّاء، فإن الفارس إذا ألقى رمحه يئس.. وظل يقاتل حتى أتمَّ الله النصر للمسلمين.

– وفي موقعة نهاوند حين استعصى فتحها أرسل عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن قائد الجيش قائلاً:

– اسْتَشِر واستعن في حربك بطلحة وعمرو بن معد يكرب وشاورهما في الحرب. ولا تولِّهما من الأمر شيئًا. فإن كل صانع هو أعلم بصناعته.

وقاتل عمرو في هذه المعركة أشدَّ قتال حتى كثرت جراحه وفتح الله على المسلمين نهاوند وظفر عمرو في تلك المعركة بالشهادة ودفن بقرية رُوذَة من قرى نهاوند.

تلك صور ومشاهد للبطل الفارس فوق البوادى والصحراء يشق بسفه درب الأعداء، ويقاتل من أجل الدعوة ويحلم بعالم من النور والرحمة والعدل للبشر.

-٩٥-
عمير بن الحمام

عمير بن الحمام الصحابي ذو الفكر الرشيد.. والرأي السديد.. تميز بالخلق الحميد.. والموقف الثابت العنيد. يُعتبر من أول شهداء الأنصار حيث عاش حياته دائما مع الأبرار في تقوى وجهاد وعبادة دائمة وإصرار ضد أعداء الإسلام.

عُرف عن عمير بن الحمام الشجاعة فى الحروب ومواجهة الموت دون خوف فقد كان يحلم أن يستشهد في سبيل الدعوة وتُكتب له الجنة. فكان فارساً في المعارك يركض فوق حواف اللهب ويضرب بسيفه ليشق طريقه لترتفع راية الإسلام عالياً .

ولذلك شهد عمير غزوة بدر الكبرى مع الرسول ﷺ وشهدت هذه الغزوة بسالة وشجاعة عمير.

في بداية المعركة وقف الرسول خطيباً في الناس يحثهم على الجهاد ويحرضهم عليه وعلى بذل النفس في سبيل الله.

فقال:

- لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه. فلما اقترب المشركون.

قال: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. فقال عمير:

- يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟

فقال الرسول: نعم.

فقال عمير: بخٍ بخ.

فقال الرسول: ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟

فقال عمير:

- لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

فقال له الرسول:

- فإنك من أهلها.

فأخرج عمير من جعبة سهامه بعض التمرات وأخذ يأكل. ثم قال لنفسه:

– لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.

فقام ورمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل، وصعدت روحه إلي السماء.

فكان عمير بذلك أول شهيد للأنصار قتل في سبيل الله وتحققت أمنيته أن يصبح شهيداً في المعركة.

ورحل عمير عن الحياة بعد رحلة كفاح وعطاء واكتسب محبة واحترام وإعجاب القوم حوله، وكل من سمع به من المسلمين وصارت حياته من النماذج الإنسانية الجميلة التي حققت الكثير من الإنجازات في مجال الدعوة الإسلامية.

-٩٦-
عمرو بن مُرة

الصحابي الصادق الأمين.. شاهد خاتم المرسلين.. في رؤيا فريدة بين العالمين.. فأبحرت روحه للضياء.. وسكنت نفسه للهدى والنداء.. وأتبع دعوة خاتم الأنبياء.

هذا هو عمرو بن مُرة الجهني الذى آمن بالله ورسوله واتبع الرسالة المحمدية وأصبح من كبار رجال الإسلام.

تثقف وتعلم من النبي ﷺ ومن علماء الصحابة وسكن الإيمان روحه، واستقرت ذاته في رحاب الله تسبح بحمده.

عمرو بن مرة شاهد رؤيا ذات ليلة وإذ بهذه الرؤيا تصدق فيقول عن ذلك:

– خرجت يوما مع قومي بني غطفان إلى مكة للحج في الجاهلية، فرأيت في منامي وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة أضاء كل ما حولها حتى أضاء جبل يثرب وأضاء قصور الحيرة والمدائن.

وسمعت صوتاً وسط النور يقول:

- انقشعت الظلماء وسطع الضياء وبُعث خاتم الأنبياء ظهر الإسلام وكُسرت الأصنام ووصلت الأرحام.

فاستيقظت فزعاً ثم ناديت على قومي وقصصت لهم رؤيتي ثم قال لهم:

- والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث.

وبعد أن عاد إلى بلده سمع أن رجلاً من قريش اسمه محمد يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد فأسرع إلى مكة، وقابل الرسول وأخبره بالرؤيا التي رآها في منامه.

فقال له رسول الله:

- يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده ورفض الأصنام.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام وإن رَغَمَ ذلك كثير من الأقوام.

ثم طلب عمرو من النبي أن يأذن له بالرجوع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له الرسول وقال له:

- عليك بالرفق والقول السديد ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً.

ورجع عمرو إلى قومه وأخذ يدعوهم إلى الإسلام ثم قال لهم:

- يا بني رفاعة بل يا معشر جهينة إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الإسلام وأخذ يعدد لهم خصال الإسلام.

فقام رجل من قومه وقال له:

- يا عمرو بن مرة أمر الله عيشك أتأمرنا برفض آلهتنا وأن نفرق جمعنا ونخالف دين آبائنا إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تهامة؟ لا حباً ولا كرامة.

فقال له عمرو:

- الكاذب منا أمرَّ الله عيشه وأبكم لسانه وأكمه أسنانه.

فاستجاب الله له ولم يمت هذا الرجل حتى عمي وصمَّ وفسد عقله.

وظل عمرو يدعو قومه حتى أسلم منهم عدد كبير فذهب بهم إلى النبي ﷺ فرحب بهم وكتب لهم كتابًا أوصاهم فيه بالزكاة والصلاة والصدقة.

وظل عمرو مع النبي ﷺ شارك في الغزوات ولم يتخلف عن معركة خاضها المسلمون وشارك في حروب الردة وفي الفتوحات الإسلامية وتوفي في خلافة معاوية بعد أن عاش حياة جهاد كبيرة لا يتراجع عن نشر النور والسلام في كل المدائن والبلدان.. يمنح الصدقات ويساند الضعفاء ويشارك الفقراء ويمنح الخير من ذاته والعلم من فكره والرحمة من إنسانيته.

-٩٧-

عمير بن سعد

عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري الصحابي العابد.. والمؤمن الساجد والرجل الصادق الذي تأثر بالدعوة وهو مازال صبياً وبايع الرسول ﷺ وآمن به نبياً.. وكان في مواقفه قوياً متحدياً أعداء الإسلام أبياً. تثقف ثقافة إسلامية عميقة فقد كان أبوه هو الصحابي الجليل سعد القاري.

تعلم عمير بن سعد كل شيء عن عقيدته، ولذلك كان دائماً في المسجد يقيم الصلاة ويتلو القرآن. وفي بيته فهو معتكف لا يسمع عنه أحد ولا يراه الناس إلا قليلاً حيث اشتهر بالزهد وعرف عنه الورع والتقوى ونقاء القلب، وتميز أيضاً بأنه كان صافي النفس هادئ الطبع حسن الصفات، مشرق الطلعة يحبه الصحابة ويأنسون بالجلوس معه.

ومن مواقفه التي يذكرها الصحابة والناس عن مدى غيرته على الدعوة الإسلامية وحبه الشديد للرسول أنه ذات يوم سمع عمير زوج أمه الجلاس بن سويد - وكان له كالأب ينفق عليه - وهو يقول:

- إن كان محمد حقاً لنحن شر من الحمير.

فغضب الغلام غضباً شديداً وامتلأ قلبه غيظاً وحيرة ثم قال لجلاس:

- والله يا جلاس إنك لمن أحب الناس إليَّ وأحسنهم عندي يداً وأعزهم عليَّ أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت الآن مقالة لو أذعتها عنك لآذتك ولو صَمَتُّ عليها ليهلكن ديني، وإن حقَّ الدين لأولى بالوفاء وإني مُبْلغٌ رسول الله ما قلت.

فقال الجلاس له:

- اكتمها عليَّ يا بني.

فقال الغلام: لا والله.

ومضى إلى رسول الله ﷺ وهو يقول:

- لأبلِّغنَّ رسول الله قبل أن ينزل الوحي يُشْرِكني في إثمك.

فلما وصل الغلام إلى رسول الله ﷺ أخبره بما قاله جلاس.

فأرسل الرسول - ﷺ- في طلب الجلاس فلما جاء الجلاس ذكر له الرسول ما قاله الغلام، فأنكر وحلف بالله أنه ما قال ذلك.

فأنزل الله قرآنًا يؤكد صدق الغلام، ويفضح الجلاس ويحفظ للغلام مكانته عند الرسول فقال تعالى:

{يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير} (التوبة: ٧٤).

فاعترف الجلاس بما قاله الغلام، واعتذر عن خطيئته، وتاب إلى الله وحسن إسلامه، وما سمع الغلام من الجلاس شيئًا يكرهه بعدها ثم أخذ النبي إذن الغلام، وقال:

- وفَتْ أُذُنُك يا غلام وصدَّقَك ربك.

وفي خلافة الفاروق عمر بن الخطاب يختارعميراً ليكون والياً على حمص، وحاول عمير أن يعتذر عن هذه الولاية، لكن عمر بن الخطاب ألزمه بها.

وذهب عمير إلى حمص وبقى فيها عاماً كاملاً دون أن يرسل إلى أمير المؤمنين بالمدينة، بل لم يصل إلى أمير المؤمنين منه آية رسالة فأرسل إليه عمر ليأتي إليه وجاء عمير وشاهده الناس وهو يدخل المدينة وعليه آثار السفر، وهو يحمل على كتفيه جراباً وقصعة وقربة ماء صغيرة ويمشي في بطء شديد من التعب والجهد، ولما وصل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال له:

- السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فرد عمر السلام ثم قال له:

- ما شأنك يا عمير؟

فقال عمير: شأني ما ترى ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم معي الدنيا.

فقال عمر: وما معك؟

قال عمير: معي جرابي أحمل فيه زادي وقَصْعَتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي، وأداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي وعصاي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً، إن عَرَض، فوالله ما الدنيا إلا تَبعٌ لمتاعي.

فقال عمر: أجئت ماشياً؟

قال عمير: نعم.

فقال عمر: أَوَلَمْ تَجدْ من يعطيك دابة تركبها؟

قال عمير: إنهم لم يفعلوا وإني لم أسألهم.

فقال عمر: فماذا عملت فيما عهدنا إليك به؟

قال عمير: أتيت البلد الذي بعثتني إليه فجمعت صُلَحَاء أهله ووليتُهم جَبايَة فيئِهم وأموالهم، حتى إذا جمعوها وضعتها ولو بقي لك منها شيء لأتيتك به.

فقال عمر: فما جئتنا بشيء؟

قال عمير: لا.

فصاح عمر وهو فخور سعيد:

- جدِّدوا لعمير عهداً.

ولكن عميراً رفض وقال في استغناء عظيم:

– تلك أيام خَلَتْ لا عَمِلتُ لك ولا لأحد بعدك.

ويقول عنه عمر بن الخطاب معجباً به:

– وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين.

ومن كلمات عمير في إحدى خطبه مع أهل حمص قال:

– إن الإسلام حائط منيع.. وباب وثيق.. فحائط الإسلام العدل.. وبابه الحق. فإذا نُقِضَ الحائط.. وحطم الباب.. استفتح الإسلام.. ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان.. وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف.. ولا ضرباً بالسوط.. ولكن قضاءً بالحق.. وأخذاً بالعدل.

وذهب الرجل الذى يؤمن بالحكمة والعدل وقضاء الله، وأن الإسلام ليس مجرد فتح بلاد بالسيف بقدر ما هو التسامح والعفو والصدق والرحمة والإنسانية للبشر جميعا.

-٩٨-

عمير بن وهب

عمير بن وهب أحد الصحابة الأتقياء.. شديد الورع حاد الذكاء.. بطل في معارك الجهاد والفداء.. خبير بفنون القتال ومسالك الأعداء. عاش بين قبيلة قريش أحد رجالها الكرام.. له الرأى في كل الأمور ويسدي الحكمة والنصح في حزم والتزام.

ومن حسن تدبيره ودهائه أنه حذر قريش من محاربة المسلمين قبيل معركة بدر، وأكد أنهم قوم تضحية وتحد وإيمان وقال:

- والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم.. فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير العيش بعد ذلك فانظروا رأيكم.

أما عن قصه إسلامه فهى شهيرة في تاريخ الصحابة، حيث اتفق مع ابن عمه صفوان بن أمية على قتل رسول الله ﷺ وقال:

- لولا دين عليَّ لا أملك قضاءه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله من أجل أبني الأسير.

وكان ابن عمير قد تم أسره في معركه بدر فرد عليه صفوان بن أمية وقال له:

- عليَّ دينك أنا أقضيه وعيالك مع عيالي أواسيهم وأرعاهم.

وشهر عمير بن وهب سيفه وانطلق إلى المدينة ليغتال رسول الله - ﷺ - ولكن عندما شاهده الرسول ﷺ قال له:

- ماجاء بك يا عمير؟

فقال عمير:

- جئت لهذا الأسير عندكم تفادونا في أسرانا فإنكم العشيرة والأهل.

فقال الرسول:

- فما بال السيف في عنقك؟

فقال عمير:

- قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت.

فقال الرسول - ﷺ:

- بل أنت كنت وصفوان بن أمية في حجر الكعبة، وقلت لولا دين عليَّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان ذلك، والله حائل بينك وبين ذلك.

وهنا صاح عمير بن وهب:

- أشهد أنك رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله.. كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي، وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان لم يطلع عليه أحد فأخبرك الله به، فالحمد لله الذى هداني للإسلام.

وقال الرسول لأصحابه:

- علموا أخاكم القرآن وأطلقوا أسيره.

وانطلق عمير بن وهب ينهل من نور القرآن وأحاديث الرسول - ﷺ- حتى أصبح داعية من كبار دعاة الإسلام يلتقي بالناس في كل مكان، ويبصرهم بحقيقة الحياة والكون ورسالة الرسول وحكمة القرآن وتعاليمه.

وظل يدعو ابن عمه صفوان إلى الإسلام مؤكداً له سماحة الرسول وحكمته وقال له:

- إن رسول الله - ﷺ- أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس عزه عزك وشرفه شرفك.

وفي النهاية حين شعر صفوان بالآمان بين المسلمين أعلن إسلامه وفرح عمير بن وهب، وظل يدعو الناس إلى الإسلام واعتز به الصحابه وافتخروا بدوره وتحدثوا عن جهاده.

هذا هو عمير بن وهب أحد الصحابة الأتقياء.. شديد الورع حاد الذكاء.. بطل في معارك الجهاد والفداء.. خبير بفنون القتال ومسالك الأعداء. عاش بين قبيلة قريش أحد رجالها الكرام.. له الرأى في كل الأمور ويسدي الحكمة والنصح في حزم والتزام.

-٩٩-

فضالة بن عبيد

فضالة بن عبيد من أجل الفقهاء وعالم من العلماء يخشى ظلم الضعفاء ويرفض زخارف الدنيا والثراء.. كلماته نبع حكمة وعطاء. شارك في الحروب ومواقف الحسم والفداء.

هذا هو فضالة بن عبيد القاضي العادل والفقيه الحكيم الذى صاحب الرسول، عليه الصلاة والسلام، في كل موقف يسانده ويدافع عنه ويعلم المسلمين أصول العقيدة الإسلامية شارك فضالة في غزوة أحد والخندق وباقي الغزوات كلها مع رسول الله.

ومن المواقف التى تعبر عن مدى ثقة الصحابة والولاة في إيمان الصحابي فضاله وتجربته العميقة في الحياة واكتساب العلم الغزير أنه تولى القضاء في الشام ومصر بعد فتحها مع عمروبن العاص.

وهناك مواقف أخرى كثيرة توضح مكانة هذا الصحابي في عصره منها أن أبا الدرداء كان يقضي على دمشق، وإنه لما احتضر أتاه معاوية عائدا فقال من ترى للأمر بعدك قال فضالة بن عبيد فلما توفي قال معاوية لفصالة:

إني قد وليتك القضاء، ولكن فضالة بن عبيد رفض ذلك خوفا أن يظلم أحدا فقال معاوية:

- والله ما حابيتك بها ولكني استترت بك من النار فاستتر منها ما استطعت، ومن أقوال فضالة المأثورة:

- قال: لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة أحب إليّ من الدنيا وما فيها لأنه تعالى يقول: "إنما يتقبل الله من المتقين".

- قال: خصال ينفعك الله بهن إن استطعت أن تعرف ولا تعرف فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تكلم فافعل وإن استطعت أن تجلس ولا يجلس إليك فافعل.

- قال: ثلاث من الفواقر إمام إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر وجار إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أفشاها وزوجة إن حضرت آذتك وإن غبت خانتك في نفسها وفي مالك.

كانت حياة فضالة بن عبيد صورة للمسلم المجاهد الحق فإذا دعته الحاجة إلى الجهاد كان سباقا مع جيوش المسلمين لنشر الدعوة ومحو الفساد والشر والجاهلية. واتسمت حياته بالزهد والعبادة واكتساب العلم وعلوم القرآن من كتاب الله وأحاديث الرسول - ﷺ.

ومازلنا جميعا نقرأ سيرة حياة هذا الصحابي الفقيه ونتعلم أروع مبادئ القيم الإنسانية ومواقف الوعد والوعيد والإيمان العميق.

-١٠٠-

قتادة بن النعمان

قتادة بن النعمان المجاهد في كل ميدان.. فقد عينه في القتال.. واستسلم للقدر والمحال.. ودعا ربه فى خشوع وابتهال.. أن يمنحه الصبر والاحتمال.

قتادة بن النعمان الصحابي المسافر في وجه الريح.. ترشق جسده الحراب ويسقط جريح.. يفتدى الرسول بالنفس والقلب والروح.

مواقف قتادة يشهد لها الرجال.. في كل خطوة طعن ونزال.. إقدام وشجاعة وفخر ونضال. هذا الذي وقف بجسده أمام الرسول ﷺ يتلقى عنه السهام. وشهدت له معركة أحد بالتضحية والفداء.

وذلك حين ينفذ أحد السهام في عين قتادة حتى سقطت حدقته على وجنتيه ورأه الرسول ﷺ فشعر بالأسى والحزن وقال:

– اللهم إن قتادة قد وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا. فاستجاب الله لدعوة نبيه.

قتادة بن النعمان ظل في بيته يتعبد ويقرأ القرآن ويشتاق أن يصلي في المسجد مع الرسول ﷺ، والمسلمين فيخرج في ليلة باردة ترتعش فيها الأشجار وترعد السماء.

ويراه الرسول ويسأله:

– ما السُّري يا قتادة؟ ما هاج عليك.

فقال قتادة:

- إن شاهد الصلاة الليلة قليل.. فأحببت أن أشهدها معك بأبي أنت وأمي وأؤنسك بنفسي.

فقال الرسول: فإذا صليت فأت.

وذهب قتادة إليه وأعطاه الرسول عرجون يتحصن به وقال له:

- فإذا دخلت البيت ورأيت سوادًا في زاوية البيت فاضربه قبل أن يتكلم فإنه شيطان.

فلما دخل قتادة بن النعمان بيته شاهد سوادا في الزاوية فقام بضربه حتى انصرف من البيت.

ومن القصص التي توضح مكانة قتادة بن النعمان حين اشتكى إلى الرسول -ﷺ- أن بشر بن أبيرق أحد المنافقين عبث في غرفه عمه وسرق منها الطعام والسلاح.

وقال قتادة:

- فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه.

ولكن المنافقين من بنى أبيرق كذبوا على رسول الله، ولذلك قال الرسول لقتادة:

- عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة من غير بينة تثبت.

وينزل القرآن: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا. واستغفر الله إن الله كان غفورًا رحيمًا} (النساء: ١٠٥-١٠٦).

ويدعو الرسول قتادة فيقرؤه عليه ويأتي بالسلاح فيدفعه إليه ليرده إلى عمه رفاعة ففرح قتادة بتأييد الله له ،فحمل السلاح إلى عمه فينتفض الرجل فرحًا ليس لرجوع سلاحه وعتاده، لكن لمثل ما فرح به قتادة ثم يزيد فيقول:

- يابن أخي هي في سبيل الله.

وتوفي قتادة في خلافة عمر بن الخطاب فحضر عمر جنازته وصلى عليه. ورحل الرجل الصالح الذي اهتدى إلى الثواب وطريق الحق والخير والصواب.. يقاوم ويجاهد غير مبال بالموت أو الفناء. رجل تعلقت روحه بالمغفرة والتوبة. وظلت حياته صفحات من الهدى يشرق فيها نور العقيدة والإيمان.

-١٠١-

قيس بن سعد

قيس بن سعد بن عبادة الصحابي صاحب الكرم والعطاء.. وهب حياته وماله للفقراء يحنو على المساكين والضعفاء.. يمنح من ذاته الرحمة والضياء.. رجل المحبة والإحسان والثواب.. يمسح الدموع ويرق للعذاب.

قيس بن سعد بن عبادة.. الشاب العبقري في الفكر والإرادة.. حياته جهاد وكرم وعبادة.. حاد الذكاء.. عظيم الدهاء.. رجل الحزم والإباء.. يرفض المكر والرياء.. فلا فكر دون انتماء.. ولا غيوم دون أنواء.. ولا حرب دون دماء.

هذا ملمح يجسد شخصية قيس ابن سعد بن عبادة زعيم الخزرج بعد أن أسلم والده أخذ إلى رسول الله - ﷺ- وقال له:

- هذا خادمك المطيع يا رسول الله.

واكتشف الرسول ﷺ في شخصية قيس بن سعد سمات الخلق الحميد والفضائل الكريمة، وشغفه بالجهاد وهممه العاليه وطموحاته الكبيرة رغم أنه لم يزل شابا، ولكنه تميز بالنضوج الفكري المبكر.

تميز قيس بن سعد أيضا بحدة الذكاء والفطنة فخشاه الناس واحترسوا منه، ولكنه بعد إسلامه توقف عن نسج المؤامرات ويتذكر ماضيه ويقول:

- لولا الإسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب.

ويؤكد التزامه بالقيم الأخلاقية وابتعاده عن المكر والخديعة ويقول:

- لقد سمعت الرسول ﷺ يؤكد أن المكر والخديعة في النار ولولا ذلك لكنت من أمكر هذه الأمة، ولكنى لا أستطيع ذلك بعد إسلامي.

وهكذا تعلم قيس بن سعد أسس العقيدة الإسلامية وحفظ القرآن، وظل دائما مع الرسول - ﷺ- يتعلم منه علوم الدين والحياة والقيم الأخلاقية السامية.

نشأ قيس بن سعد في بيت كريم صالح من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسباً فأبوه هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة سيد الخزرج، وقد تربى قيس منذ الصغر على الشجاعة والكرم وحب الخير ومساعدة الفقراء وإغاثة المكروب حتى صار يضرب به المثل في جوده وكرمه.

ومن القصص التي تُروى عن كرمه أنه ذات مرة جاءت امرأة عجوز تشكو فقرها إلى قيس فقال لخدمه:

- املئوا بيتها خبزاً وسمناً وتمراً.

وكان قيس يطعم الناس في أسفاره مع النبي، وكان إذا نفد ما معه يستدين وينادي في كل يوم:

- هلموا إلى اللحم والثريد.

باع تجارة بتسعين ألفاً ثم أمر من ينادي بالمدينة:

- من أراد القرض فليأت.

فجاء إليه أناس كثيرون أقرضهم أربعين ألفاً وتصدق بالباقي.

وذات يوم أصابه مرض فقل عواده وزواره فسأل زوجته:

- لم قل عوادي؟

فأجابت: لأنهم يستحيون من أجل دينك.

فأمر منادياً ينادي: من كان عليه دين فهو له فأتى الناس يزورونه حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه.

وكان يقول:

- اللهم ارزقني مالاً وفعالاً فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

وجاءه كثير بن الصلت فطلب منه ثلاثين ألفاً على سبيل القرض فأعطاه إياها ولما ردها إليه رفض قيس أن يقبلها وقال:

- إنا لا نعود في شيء أعطيناه.

واشترك قيس مع ثلاثمائة صحابي في غزوة سيف البحر بقيادة أبي عبيدة بن الجراح فأصابهم فيها جوع شديد، وفنى ما معهم من زاد. فقام قيس فذبح ثلاثة جمال له. وبعد مدة ذبح ثلاثة أخرى ثم ذبح لهم ثلاثة أخرى.

ولكن نهاه أبو عبيدة عن ذلك حين رزق الله الجيش بحوت كبير ظلوا يأكلون منه ثمانية عشر يوماً.

وعندما عادوا للنبي ﷺ وذكروا له ذلك قال عن قيس:

- أما إنه في بيت جود.

وتحدث أبو بكر وعمر عن كرم قيس وسخائه، فقالا:

- لو تركنا هذا الفتى لسخائه لأهلك مال أبيه.

فلما سمع سعد ذلك قام عند النبي فقال:

- من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب، يُبَخِّلان عليَّ ابني.، وكان قيس يتمتع بالذكاء وحسن التدبير وسلامة التفكير.

وكان قيس ملازماً للنبيﷺ حتى قال عنه أنس:

- كان قيس بن سعد بن عبادة من النبي بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

وقد عرف بشجاعته وبسالته وإقدامه فكان حاملاً للواء الأنصار مع رسول الله وشهد مع الرسول الغزوات وأخذ النبي الراية يوم فتح مكة من أبيه سعد وأعطاها لابنه قيس، حيث كان بطلاً قوياً وفارسًا مقداماً ومجاهداً عظيماً .

وجاهد قيس مع الخلفاء الراشدين فقد وقف مع الإمام علي بن أبي طالب في معركة صفين والجمل والنهروان وقد ولاه الإمام علي حكم مصر، ثم استدعاه منها وجعله على قيادة جيشه.

ولما استشهد الإمام علي بايع ابنه الحسن وقاد خمسة آلاف رجل لحرب معاوية، لكن الحسن آثر أن يحقن دماء المسلمين فتفاوض مع معاوية وبايعه على الخلافة وتنازل عنها فرجع قيس إلى المدينة وجمع قومه وخطب فيهم وقال:

– إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منا وإن شئتم أخذت لكم أماناً.

فاختار جنوده الأمان وقالوا:

– خذ لنا أماناً.

فأخذ لهم الأمان من معاوية.

وقد كان قيس بن سعد معروفاً بالذكاء والدهاء، وكان يقول عن نفسه:

– لولا أني سمعت رسول الله يقول: المكر والخديعة في النار لكنت من أمر هذه الأمة.

وروى قيس كثيراً من أحاديث رسول الله وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. وعاش قيس في المدينة معروفاً بحسن إسلامه وعمق كرمه ومواقفه التي تتسم بالإنسانية.

ومات قيس بن سعد عام ٥٩ للهجرة في المدينة المنورة الصحابي الذي عاش حياته في رحاب الرسول ﷺ، ينهل من بحر العلم والإيمان ويحارب في شجاعة الأبطال الفرسان، ويحكم بين الناس بالعدل والرحمة والأمان.

-١٠٢-

قيس بن عاصم

قيس بن عاصم الصحابي الحليم.. وفد على الرسول الكريم.. مع قومه بنى تميمم.. عاش صادقا للدعوة عميق الإيمان.. وتولى صدقات مقاعس وبطون أسد وغطفان.. نشر الفضائل والخير في كل مكان.

يحدثنا قيس بن عاصم عن خلقه الحميد فيقول :

- أما في الجاهلية فما هممتُ بملامة.. ولا حُمْتُ على تهمةٍ.. ولم أُرَ إلا في خيلٍ مغيرةٍ أو نادي عشيرة.. أو حامي جريرة.. أمّا في الإسلام فقد قال الله تعالى: فلا تُزكّوا أنفسكم.

كان قيس بن عاصم حليماً يُقتدى به فقد قيل للأحنف: ممن تعلمت الحِلْم؟

قال: من قيس بن عاصم!! رأيته يوماً محتبئاً فأتي برجلٍ مكتوف وآخر مقتول فقيل هذا ابن أخيك، قتل ابنك.

فالتفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي! بئسَمَا فعلت، أثمت بربّك، وقطعت رَحِمَك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر: قُمْ يا بني فوارِ أخاك.. وحُلَّ كتاف ابن عمّك، وسُقْ إلى أمّهِ مائةَ ناقة ديَة ابنها، فإنها غريبة.

قال قيس بن عاصم للرسول - ﷺ: يا رسول الله! المالُ الذي لا تبعه عليّ فيه؟

قال: نِعْم المال الأربعون وإن كثر فستون، ويلٌ لأصحاب المئين إلا من أدى حقّ الله في رِسْلِها ونَجْدها وأطرق فحلَها وأفقر ظهرها ومنح غزيرها، ونحرَ سمينتها وأطعم القانع والمعتر.

فقال قيس: يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها.

قال: يا قيس أمالك أحب إليك أم مال مواليك؟

قال: بل مالي.

قال: فإنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبست فأبليتَ أو أعطيت فأمضيتَ وما بقي فلورثتكَ.

فقال: يا رسول الله! لئن بقيتُ لأدعنّ عددها قليلاً.

كان قيس بن عاصم أول من وأد بالجاهلية، وقد قال له أبو بكر: ما حملك على أن وأدت؟

فقال: خشيت أن يخلف عليهنّ غيرُ كُفْوءٍ.

وقد جاء قيس بن عاصم إلى الرسول ﷺ فقال:

إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية، فقال له الرسول – ﷺ:

– اعتق عن كل واحدة منهن رقبة.

وقال: إني صاحب إبل.

قال : اهدِ إن شئتَ عن كل واحدة منهن بدنة، وكان لقيس ثلاث وثلاثون ولداً.

حرّم قيس بن عاصم على نفسه الخمر في الجاهلية، لأنها كانت تُذهب بعقله ويغيب عن الحياة فحرّمها على نفسه وقال في ذلك:

رأيت الخمر صالحةً وفيها	خصال تفسد الرجلَ الحليما
فلا والله أشربها صحيحاً	ولا أشفى بها أبداً سقيمَا
ولا أعطي بها ثمناً حياتي	ولا أدعو لها أبداً نديمَا
فإن الخمرَ تفضح شاربيها	وتجنيهم الأمر العظيمَا

لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال:

يا بنيّ احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني.. إذا أنا مت فسوِّدوا كبارَكم.. ولا تُسَوِّدوا صغارَكم.. فتُسَفِّه الناس كبارَكم.. وتهونوا عليهم.. وعليكم بإصلاح المال.. فإنه منبهة للكريم.. ويستغني به عن اللئيم.. وإياكم ومسألة الناسفإنها آخر كسب المرء ولا تقيموا عليّ نائحةً فإني سمعت رسول الله – ﷺ – نهى عن النائحة.

وسافر قيس إلى البصرة، وتوفي هناك ورثاه عَبْدة بن الطبيب بقوله:

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتُهُ ما شاءَ أن يترحّما
وما كان قيسٌ هُلْكه هُلْكُ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

ورحل قيس بن عاصم رجل اقتدى به الرجال وعاش نقيا صافيا لا يعرف الإثم أو الخطايا.. يزهو بذاته الصافية وحياته التي وهبها للعلم والعبادة. رثاه الشعراء في كل البوادي، وظلت ذكراه في كل قلب تضيء دائما بمآثره الطيبة وأخلاقياته الكريمة.

-١٠٣-

كعب بن مالك

كعب بن مالك.. الشاعر الصادق التائب.. المدافع عن الحق بسيف المحارب.. كم بكى ندما وشوقا للغفران.. يجلس وحيدا بين الأفنان.. يتفكر في معجزة الخلق والإنسان.. وفي الليل يقرأ بعض من سورة الرحمن.

كعب بن مالك أصبح من كبار شعراء الرسول ﷺ مع حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة يحاربون بالسيف والكلمة.

وسأل كعب النبيﷺ وقال:

– يا رسول الله.. ماذا ترى في الشعر؟

فقال رسول الله: المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه.

ومن المواقف التي أكدت مدى صدق هذا الصحابي حين تخلف عن غزوة تبوك، ولكنه لم يكذب على النبي وأقر بذنبه وتقصيره في حق الله وتكاسله عن الجهاد، وفعل مثله هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكانا قد تخلفا أيضًا.

وهنا أمر النبي المسلمين أن يقاطعوه وصاحبيه الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر.

ومضى على كعب وصاحبيه أربعون يومًا، وهم على تلك الحالة من الندم والبكاء والمقاطعة الكاملة من كل المسلمين، وبعدها أمرهم النبي أن يهجروا زوجاتهم وظلوا على هذه الحالة عشرة أيام.

وبعد خمسين يومًا جاء الفرج، ونزلت التوبة من الله على هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين لم يكذبوا على رسول الله.

وأنزل الله فيه وفي صاحبيه قرآنًا، قال تعالى: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب} (التوبة: ١١٨).

وكان كعب يقول: والله، ما مر عليَّ يوم كان خيرًا ولا أحب إليَّ من ذلك اليوم الذي بشرت فيه بتوبة الله تعالى عليَّ وعلى صاحبيّ، ثم قال للرسول: إن من توبتي أن أتصدق بمالي كله لله ولرسوله.

فقال له النبي: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.

فقال كعب: يا رسول الله، إن الله تعالى أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث أحسن مما ابتلاني.

وكان كعب يقول بعد ذلك: ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا شيئًا من الكذب، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى بقية عمري.

وكـان كعـب يقـول: والله مـا أنعـم الله علـيَّ مـن نعمـة قـط بعـد إذ هـداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي أمام رسول الله ألا أكون كذبته، فأهلك كما هلـك الـذين كـذبوا، فقـد قـال الله تعـالى: {سـيحلفون بـالله لكـم إذا انقلبـتم إلـيهم لتعرضـوا عـنهم فأعرضـوا عنـه إنهـم رجـس ومـأواهم جهـنم جـزاءً بمـا كـانوا يكـسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين} (التوبة: ٩٥-٩٦).

وعاش كعب بن مالك مجاهدا صادقا لا يتخلف عن حرب أبدًا فقام بمحاربة المرتـدين في عهـد أبي بكـر الـصديق، وسـاهم في الفتوحـات الإسـلامية علـى عهـد الفـاروق عمـر. وكـذلك في خلافـة كـل مـن عثمـان وعليّ وأول خلافـة معاويـة وظـل على صدق إيمانه وقوة عقيدته.

وتـوفي بالـشام في خلافـة معاويـة سـنة٥٠هــ وعمـره ٧٧ سـنة ويقـال: إن الله سبحانه قد ابتلاه بفقد بصره قبل وفاته فصبر لذلك حتى ينعم بما عند الله من الجنة.

وقـد روى كعـب بـن مالـك ثلاثـين حـديثًا مـن أحاديـث رسـول الله وروى عنـه جماعة من الصحابة والتابعين.

كانـت تلـك صـورة تجـسد ملامحهـا توبـة الـصحابي شـاعر وتقـواه فهـو رجـل لم يعرف إلا الصدق وعاش حياته في طهر ونقاء حتى سمت روحه إلى السماء. وظل صابرا على محنته يجاهد آلامه وأحزانه بإيمان كبير.

-١٠٤-

لبيد بن ربيعة

شاعر عاش عصر الجاهلية والنور.. وتدفقت أشعاره بحور.. تتجلى من حكم القرآن وتستلهم أروع آيات البيان.. فكل ما خلا الله باطل.. وكل نعيم لا محالة زائل.. والنفس طامحة للجهاد تقاتل.. والقلب عامر بالإيمان ماثل.. والعقل يتدبر العجائب مندهشا ذاهل.

لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك الكِلابيّ كان فارساً شجاعاً شاعراً من فحول الشعراء قال الشعر في الجاهلية دهراً، وقلّ في الإسلام أسلم وحسن إسلامه، فرجع إلى قومه ثم نزل الكوفة حتى مات فيها.

روي أن رسول الله ﷺ قال:

– أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ألا كل ما خلا الله باطل والشطر الثاني:

وكل نعيم لا محالة زائل إلا نعيم الجنة.

من قوله في الإسلام:

ما عاتَبَ المرْءَ اللبيبَ كنفسِهِ والمـرْءُ يُصْلِحُهُ الجَليسُ الصالِحُ

ومن قوله أيضاً:

الحمدُ لله إذْ لم يأتني أجلي حتى لبستُ مِنَ الإسلامِ سِرْبالاَ

ولما اشتدّ الجَدْبُ على مضر بدعوة النبي – ﷺ– وفد عليه وفد قيس وفيهم لبيد فأنشد:

أَتَيْناكَ يا خيرَ البريّة كلِّها لترحمنا ممّا لقينا من الأزْلِ

أتينـــاكَ والعَـــذراء تدمَـــى لبَانُهـــا وقـد ذهَلَـت أمُّ الـصبيّ عـن الطفـلِ

فـإنْ تَـدْعُ بالـسقيا وبـالعفو ترسـل الـسماءُ لنـا والأمـرُ يبقـى علـى الأصـلِ

وألقَـى تكنّيـه الـشجاعُ اسـتكانةً مـن الجـوعِ صمتـاً لا يمـرُّ ولا يُحلـي

قال له عمر بن الخطاب يوماً:

– يا أبا عقيل، أنشدني شيئاً من شعرك.

فقال: ما كنت لأقول شعراً بعد أن علّمني الله البقرة وآل عمران.

فزاده عمر في عطائه خمسمائة وكان ألفين.

ومن قصائده التي تعبر عن إيمانه بالله ويوم الحساب يقول:

إنّمـــا يحفـــظُ التّقـــى الأبـــرارُ وإلى اللهِ يـــــستقرُّ القـــــرارُ

وإلى اللهِ ترجعـــــونَ وعنـــــدَ اللهِ وردُ الأمـــــورِ والإصـــــدارُ

كُـلَّ شـيءٍ أحـصَى كِتابـاً وعِلْمَـاً ولديـــــهِ تجلّـــــتِ الأسْـــــرارُ

يـــــومَ أرزاقُ مَـــــنْ يفـــــضّلُعمٌّ مُوسَـــــقَاتٌ وحُفَّـــــلٌ أبْكَـــــارُ

ورحل لبيد بن ربيعة الشاعر الإسلامي والصحابي القدير الذي عبر في أشعاره عن أفكاره ومشاعره بصدق، وكذلك وظف هذا الشعر في تنوير الأذهان بالعقيدة الإسلامية.

-١٠٥-

محمد بن مسلمة

أبو عبد الله محمد بن مسلمة الأنصاري.. الصحابي الشجاع القدير.. مدمر الحصون حارق القصور.. في وجه الزيف عاصفة تثور.. وللحق صادقا أمينا غيور.

في حنايا روحه يتدفق النور.. دعاؤه لؤلؤ منثور.. حياته فخر وفضائل وكرم من بحور.. يعبر عن رأيه بصدق ويمضي بعزم الأمور.. فما أجله مع الصالحين.. وأفضله بين المسلمين.

الصحابي محمد بن مسلمة من أفاضل الرجال شارك في الحروب وعاهد الله ورسوله على البذل والعطاء.. تضيء في عيونه ملامح الذكاء وعبقرية الأداء، ولذلك استخلفه النبي على المدينة في بعض غزواته وأمَّره على نحو ٥١ سرية، وكان يرسله ليأتي بالصدقات من الإمارات الإسلامية.

وبعد وفاة النبي ﷺ وقف مع الخلفاء في وقت السلم والشدائد والمحن يناصرهم بكلمة الحق ودستور القرآن في العدل والرحمة، ويناقش القوم في أمور الحساب والثواب والعقاب، وكيف للإنسان أن يجاهد ويطارد الشر ويمحو الآثام من فوق الأرض.

ومن المواقف الحازمة التي قام بها ومازال يذكرها تاريخ الصحابة حين شيد سعد بن أبي وقاص قصرا في الكوفة، وابتعد عن الناس وأهمل شئون القوم وبلغت هذه الأخبار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فاختار محمد بن مسلمة وقال له:

- اذهب وأحرق هذا القصر.

واستطاع محمد بن مسلمة أن يؤدى مهمته ويعود إلى أمير المؤمنين، ليكون دائما في حالة تأهب ومهيأ ذاته للجهاد في كل وقت.

وعرف الناس عن الصحابي محمد بن مسلمة غيرته في الحق وجرأته في مواجهة الباطل ومحاربته للكذب والرياء والنفاق حتى وإن كان الأمر مع الخلفاء الراشدين.

فقد سأله عمر بن الخطاب ذات يوم بعد أن تولى الخلافة:

- كيف تراني؟

فقال له محمد بن مسلمة:

- أراك والله كما أحب.. وكما يحب من يحب لك الخير.. أراك قويًّا على جمع المال.. عفيفًا عنه.. عدلاً في قسمه.. ولو مِلْتَ عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب.

فقال عمر متعجبًا من شجاعته.. ومسرورًا بما قال:

- الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا مِلْتُ عدلوني.

كان يخشى على المسلمين من النزاع والفتن وقد عاش أحداث الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان فتقلد سيفه، وذهب إلى صخرة قوية يضربها بالسيف حتى انكسر واتخذ لنفسه سيفًا من خشب، وذهب إلى الربذة وبنى لنفسه بيتًا صغيرًا جلس فيه فقال له أصحابه:

- لماذا فعلت ذلك يا محمد؟

فأجابهم قائلا:

- أعطاني رسول الله سيفًا وقال لي: يا محمد بن مسلمة.. جاهد بهذا السيف في سبيل الله.. حتى إذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضًا.. فائت به أُحَدًا أي: جبل أحد، فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية وقد فعلت ما أمرني به رسول الله.

ومضى إلى ربه عام ٤٣ من الهجرة، وقد تجاوز عمرة السابعة والسبعين وترك عشرة ذكور وست بنات، وقد روى بعض الأحاديث عن رسول الله - ﷺ.

هكذا كان محمد بن مسلمة فارس الفتوحات ومحطم الصخور والجاهر بالحق في وجه الجميع. هذا الرجل الذى تجمعت فيه الخصال الكريمة والمعاني الفاضلة.

-١٠٦-

مصعب بن عمير

مصعب بن عمير الصحابي الوسيم.. والقلب الرحيم.. والشاب الذى هجر النعيم ومضى على هدى القرآن الكريم.. والصراط المستقيم. عاش شابا ثريا في دنبا ما أغناها.. يرتدي من الثياب أغلاها.. كلما رغب في متعة أتاها.. وفي دنيا أصابها وجناها. وحين أشرقت الدعوة كانت روحه فداها.. وأتبع نورها ودعواها.. ومضى في رحابها وتقواها.

أخفي في بادئ الأمر خبر إسلامه عن أمه فقد كان يخشاها وحين علمت غضبت عليه وثار القوم ضده وقاموا على تعذيبه وعقابه بقسوة، ولكنه ظل صامداً يتحمل الآلام في صبر وجلد وإيمان كبير.

ومنعت أمه عنه الطعام ذات يوم وأخرجته من دارها وهي تقول له:

– اذهب لشأنك لم أعد لك أمًّا.

ورغم كل هذا يقترب مصعب من أمه ويقول لها:

– يا أمة إني لك ناصح وعليك شفوق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

فتجيبه غاضبة:

– قسمًا بالآلهة لا أدخل في دينك فيزري برأيي ويضعف عقلي.

واضطر أن يهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة والتقى مع قومه بعد رجوعه فرقت قلوبهم، وكفوا عن تعذيبه.

وبعد بيعتي العقبة الأولى والثانية جاء إلى النبي ﷺ من آمن من الأنصار وطلبوا منه أن يرسل معهم من يقرئهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم فاختار الرسول ﷺ مصعبًا، ليكون أول سفير له خارج مكة وأول مهاجر إلى المدينة المنورة.

فترك مصعب مكة للمرة الثانية طاعة لله ولرسوله وحمل أمانة الدعوة إلى الله، مستعينًا بما أنعم الله عليه من عقل راجح وخلق كريم.

وأعجب أهل المدينة بزهده وإخلاصه فدخلوا في دين الله وكان مصعب يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فأسلم على يديه سادة أهل المدينة.

ويختار الرسول مصعب في غزوة أحد ليحمل اللواء. وكان النصر أول الأمر للمسلمين ولكن سرعان ما تحول النصر إلى هزيمة لما خالف الرماة أمر رسول الله، ونزلوا من فوق الجبل يجمعون الغنائم.

وركز أعداء الإسلام على الرسول ﷺ فأدرك مصعب هذا الخطر فحاول أن يلفت أنظار الأعداء إليه ليشغلهم عن رسول الله، وغافله أحد الأعداء وضرب يده اليمنى فقطعها، فحمل مصعب اللواء بيده اليسرى فضرب يده اليسرى فقطعها، فضم مصعب اللواء إلى صدره بعضديه وهو يقول:

- وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل.

فضربه أعداء الله ضربة ثالثة فقتلوه واستشهد مصعب.

وعند جثمان مصعب سالت الدموع، وفيرة غزيرة ولم يجدوا شيئًا يكفنونه فيه إلا ثوبه القصير إذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه وإذا وضعوه على رجليه ظهرت رأسه.

فقال النبي ﷺ:

– غطوا رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر "نبات له رائحة طيبة".

وهكذا استشهد الفتى الفارس الذي تخلى عن كل شيء، من أجل الإسلام وحزن عليه الجميع، وقال الرسول ﷺ وهو ينظر إلى شهداء أحد:

– أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فوالذي نفسي بيده لا يسلِّم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه.

ورحل مصعب الإنسان.. القلب العامر بالقرآن.. تسبح روحه في نهر الهدى وآيات الرحمن.. رجل ثابت عن الحق يقاوم الذل والهوان.

رحل مصعب وفي القلب ذكراه تفيض دائما بمواقف البطولة والتحدي والإيمان.

-١٠٧-

معاذ بن جبل

معاذ بن جبل.. الصحابي العالم الحكيم.. وبشئون الحرام والحلال عليم... وحافظ القرآن الكريم.. والزاهد العابد المقيم.. حريصاً على العلم والتعليم.. ضليعاً في الإفتاء.. عادلاً في القضاء سابق العلماء.. وإمام الحكماء.

ولد في المدينة المنورة سنة ٢٠ قبل الهجرة. تعلم القراءة والكتابة.. ومارس الفروسية وفنون القتال. وتميز بالخلق الطيب.. والصفات الحسنة وأسلم عندما بلغ

الثامنة عشرة وشارك في غزوات الرسول ضد المشركين وشهد له الجميع ببراعته في القتال.

من دلائل عبقرية هذا العالِم أنه كان أحد الذين يفتون في عهد الرسول ﷺ وهم:عمر وعثمان وعلي أُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت.

كان أصحاب الرسول يقدرون معاذ وعلمه وينظرون إليه باحترام وتقدير وينصتون إلى تعاليمه وحكمه في الحياة وتفسيره للمواقف وروايته للحديث.

حفظ معاذ بن جبل القرآن وكان الرسول ﷺ يقول:

- استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل.

ويصفه رسول الله ﷺ فيقول:

- معاذ بن جبل أعلم الناس بالحلال والحرام.

ويقول عمر بن الخطاب:

- عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ بن جبل.. ولولا معاذ لهلك عُمرُ.

وتحدث عنه عبد الله بن مسعود فقال:

- إن معاذ بن جبل.. كان أُمةً قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين.

فظن السامع أنه نسي.. وأنه يقصد إبراهيم عليه السلام. فقال السامعُ: إن إبراهيم كان أُمّةً قانتا لله حنيفا.

فقال له ابن مسعود: ما نسيت.. هل تدري ما الأُمةُ وما القانت؟

فقال السامعُ: الله أعلمُ.

فقال ابن مسعود: الأمةُ الذي يعلمُ الخير. والقانتُ المطيع لله وللرسول. وكان معاذ يعلم الناس الخير ومطيعاً لله والرسول.

وهذا دليل على المكانة العلمية التي حققها معاذ في زمانه، ولذلك جعله الرسول ﷺ قاضياً على اليمن يحكم بين الناس بالعدل، معتمداً على كتاب الله وسنن الرسول واجتهاده الخاص دون أن يظلم أحد أو يميز فرداً عن فرد.

معاذ بن جبل يؤمن أن العلم ليس مجرد قول أو كلام ولذلك يقول:

- اعلموا ما شئتم أن تعلموا.. فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا.

ويوصى ابنه ويقول له: يا بني إذا صليت صلاة.. فصل صلاة مودع.. لا تظن أنك تعودُ إليها أبداً.. واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين.. حسنة قدمها.. وحسنة آخرها.

ومن مواقفه الكريمة ومبادئه العليا أنه شاهد بعض عبيد له يصلون فسألهم لمن تصلون هذه الصلاة؟ فقالوا: لله. فقال: فأنتم لله أحراراً. وأعتقهم جميعا لوجه الله.

وحين حضرته الوفاة قال :

- اللهم إني قد كنت أخافك.. فأنا اليوم أرجوك..

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار.. ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر.. ومكابدة الساعات.. ومزاحمة العلماء بالركب على حلق الذكر.

وتوفي وعمره ٣٨ عاماً وترك ذكرى عابقه بصور من حياته وعلمه وجهده وجهاده واجتهاده.



المراجع والمصادر

رقم	اسم المرجع	المؤلف	الإصدار
١	أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير	دار إحياء التراث العربي — بيروت
٢	رجال حول الرسول	خالد محمد خالد	دار ثابت – مصر — الطبعة ٣
٣	موسوعة عباقرة الإسلام	رحاب خضر- محمد أمين	دار الفكر العربي — مصر
٤	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	ابن خلكان	دار صادر – بيروت
٥	سير أعلام النبلاء	شمس الدين الذهبي	دار الفكر — بيروت – ط١
٦	البداية والنهاية	ابن كثير	دار المعرفة – بيروت
٧	شهداء الصحابة في صدر الإسلام	محمد فهمى عبد الوهاب	دار الاعتصام
٨	الإصابة في تمييز الصحابة	ابن‌حجر العسقلاني	مكتبة ابن تيمية -١٩٩٣- القاهرة
٩	سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام النحوى	المكتبة الأزهرية -٢٠٠٦م
١٠	جامع بيان العلم وفضله	ابن‌عبدالبر القرطبي	دار الكتب العلمية -ط-١ لبنان ٢٠٠٠

١١	مشاهير قادة الإسلام	بسام العسيلى	دارالنفائس بيروت١٩٩٨ط٨
١٢	موسوعة التاريخ الإسلامي	محمود شاكر	المكتب الإسلامي –بيروت
١٣	أسماء الصحابة	ابن حزم الأندلسي	دار الكتب العلمية – ١٩٩١– لبنان
١٤	عظماؤنا في التاريخ	مصطفى السباعي	دار البقين – مصر
١٥	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد الذهبي	دار الكتاب العربي–لبنان – ط١– غشس١٩٨٧
١٦	شخصيات إسلامية	د.محمد الزحيلي	دار المكتبي – دمشق – ط١ ١٩٩٩

مؤلفات على عبد الفتاح

- الصعاليك ينفجرون بالغناء.
(مقالات تحليلية لابداع مجموعة من الشعراء العرب)
- الغربة والإبداع.(شهادات المبدعين في الغربة).
- العصفور والسنبلة.(تحليل لقصائد الشاعر محمد يوسف وسيرة لحياته).
- عشاق الحزن الجميل.(تحليل لسمة الحزن في تحفيز الابداع).
- للحب والجمال والحرية مواقف أدبية.(مقالات نقدية).
- العدواني في عيون معاصريه.
(مقالات عن الشاعر الكويتي احمد مشارى العدواني).
- العدواني وثائق وصور.(تسجيل لرحلة الشاعراحمد العدواني بالصور).
- حمامة بيضاء.(قصص علمية للأطفال).
- الصوت الهامس.(كتابات نثرية).
- حبيبتي أنتِ.(كتابات نثرية).
- تأملات في قصائد الغزل.(اشعار نزار قباني وفاروق جويدة وغيرهم).
الفراشة عاشقة الضوء.
(دراسة نقدية في قصص الأديبة الكويتية ليلى محمد صالح).
- المبحرون في التراث.(دراسة في ادب د.عادل عبد المغني).
- تأملات في أدب يحيى الربيعان.(دراسة في ادب يحيى الربيعان).
- أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين.

(تراجم لاكثر من ٥٠٠ شخصية مبدعة في مجالات المعرفة).

- مشاهير الصحابة.(تراجم لحوالي مائة شخصية من الصحابة).
- نساء في حياة الرسول. (تراجم لحوالي ١٠٠ شخصية نسائية).
- شخصيات أدبية .(تراجم لاكثر من ٣٠٠ شخصية ادبية).
- أعلام في الأدب العالمي.(تراجم لاكثر من ١٢٠ شخصية اجنبية).
- الغاضبون في الأدب .(دراسات ادبية لسمة الغضب وعلاقتها بالابداع).
- عالم البراءة (قصص قصيرة).
- دموع الياسمين .(قصص قصيرة عن عالم المدرسة وقضايا التعليم).
- التحدى .(نص مسرحي مستوحى من حياة عباس محمود العقاد).

●تحت الطبع :

- شعراء من إسرائيل .(تصوير الوجه البشع في الشعر الاسرائيلي)
- محاكمة محمد على باشا (نص مسرحي).
- هؤلاء عاشوا في وجداني.

(تجربة الكاتب مع شخصيات ادبية وعلمية تأثر بها وتعلم منهم فن الحياة).

- من اغتال هؤلاء ؟

(كتاب يستعرض شخصيات علمية وادبية تم اغتيالها لاسباب كثيرة ومازال القاتل هاربا).

- يوميات مدارس الحب والجمال والحرية.

(يوميات لمشاكل المدارس وقضايا التعليم من خلال قصص درامية)

الفهرس

تقديم ٥

إهداء ٧

الخلفاء الصحابة ٩

أبو بكر الصديق ١١

عمر بن الخطاب ١٣

عثمان بن عفان ١٨

علي بن أبي طالب ٢٠

أبان بن سعيد ٢٤

ابو إمامة الباهلي ٢٦

أبو العاص بن الربيع العبشمى القرشي ٢٩

أبو ثعلبة الخشني ٣١

أبو حذيفة بن عتبة ٣٣

أبو دجانة الأنصاري ٣٥

أبو ذر الغفاري ٣٧

أبو سفيان بن الحارث ٤١

أبو سفيان بن حرب ٤٤

أبو طلحة الأنصاري ٤٥

أبو عبيدة بن الجراح ٤٨

أبو موسى الأشعري ٥٠
أبو هريرة ٥٣
أبو الدرداء ٥٥
أبي بن كعب ٥٨
أسعد بن زرارة.. ٦١
أسيد بن حضير ٦٣
الأحنف بن قيس ٦٦
الأرقم بن ابي الارقم ٦٨
البراء بن مالك ٧٠
البراء بن معرور ٧٣
الحسن بن علي ٧٥
الحسين بن علي ٧٧
الزبير بن العوام ٧٩
الطفيل بن عمرو ٨١
العباس بن عبد المطلب ٨٤
القعقاع بن عمرو التميمي ٨٦
المثنى بن حارثة ٨٨
المغيرة بن شعبة ٩٠
المقداد بن عمرو ٩١
النعمان بن مقرن ٩٥

الوليد بن الوليد ٩٧
أنس بن مالك ٩٩
أنس بن النضر ١٠٢
بلال بن رباح ١٠٤
ثابت بن قيس ١٠٧
ثمامة بن أثال ١٠٩
ثوبان بن بجدد ١١٢
جبير بن مطعم ١١٥
جعفر بن أبي طالب ١١٧
حبيب بن زيد ١٢١
حسان بن ثابت ١٢٣
حكيم بن حزام ١٢٦
حمزة بن عبد المطلب ١٢٨
خالد بن الوليد ١٣١
خالد بن سعيد ١٣٣
خباب بن الأرت ١٣٥
خبيب بن عدي ١٣٨
دحية بن خليفة الكلبي ١٤٠
زيد بن ثابت ١٤٢
زيد بن حارثة ١٤٤

سالم بن معقل ١٤٧
سعد بن أبي وقاص ١٥٠
سعد بن عبيد ١٥٢
سعد بن معاذ ١٥٤
سعيد بين زيد ١٥٦
سعيد بن عامر ١٥٨
سلمان الفارسي ١٦١
سلمة بن الأكوع ١٦٣
صرمة بن قيس ١٦٦
صفوان بن أمية ١٦٨
صهيب الرومي ١٧٣
طلحة بن عبيد الله ١٧٥
عباد بن بشر ١٧٦
عبادة بن الصامت ١٧٩
عبد الرحمن بن أبي بكر ١٨١
عبد الرحمن بن عوف ١٨٣
عبد الله بن جحش ١٨٤
عبد الله بن الزبير ١٨٦
عبد الله بن حذافة ١٨٩
عبد الله بن رواحة ١٩٢

عبد الله بن سلام ١٩٤
عبد الله بن عباس ١٩٦
عبد الله بن أبي سلول ١٩٨
عبد الله بن عمر ٢٠٠
عبد الله بن عمرو ٢٠٣
عبد الله بن حرام ٢٠٥
عبد الله بن مسعود ٢٠٧
عتبة بن غزوان ٢١٠
عثمان بن أبي العاص ٢١٢
عثمان بن مظعون ٢١٤
عدى بن حاتم ٢١٦
عروة بن مسعود ٢١٩
عقبة بن نافع ٢٢١
عكرمة بن عمرو ٢٢٣
عمار بن ياسر ٢٢٦
عمران بن حصين ٢٢٩
عمرو بن العاص ٢٣٢
عمرو بن قيس بن زائدة ٢٣٤
عمرو بن معد يكرب ٢٣٧
عمير بن الحمام ٢٣٨

عمرو بن مرة	٢٤٠
عمرو بن سعد	٢٤٢
عمير بن وهب	٢٤٦
فضالة بن عبيد	٢٤٩
قتادة بن النعمان	٢٥١
قيس بن سعد	٢٥٣
قيس بن عاصم	٢٥٧
كعب بن مالك	٢٦٠
لبيد بن ربيعة	٢٦٣
محمد بن مسلمة	٢٦٤
مصعب بن عمير	٢٦٧
معاذ بن جبل	٢٦٩
المراجع والمصادر	٢٧٣